مشاكل الطفل والمراهق النفسية

حمزة الجبالي

دار أسامة
المشرق الثقافي

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

مشاكل الطفل

و

المراهق النفسية

تأليف

حمزة الجبالي

دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان - الأردن

دار المشرق الثقافي
عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن- عمان

ودار المشرق الثقافي

- الإدارة: هاتف: ٥٦٥٨٢٥٣- فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
- المكتبة: العبدلي: تلفاكس: ٥٦٥٨٢٥٣
- المكتبة: البلد: تلفاكس: ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب: ١٤١٧٨١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٧٤٠/ ٤/ ٢٠٠٦)

٣٦٢,٨

الجبالي، حمزة

مشـــاكل الطفل والمراهق النفسية/ حمزة الجبالي.- عمان: دار أسامة، ٢٠٠٦.

(   ) ص .

ر.إ :(٢٠٠٦/٤/٧٤٠).

الواصفات : /المشاكل الاجتماعية//الأطفال//رعاية الطفولة/

∴ تم إعداد بيانات الفهرسة و التصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مقدمة

الذي لا شك فيه ان هناك علاقة قوية بين التربية والصحة النفسية، حيث ان هدف التربية يجب ان يكون قائما على تحقيق الصحة النفسية، لذلك لا بد ان تكون هناك علاقة وطيدة بين الطرفين.

والواقع ان المشاكل النفسية التي يتعرض لها الاطفال في سنواتهم الاولى تعود في اغلبها إلى اسباب متعلقة بالتغذية واخرى بالنوم وثالثة بالأسباب العصبية والنطق والاخلاقية والدراسية والجنسية.

فالتربية الناجحة تعتمد اعتمادا كليا على الاستعدادات النفسية والعصبية لدى الاطفال، كما ان للبيت والمدرسة أدواراً متكاملة في تحقيق هذه التربية المثالية.

لقد جاء هذا الكتاب ضمن موضوعات متعددة ابرزها:

- **المشكلات المتعلقة بالتغذية.**
- **المشكلات المتعلقة بالاعصاب؟**
- **المشكلات المتعلقة بالنطق.**
- **المشكلات المتعلقة بالاخلاق.**
- **المشكلات المتعلقة بالدراسة.**
- **المشكلات المتعلقة بالجنس.**

وقد حاولنا من خلال عرض هذه المشكلات السابقة الوقوف عند اسبابها التي أوجدتها، ومحاولة فرض الحلول المناسبة لحلها، لعلنا نحقق الهدف المرجو الذي اردناه من وراء هذا الكتاب.

وهذه الدراسة التي بين ايدينا هي دراسة مبنـــية على شواهد واستبيانات

مرجعها الواقع الذي يعيشه الطفل سواء اكان في المنزل ام في المدرسة.

والله ولي التوفيق

المؤلف

لا شك ان الطفل في سنواته الأولى يتعرض للعديد من المشاكل التي قد تسبب له اثارا سلبية وتكون في كثير من الأحيان مشكلة أثراً نفسيا في حياته المستقبلية، كما انها تترك اثراً في محيطه العائلي، وسنحاول هنا ان نوضح هذه المشاكل مع التطرق لاسبابها وطرائق حلها والتخلص منها.

اولاً: المشكلات المتعلقة بالتغذية

قد يسأل سائل: ما الصلة بين التغذية والصحة النفسية ؟ نعلم أن هناك فرقا بين الأثر الناتج من إجابة الطفل إلى كل ما يطلبه من طعام وبأسرع طريقة ممكنة؛ وإجابته إلى بعض ما يطلب، وبشيء من عدم الهلع في الإجابة. يترتب على مثل هذه المواقف منذ اللحظة الأولى أساليب للسلوك يواجهنا بها الطفل، من هذه: أسلوب العنف والإلحاح، وأسلوب التحايل، وأسلوب الخضوع والتسليم. وأمثال هذه التشكيلات السلوكية أو الأساليب السلوكية قد تظهر مرتبطة بمواقف، ربما تبدو لنا بسيطة ضئيلة الأثر؛ كمواقف التغذية على اختلاف أنواعها.

ولكنها في الواقع تترك أثراً راسخا عند التقدم في العمر. وعملية التغذية عملية هامة بالنسبة للطفل، إذ تكاد تكون الشيء الوحيد الذي يشغله في الأشهر الأولى، ويرجع أثرها إلى تكرارها مرات عديدة كل يوم، وإلى ارتباطها بذهن الطفل بالأم.

وهي أول شخص تتكون حوله عواطف الطفل. وتكون هذه العواطف مرتبطة بعملية التغذية والانفعالات المصاحبة في أثناء مواجهة مشكلاتها.

وهناك كثير من مشكلات السلوك تشتق أسبابها من مناسبات تناول الطعام. وأساس هذه المشكلات هو طريقة اعطاء الطعام لطفلها وهي معاملات معينة، تكاد تكون ثابتة، من جانب الوالدين. ويرد الطفل على هذه المعاملات والمواقف بأسلوب أو أساليب معينة تكون في الغالب لا شعورية. ونظراً لأن طريقة التناول هذه تتكرر منذ ولادة الطفل مرات عديدة في كل يوم كما وترتبط

في ذهن الطفل بهذه المناسبات انفعالات الارتياح والتألم والتضايق وعواطف الحب وعواطف الكراهية؛ فان الاحتمال قوى في أن يكون لمواقف تناول الطعام أثر ثابت في تكوين شخصية الطفل.

فإذا أخذنا عملية مص الثدي في الأشهر الأولى، نجد أنها أهم الخبرات الحيوية عند الطفل. ونجد أنه يقابل في مواقف الرضاعة مشكلات قد نستهين بها، وقد لا نشعر بها على الإطلاق؛ كتدفق اللبن أو قلته، أو عدم القدرة على المص لعدم ملاءمة (الحلمة)، وما إلى ذلك. وقد يتوقف على طرق مواجهة الطفل مشكلات مواقف الرضاعة تكوين جانب كبير من طابع (الشخصية) الذي يلاحظه بعض الآباء، مما يسميه آدلر بأسلوب الحياة أو طابع السلوك[1].

كذلك مواقف الفطام لها مشكلاتها، ولها أزماتها عند الطفل. ويجب مقابلة هذه الأزمات باسلوب يحل المشكلة، يمنع ظهور مشكلات أخرى في حياة الطفل. ولأجل أن تمر فترة الفطام بسلام ينبغي التمهيد لها من الأشهر الأولى، بتمرين الطفل على تناول السوائل من ملعقة أو كوب، وأخذ بعض الأغذية التكميلية التي لا بد أن تستوفي شروطا معينة.

وخلاصة ما تقدم إن تناول الطعام له أهميته الكبرى عند المشتغلين بالدراسات السيكولوجية للأطفال في مراحل نموهم المختلفة مبتدئين في ذلك بالشهر الأول.

حالات

من النادر أن تعرض على العيادات السيكولوجية حالات أساس الشكوى منها صعوبات تتعلق بالتغذية فقط. ولكن تظهر صعوبات التغذية عادة – كغيرها من الصعوبات – ضمن مشكلات أخرى تكون في الغالب أكثر لفتا لنظر القائمين

(١) Style of life.

برعاية الطفل من مشكلات التغذية نفسها. وتظهر مشكلات التغذية ضمن مشكلات نوبات الغضب، والغيرة، والتأخر الدراسي، وفقدان القدرة على التركيز، وضعف الثقة بالنفس، والقلق النفسي، والإغراق في أحلام اليقظة، وما إلى ذلك.

لنأخذ حالة ولد كان في سن العاشرة من عمره، وكانت شكوى والديه منه أنه خامل، خجول، عنيد، شديد الغيرة من اخوته، ولا يميل إلى العمل الدراسي، ميال إلى الكذب، وهو فوق ذلك كله يتأفف من الكثير من أنواع الطعام، وقد استرعى نظر والدته تأففه بنوع خاص من بعض الخضراوات الممتزجة أجزاؤها بعضها ببعض (كالقرع والسبانخ) وما شابه ذلك، وبعض أنواع الفواكه كالموز. فكان لا يكاد يمسك الموز بأسنانه حتى تظهر عليه علامات الاشمئزاز والتأفف، ويصرح ثم يقذفه من فيه. وكان يقبل على الأطعمة الواضحة الأجزاء كالبطاطس، وبعض النشويات، وبعض أنواع الحلوى، والبيض، واللبن.

هذا النوع من الصعوبة موجود عند معظم الأطفال، وهو يختفي عادة مع التقدم في السن. ولكن اشمئزاز هذا الطفل يزداد مع تقدمه في السن. ولعل من أسباب ذلك أن الأم كانت تلجأ إلى طرق الإغراء المختلفة، وكانت أحيانا تلجأ إلى العقاب، حتى ترغمه على تناول ما لا يحب.

وقد يكون بعض صعوبات هذا الطفل - لا كلها - راجعا إلى مكانة الطفل في المنزل. فالأم تعلن أنها تحب البنات أكثر من البنين، وتفضل - بناء على ذلك - أخته عليه تفضيلا واضحا، لا مراعاة لشعوره فيه.

وحالة أخرى كانت الشكوى الأساسية منها شدة الخجل، والحساسية للنقد، وفقدان الشهوة للطعام، وطول المدة التي يقضيها الطفل على مائدة الطعام مع تناوله قسطا صغيرا جدا منه. وقد اتضح أن الوالد قلق على أولاده وعلى نوع ما يأكلونه وكميته إلى حد بعيد. ويحتمل أن يكون هذا القلق هو العامل الأساسي.

وليس هذا مجال تفسير قلق الوالد، وشرح نوعه وطريقة تأثيره في الابن.

وحالة ثالثة أرسلت للعيادة لتأخر في النطق. وقد تبين في أثناء دراستها أن الولد يرفض كثيرا من أنواع الأطعمة. وهو فوق ذلك ميال إلى الكذب والمعاندة ومخالفة الأوامر. ولعل السبب في ذلك أن الولد يجاب كل طلب له إشفاقا عليه. والبيئة غنية جدا بحيث يمكنها أن تلبي كثيرا من مطالبه.

والولد لتأخر نطقه وسمعه وتأخره العقلي العام يجد في إصراره على مطالب خاصة مجالا طيبا لاثبات ذاته. وللولد مربية تعنى بأمره، وهي شديدة قاسية، مما يدفعه للمعاندة والكذب ومخالفة الأوامر.

ومن بين الحالات النادرة التي اتجهت الشكوى الأساسية فيها إلى قلة الإقبال على الطعام، حالة طفل في الرابعة من عمره، على جانب كبير من الذكاء - كما دل على ذلك اختبار ذكائه - جم النشاط والجرأة والظرف؛ إذ تجده باش الوجه، إجماعيا، حسناً، قليل الخجل. مليئا بالحيوية.

فاذا جلس هذا الطفل إلى مائدة الطعام فانه يكاد لا يأكل، وكثيرا ما يضع اللقمة في فمه ويتركها مدة طويلة يشرد في أثنائها بذهنه. فإذا نبه إلى ذلك فانه يشرب كمية كبيرة من الماء لتساعده في عملية الابتلاع. ويقول والده : أن ما يتناوله الولد من الطعام ضئيل جداً على الرغم من كل ما يبذله معه من محاولات الإغراء، ومحاولات التهديد، والإهمال أحيانا. ولعله من الواضح أن هذه المحاولات الإيجابية هي التي تصرف الولد غالباً عن تناول الطعام.

أنواع المشكلات وطرق تحديدها

يتبين من الحالات السابقة، ومن غيرها أن من أبرز مشكلات التغذية فقدان الشهوة (Anorexia) . وعند بحث هذا النوع من المشكلات، يجب أن نعرف إن كـــان فقدان الشهوة دائما أم مـــؤقتا. فان كان دائما يعزى إلى عوامل

مزمنة، وإن كان مؤقتا فإنه يرجع إلى عوامل طارئة.

ويجب أن نعرف كذلك إن كان ظهوره فجائيا أم تدريجيا. ويكون الفقدان الفجائي في غالب الأحيان مصحوبا بأعراض أخرى ظاهرة، كارتفاع درجة الحرارة أو التقزز أو الحالات النفسية الحادة كالغضب واليأس والحزن وما شابه ذلك.

كذلك علينا أن نعرف إن كان فقدان الشهوة عاما يتناول جميع المأكولات، أم خاصا يتناول دون بعضها الآخر. ويجب أن نتقصى لنعرف ما إذا كان ذلك يظهر في جميع المناسبات أم في مناسبات معينة كالأكل المنفرد، أو الأكل على مائدة غير منسقة أو غير منوعة الأصناف أو غير ذلك.

ويظهر فقدان الشهية بصور مختلفة منها:

١- انعدام الرغبة في تناول الطعام

٢- البطء الشديد في ذلك.

٣- التأفف وما إلى ذلك.

وإلى جانب فقدان الشهية بمختلف صوره نجد الشره، فبعض الأطفال يزدرون الأكل ازدراءً. وبعضهم يأكل كميات كبيرة جدا. وما ذكر هنا عن فقدان الشهية يمكن أن يذكر عن الشره، فيجب بحثه لمعرفة ما إذا كان عاما أم خاصا، فجائياً أم مؤقتا... إلى غير ذلك.

ومن المشكلات الحادة النادرة ما يرتبط بتناول الطعام ارتباطا شديدا كالتقيؤ أو الشعور بالغثيان وترجيع الطعام وغير ذلك.

ويجب أن نذكر عند بحث هذه المشكلات، الصلة الشديدة بين النشاط الغددي العام؛ وتمثيل الطعام والقابلية لأخذه. وعلينا كذلك أن نذكر ما بين الأجهزة الهضمية والتغيرات الجسمية المصاحبة للانفعال من صلة شديدة.

ومعروف أنه في أثناء الانفعالات الشديدة لا يقوم الجهاز الهضمي بأداء

عمله أو يؤديه ناقصا[1] . فالعصارة الهضمية يقل إفرازها أو يقف. وتتعطل كذلك جميع العمليات اللازمة للهضم [2]. ونلاحظ عادة أننا في أثناء الحزن أو الغضب أو اليأس شهوتنا إزاء تناول الطعام. فيجب أن نؤجل للطفل وجبة طعامه إن كان في حالة انفعالية شديدة حتى يهدأ منها. ويستثنى من الحالات الانفعالية حالات الضحك الخالي من التهيج الشديد. فهذا النوع من الضحك يكون مصحوبا بحالة تراخ. والوصول إلى حالات تراخ قبل بدء تناول الطعام من العادات الطيبة.

كيف ندرس مشكلات التغذية...؟

بعد أن حددنا المشكلة تحديدا واضحا نتجه إلى دراسة العوامل التي تؤدي إلى ظهورها ولو أن دراسة العوامل وتحديد المشكلة يتداخلان أحيانا تداخلا كبيرا.

ففي فقدان الشهية نتجه أولا لدراسة العوامل الجسمية، فيقوم الطبيب المختص بفحص ما قد يكون هناك من إمساك، أو سوء، وما هناك من أعراض ظاهرة كالتقيؤ، واتساخ اللسان، وسقوط المعدة، وما إلى ذلك. كذلك عليه أن يدرس أن هناك اشتباهاً في مبادئ سل، وإن كان هناك مصادر (للتوكسينات) تقلل من الحيوية العامة. كذلك تدرس حالة الغدد. وهناك فوق هذا بعض الخصائص الجسمية العامة التي تصاحب عادة فقد الشهية.

فصاحب الجسم الطويل الرفيع يكون قليل الشهية، بخلاف صاحب الجسم العريض الواسع. وقد وجد أحد الباحثين أن ٨٢% من الأطفال الفاقدي الشهية

---

(١) وعلى العكس من ذلك الجهاز التنفسي والجهاز الدوري فإنهما يؤديان عملهما بغاية الكفاية في أثناء التهيج الانفعالي : .D. Thom ; Everyday Problems of Every day Child

(٢) ويلاحظ أن بعض الأمراض المعدية والمعوية قد اكتشف حديثا أنها قد تكون سيكولوجية الأصل أي ناشئة من حياة انفعالية غير سوية. مثل ذلك القرحة المعدية، والتهاب القولون.

للطعام من النوع الرفيع الطويل.

والأعراض الجسمية تكون في حالة فقدان الشهية أحيانا سببا لها وأحيانا نتيجة لها. وعلى أي حال يجب فحصها فحصا جيدا، والعمل على تحديد الدور الذي تلعبه.

تتجه الدراسة أيضا في مثل هذه الحالات إلى نوع التغذية، فيجب درس غذاء الطفل درساً جيداً، لمعرفة درجة اتفاق ما يأخذه مع ما يحتاجه الجسم من (فيتامينات) وأملاح معدنية، ودهنيات، وما إلى ذلك.

ويلاحظ أن كثيرا من الأطفال لا يجوعون في الميعاد بسبب كثرة أكلهم للمواد الدسمة، التي يحتاج الجسم لهضمها مدة طويلة، أو لتناولهم مواد شديدة الحلاوة قبيل الأكل، أو لعدم انتظار المواعيد، أو للنقص في فيتامينات معينة، أو غير ذلك.

بعد دراسة الناحيتين السابقتين نتجه لمعرفة ما إذا كانت هناك عوامل مسببة للانهاك العصبي كقلة النوم وسوء التهوية وقلة الرياضة، والعمل المستمر القليل التنويع. ويلاحظ أن تلاميذ المدارس يأكلون في الإجازات الصيفية أكثر مما يأكلون شتاء في أثناء العمل.

هذا على الرغم من أن حاجتهم للغذاء شتاء أكثر منها في الصيف. وسبب ذلك: العمل المستمر القليل التنويع الخالي من فترات الراحة. ومما يؤدي إلى الإنهاك العصبي وجود الطفل في بيئة تستثير فيه حالات حادة كالغيظ، أو الضحك، أو كثرة الكلام، أو الضجيج، وما إلى ذلك بسبب ما يفعله الكبار أحيانا مع الصغار عادة لتسلية أنفسهم.

علينا فوق ما تقدم، أن ندرس الحياة الانفعالية للطفل من غضب، أو حزن، أو يأس، أو غيره أو فقدان للشعور بالأمن، أو تضايق من تقييد للحرية، أو ما شابه ذلك من حالات الانفعال، التي لا بد لدراستها من ملاحظة الطفل،

وإعطائه فرصة التعبير الحر عما عنده من اتجاهات نفسية، ومن دراسة ظروف الطفل نفسها، من حيث علاقته بوالديه وأخوته ورفاقه، وسلوكه في أثناء لعبه وعمله بالمدرسة، وما إلى ذلك.

والوالدان من أهم ما يتجه إليه الذهن عند درس هذه المشكلة؛ فبعض الأمهات يضربن أسوأ المثل لأطفالهن، بأن ينقطعن إلى حد كبير عن تناول الطعام لتخفيف أوزانهن. وبعض الآباء لا يتناول وجبة الإفطار إما بسبب قصر المدة الواقعة بين الاستيقاظ؛ وترك المنزل للعمل، أو بسبب التدخين، أو بسبب الإنهاك الناشئ من السهر في الليلة السابقة، أو غير ذلك. وبعض الآباء يكثرون من التنبيهات في أثناء تناول الطعام، فينتهزون فرصة تناول الطعام لتلقين الطفل آداب الأكل، وتقاليده، مما يصرف الأطفال عن الطعام نفسه. ويجب أن يذكر الآباء أن الطفل يتعلم آداب المائدة بمرور الزمن عن طريق المثال والممارسة المتدرجة، لا عن طريق التلقين والشرح. كذلك يخطئ بعض الآباء اذ يقومون بإغراء الأطفال، أو بإجبارهم، أو بإقناعهم بمختلف الأساليب لتناول الطعام عامة، أو لتناول نوع معين منه، وهذا النوع من الآباء يكون عادة قلقا، إما على الطفل، وإما على نفسه.

وفي الحالة الأخيرة يسقط قلقه الذاتي على الطفل. وتكون الشهية لدى الطفل أحيانا حيلة شعورية أو لا شعورية لعقاب الوالدين، أو لعقاب الذات، وهذا يحدث إذا أذنب الطفل، فقد يعاقب نفسه بالإقلاع عن الطعام. كذلك إذا عوقب الطفل من والديه، فقد يقلع عن الطعام عقابا لوالديه ولنفسه في الوقت عينه.

وتلخيصا لما تقدم نقول، انه بعد درس جميع العوامل الجسمية المحتملة، ندرس الظروف والمواقف التي تظهر فيها المشكلة، وبنوع خاص الموقف الذي ظهرت فيه أول مرة، وعلينا كذلك أن ندرس الوظيفة التي تؤديها المشكلة لصالح الفرد. أما المواقف، فأهمها معاملة الوالدين للطفل عامة، ومعاملتهما له في أثناء

الطعام خاصة. كذلك من المواقف ما يربط الطعام في ذهن الطفل برباط منفر أو غير سار، كأن يغرى الطفل على شاي مثلا على أنه شاي خالص، ثم يكتشف في أثناء شربه له أنه مخلوط بزيت الخروع مثلا. أما الوظيفة التي يؤديها فقدان الشهية. فأهمها جذب الانتباه؛ فمن الجائز أن تمنع الطفل – دون أن يقصد دائما – يثير حوله اهتماما من والديه لا يحصل عليه عادة بغير هذا التمنع. ومن الجائز – كما قلنا أن إضراب الطفل عن الطعام يشعر الوالدين بذنبهما لإيقاعهما عليه عقابا معينا.

البطء في تناول الطعام

ويتصف بعض الأطفال ببطء شديد في تناول الطعام. ولعل أهم سبب لذلك، هو أن تناول الطعام ينظر اليه في بعض الأحيان كنوع من اللعب يصرف الطفل فيه من الوقت ما شاء كيفما شاء. ولكن هناك إلى جانب هذا، صعوبات المضغ الناشئة من أسباب محلية في الأسنان أو في الفكين أو غير ذلك، أو أسباب عامة كالتعب والانهاك. كذلك قد يرجع السبب إلى عدم الرغبة في تناول الأطعمة المعروضة. أو استمرار تناول الطعام رغم الشبع، أو انشغال الذهن، أو الاغراق في أحلام اليقظة وكثير من الأطفال يشغلون في أثناء تناول الطعام بمشكلاتهم الخاصة، أو بملاحظة ما يجرى حولهم من الكبار في أثناء تناول الطعام. وجميع النواحي التي اتجهنا إلى دراستها في فقدان الشهية يمكن أن نتجه اليها عند دراسة حالات البطء في تناول الطعام.

موقف الآباء وما يترتب عليه

وينظر الآباء للأكل ومواقفه نظرة خاصة، ولهم إزاء ذلك اتجاهات معينة تكاد تكون محدودة في كل والد. وسبب ذلك أن درجة اقبال الطفل على الطعام تعتبر عادة دليلا على الحالة الصحية. ويختلف الآباء بعضهم عن بعض في

درجة اهتمامهم بصحة الأطفال، وذلك الاهتمام الذي يصل في أقل درجاته إلى الاهمال، وفي أكبر درجاته إلى القلق. وتختلف - تبعا لذلك الاهتمام - عناية الآباء بغذاء الطفل. ونظرا لأهمية الأكل في نظر الأطفال أنفسهم، فاننا نجد أن الأطفال في حالة اهمالهم قد يحلون مشكلاتهم بأنفسهم. وأما في حالة القلق على الطفل، فاننا نجده يفقد ثقته في والديه.

إذا أدرك ضعفهما، وبذلك ينهدم المثال الأول للقوة الذي كان ماثلا أمامه. ويحتمل أن ينتقل قلق الآباء نحو الأبناء إلى الأبناء أنفسهم، فيصبح الابن قلقا على نفسه ضعيف الثقة فيها. وينظر الآباء عادة إلى قلقهم هذا على أنه نوع من العطف يجب على أبنائهم أن يحمدوهم عليه. ويجب أن يعلم الآباء أن حالات القلق عندهم تؤثر في أطفالهم من أعمار مبكرة جدا، لا عن طريق الادراك والتحليل والمعرفة الصريحة، وإنما عن طريق المشاركة الوجدانية البدائية[1].

ويصاحب القلق عادة ما يمكن أن يسمى بالتقنين (Standard-ardisation) ويقصد به تحديد كميات الأكل اللازمة لكل فرد. ويلاحظ أن بعض الآباء يعتقد أن الطفل في سن معينة لابد من أن يأكل كميات معينة. ويشغل الآباء أنفسهم بكمية الوجبة، ونوعها، وعدد الوجبات. وقد يصلون في ذلك إلى درجة أنه إذا سقطت وجبة منها قلقوا، وخافوا من عواقب هذا على صحة الطفل. ويجب على الآباء أن يتذكروا أن الأطفال يختلفون في أوزانهم وفي سرعة نموهم، وفي نوع نشاطهم، وما يتطلبه نشاطهم من طاقة. الكمية التي يحتاجها الطفل تختلف عادة من طفل إلى آخر.

وتختلف كذلك في الطفل الواحد من وقت إلى آخر اختلافات كبيرة في بعض الأحيان. وتتوقف هذه الاختلافات على الحالة الوجدانية، وعلى نوع النشاط

---

(١) راجع صفحة (٨٤).

الذي يبذله وكميته وعلى الظروف التي يتناول فيها طعامه، وعلى نوع الحياة التي يمر بها... إلى غير ذلك.

على أن نوعا من المتقنين الخاص بنوع الأكل، وكميته، ومواقيته، يجب أن يراعى ليحقق الغاية الأساسية، وهي أن يأخذ الفرد طعامه، بحيث يهضمه، ويتمثله جسمه ويتحول إلى فوق يستفيد منها في نشاطه، ويشترط ألا يكون تقنينا جامدا لا مرونة فيه. ولكن إذا لوحظ أن أكل الطفل قد نقص في كميته وبعض عناصره وعدد مراته نقصا واضحا فإنه حينئذ يجب البحث في حالته.

والتشبث بالتقنين يكون، كما قلنا، مصحوبا بقلق من جانب الآباء ويكون مصحوبا عادة بشيء من الاغراء ثم الارغام، مما يربط الموقف كله - بما فيه من أكل ووالدين وأسلوب معاملة - برباط انفعالي غير سار، وقد يترتب على هذا نشوء كراهية الطفل للوالدين، مما قد يؤدي إلى أعراض مرضية. ويلاحظ أن مراقبة الآباء للأبناء تصرف الطفل عن الطعام، وتعطيه سلاحا قد يستغله بنجاح ضد والديه. وتنشأ هذه المراقبة عادة من قلق الآباء الناشئ؛ بدوره من الخوف من الأمراض أو من الوفاة، فكثيرا ما يحدث أن يموت للطفل قريب بمرض السل، فيكون هذا الحادث بداية لحملة شديدة على الطفل في التغذية. كذلك قد يحدث أن يموت قريب بمرض (التيفوئيد) فتحاط عملية الأكل باحتياطات شديدة جدا لمنع الذباب فينصرف الطفل - بسبب هذه الاحتياطات وما يصاحبها من الخوف - عن تناول الطعام. فضلا عن أنها قد تغرس فيه خوفا شاذا مرتبطا بالطعام، وتؤدي إلى مشكلات اخرى عديدة.

ويلاحظ أن شدة قلق الآباء تعطي الأطفال فرصة الشعور الزائد بأهميتهم، واعتراف السلطة بهم. وهذه نتيجة تسرهم، فتدفعهم أحيانا إلى التمسك بما يثير هذا القلق. والطفل عنده بطبيعته نزعة قوية للسيطرة؛ وذلك لضعفه، وقوة من حوله. فهو يتلمس الفرص إلى التعبير عن هذه النزعة للسيطرة. فإذا

أضرب مرة عن تناول الطعام، وأثار هذا الإضراب قلق والديه، أو غضبهما، أو حفزهما على ضربه. فإنه يصل بسلاحه هذا إلى احداث حدث عظيم محسوس. لذا كان خير الطرق ازاء هذا التصرف من الأطفال الاهمال والهدوء التام من جانب الآباء.

وكثيرا ما يحدث أن تقوم الأم بإغراء الطفل، ورجائه، والتوسل إليه وأحيانا يجري الطفل في أرجاء المنزل، والأم تجــري وراءه بغذائه علــه يتناوله.

هذا منظر يشعر الطفل بسيطرته وتملكه الموقف. وكثيرا ما تأمر الأم طفلها بتناول الطعام فإن رفض تلجأ إلى تهديده. فإذا صمم فقد تعود إلى إغرائه وتتنازل عن تهديدها. وهكذا قد تتأرجح الأم بين الإغراء، والتهديد، والاقناع، والوعد بثواب، أو الوعيد بعقاب، وما إلى ذلك من الأساليب لضربه التي يترتب عليها أحيانا اضطراب نفسه، وأحيانا يترتب عليها زيادة تمسكه بموقفه، لأنه يشعر فيه بقوته.

وأحيانا تشكو الأم حال طفلها إلى جيرانها أو زوارها، وتشفع شكواها بأن تقول : أنها غلبت على أمرها معه، ولا تدري ماذا تفعل. وتحدث هذه الشكوى أحيانا على مسمع من الطفل، الذي يشتق لذة كبرى من أنه وصل إلى ما تشتاق إليه نفسه من القوة، مما جعل شخصا كبيرا كأمه يفشل أمامه، ويعترف بذلك. ويلاحظ أن رفض الطعام يكثر عادة في الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد أو المدلل – أي الطفل الذي يحتمل أن تضعف الأم أمامه.

ويدفع القلق أحيانا إلى كثرة التكلم عن المرض والتسمم والأغذية الثقيلة والأغذية المفيدة وما إلى ذلك. ويصحب التكلم عن هذه النواحي – خصوصا الخوف من المرض والتسمم – حالة انفعالية. ويسمع الأطفال هذه الأحاديث إما عرضا، وإما لأنها موجهة إليهم، ولا يفهمون منها شيئا، ولكنهم يتأثرون بما بها

من اتجاه انفعالي، يترتب عليه خوف وصدوف عن تناول الطعام في غالب الأحيان.

ويؤثر الآباء في أبنائهم دون أن يشعروا عن طريق الايحاء؛ فكثيرا ما يحدث أن طفلا يرفض اللبن، لأن الأم قالت: انها لا تحب اللبن. أو يرفضه لأنه رفضه مرة، فقالت الأم: ان ابنها لا يحب اللبن. بذلك تثبت لديه الفكرة عن طريق الاتجاه الذي وجهته فيه الأم. وثبوت الفكرة يؤدي وظيفة هامة، وهي أن الطفل تصبح له خاصية مميزة يتكلم عنها الناس.

ويلاحظ أن كراهية الأطفال والبالغين لكثير من أنواع الطعام، وحبهم لكثير من الأنواع الأخرى يأتي غالبا عن طريق الايحاء، بمعنى أن اتجاهات الكبار نحو الطعام من حب وكراهية قد تخلق في الطفل اتجاهات مماثلة. ويجب أن نشير إلى أن إيحاء السلوك أقوى دائما من إيحاء الكلام، فرؤية علامات الاشمئزاز التي تبدو على الوجه أقوى أثرا من سماع الألفاظ الدالة عليه.

خلاصة هذا أن الأطفال يتأثرون كثيرا من موقف آبائهم ازاءهم عند تناول الطعام وكذلك من موقف الآباء أنفسهم ازاء الطعام.

الشره

ومن المشكلات التي يندر أن يشكو منها انسان مشكلة الشره، وهي تبدو بصور مختلفة منها: أن يأكل الإنسان أكثر مما يحتمل، أو أن يزداد الأكل ازدياداً دون أن يحسن مضغه. وما قلناه عن فقدان الشهية يمكن أن يقال عن الشره من أنه قد يكون عاما، وقد يكون خاصا، وقد يظهر في مناسبات معينة أخرى.. إلى غير ذلك.

وعلينا أن نذكر بهذه المناسبة أن الناس يقال عنهم: انهم يأكلون غالب

أكثر مما تحتاج إليه جسومهم. فتناول الطعام لا يحدث عادة لسد حاجة جسمية فحسب؛ وإنما يحدث لأنه عادة معينة يريد أن يمارسها الفرد في أوقات معينة. وهذه العادة ينظر اليها بعض الناس على انها نوع من النشاط اللذيذ المقصود لذاته. ولذا يصبح بعض الناس شغوفا بالأكل، ينظر إليه كنوع من الهواية التي يصرف فيها ماله وتفكيره ونشاطه.

وإذا اتجهنا لدرس حالة شره، فأول ما يجب أن يتجه إليه الذهن هو درس الحالة الجسمية كالديدان واضطراب الغدد أو غير ذلك. ثم ندرس حياة الفرد الانفعالية. فكما يكون الشره ظاهرة للحرمان، كذلك يمكن أن يكون ظاهرة للتدليل. فالشخص المدلل لا يمكنه عادة أن يضبط نفسه أمام رغبة من رغباته، بل يهيئ لنفسه فرص التلذذ الذاتي، وكأنه في ذلك يدلل نفسه. ويلاحظ أن أصحاب النزعات (البوهيمية) – على وجه العموم – كانوا أصلا محرومين أو مدللين.

ويكون الشره أحيانا مظهرا من مظاهر النزعات الاعتدائية؛ ففيه مجال العض والانقباض والفتك. وكثير من الناس في حالات الغضب المكتوم يعبرون عن غضبهم هذا بالانكباب على التدخين، أو السكر، أو تناول الطعام، أما وما شابه ذلك.

كذلك يمكن أن يكون الشره دالا على فقدان الشعور بالأمن(١)؛ فهو يظهر أحيانا في حالات اليأس، وفقدان الغير، والشعور بالاكتئاب المصحوب بالحاجة الحادة إلى التفريج عن النفس عن طريق الأكل والشرب.

وكثير من الناس يزداد وزنه بسبب الافراط في السكر والأكـل والشرب

---

(١) في بعض الأحيان يزدرد بعض الأطفال ما أمامهم من طعام حتى ينتهوا منه ليتناولوا طعاما آخر يحبونه ويخشون من أن يجهز عليه. كذلك يبطيء أحيانا بعض الأطفال في أكل ما أمامهم لكي يطيلوا مدة تلذذهم به لا سيما اذا كانوا يحبونه حبا شديدا.

والنوم بعد فقدان زوجاتهم أو أزواجهن، وقد يكون الأكل في هذه الحالات وفي غيرها نوعا من النشاط اللذيذ يتلهى به الفرد عن مشكلاته الأخرى.

كذلك يمكن أن يرجع الشره إلى ضيق الميول، وسعة وقت الفراغ، والملل.

أما أصحاب مدرسة التحليل النفسي فقد ينظرون إلى الشره على أنه تثبيت لمرحلة اللذة الذاتية المرتبطة بالفم (Oral Auto- erotic Fixation) غالبا ما يرجع في أصله إلى مشكلات مرتبطة بعملية الرضاعة.

القيء :

من المشكلات التي ترتبط عادة بتناول الطعام مشكلة القيء ولبحث حالة القيء يعرف أولا إن كان متكرر الحدوث أو عارضا. ويعرف إن كان مرتبطا بمناسبة معينة أم عاما، وبعد أن تحدد المشكلة تفحص الناحية الجسمية أولا، ثم تدرس الحياة الانفعالية وتدرس المناسبات التي يظهر فيها القيء.

وكثيرا ما يحدث أن يكون القيء ناشئا من ارغام الطفل على تناول طعام لا رغبة له فيه[1]، وهذا الارغام يؤدي الى نفسية مكبوتة غالبا، ويعقبها عادة قيء. وقد يحدث القيء - كما يحدث أي عرض جسماني- على أساس (الهستيريا)، التحويلية؛ أي أن التقيؤ يقوم بجذب انتباه الغير، أو بتخويف الكبار،أو يكون تعبيرا عن نفسية أساس انفعالها القرز أو الخوف وما إلى ذلك.

كذلك يمكن أن يحدث التقيؤ بالإيحاء أو بالمشاركة الوجدانية. فبعض الأطعمة قد يوحي للطفل بموارد تشمئز منها نفسه، وقد يتقيأ الطفل لأنه رأى غيره يتقيئون. وقد يكون الإيحاء في حالة التقيؤ ذاتيا أو فرديا أو اجتماعيا، وقد

(١) ماري طفلة أمريكية عمرها سنتان ونصف السنة، جلست مع أمها إلى مائدة الطعام وكان المنزل على ربوة مرتفعة، وفي أثناء جلوسهما كانت زوبعة شديدة جدا شعرا بها شعورا واضحا. وفي أثناء تناول الطعام قدم للطفلة كرع، فرفضت أن تأكله، فنهرتها أمها وأرغمتها ونجحت. وكانت النتيجة أن البنت بدأت تتقيأ، واستمرت أسبوعين تخاف العواصف خوفا شديدا: The Mothers Encyclopedia

يكون ايحاء شهرة أو جماع، ويمكن ايراد أمثلة كثيرة لبيان مختلف هذه الحالات (ص ٧٣).

ويشبه التقيئو ترجيع الطعام، وهو مقتصر غالبا على صغار الأطفال ويرجع لوضع اليد في الفم أو الى ابتلاع بعض الهواء في أثناء الرضاعة، ويمنع بأن يترك الطفل نائماً على ظهره بعد الرضاعة بضع دقائق. هذا الا إذا بدأ فعلا في الترجيع فيحسن رفعه حتى يتخلص من الطعام الذي يرجع. ولترجيع الطعام غير هذه الأسباب البسيطة أسباب طبية لا يمكننا التعرض لبحثها هنا.

ثانيا: المشكلات المتعلقة بالنوم

عند دراستنا لمشكلات الأطفال والناشئين والبالغين يهمنا عادة معرفة كمية النوم ونظامه؛ إذ أن كثيرا من المشكـــلات قد ينتج مباشرة من الاجهاد الجسمي والعصبي الذي لا سبيل إلى التغلب عليه إلا عن طريق النوم.

وكثير من حالات الانقباض ونوبات الغضب، والكسل، وضعف القدرة على التركيز، وانعدام الاستقرار، وكثرة الوقوع في الخطأ، وفقدان التوازن الحركي، وما إلى ذلك، قد يرجع عند الصغار والكبار إلى قلة أو سوء نظامه أو إليهما معا. ويلاحظ أن حالات الأطفال العصبية من تهتهة، ومص أصابع وقرض أظافر، وما إلى ذلك تزداد في الأيام التي لا ينامون فيها جيدا بشكل كاف.

ويدعي بعض الناس أحيانا أنهم لا ينامون إطلاقا، ولكن هذا غير ممكن.

فهؤلاء الناس ينامون نوما خفيفا متقطعا لا يكادون يشعرون به. وقد دلت التجارب على أن الإنسان لا يمكن أن يواصل حياة عادية إذا ترك النوم مدة تزيد على ثلاثة أيام أو أربعة؛ حيث تبدأ حالات انقباض و(هلوسة)، وفقد للتوازن، وفقد شديد للقدرة على التذكر وما إلى ذلك. وقد أجريت تجارب على الحيوان فثبت أن الكلاب تموت إذا لم تنم بضعة أيام.

ونظرا لأهمية النوم الحيوية. ولشدة غرابته كظاهرة؛ اتجه لبحثه كثير من العلماء، وأجروا حوله التجارب، ووضعوا النظريات. ولا يمكننا في هذا المجال أن نتعرض لهذه البحوث الفسيولوجية والكيميائية والهستولوجية والسيكلوجية، وإنما نكتفي بالإشارة إلى نظرية (كلاباريد) [1]، الذي يرى أن النوم ليس نتيجة لحلول التعب، وإنما هو وظيفة حيوية يقوم بها الـــكائن الحي ليقي نفسه من حلول التعب. فالنوم في رأي (كلاباريد) هو صمام الأمان. هذه هي النظرية البيولوجية المقبولة، وهي تفرض كذلك أن النوم من خصائص الكائنات الحية الراقية، ذات المجموع العصبي المركـــزي.

تدل هذه المقدمة على القيمة الحيوية للنوم، وعلى أن النوم تهمنا دراسته من النواحي الوقائية والعلاجية، ويهمنا بنوع خاص أن يكون الناشئ فيه عادات صالحة.

الحاجة إلى النوم عند الأطفال:

يلاحظ أن الطفل الصغير ينام كثيرا، إذ لا يستيقظ بعض صغار الأطفال إلا للتغذية؛ ولكن مدة النوم عند الأطفال تقل تدريجيا إلى أن تصل حدها الأدنى وهو ثماني ساعات تقريبا عند البالغين، ولا يتجاوز عادة هذا الحد الأدنى إلا في مرحلة الـــكهولة. وحاجة الطفل إلى النوم الـــكثير حاجة طبيعية، فعملية النمو السريع التي تبطئ تدريجيا بتقدم الطفل في عمره، تستنفد منه مجهودا كبيرا يستغل في عملية الهدم والبناء اللازمين لأنسجة الجسم، ولا بد له من تعويض هذا المجهود في أثناء النوم؛ بإراحة نفسه راحة تكاد تكون تامة. ويخطئ من يعتقد أن الطفل لا يبذل مجهودا في أثناء ساعات يقظته، فملاحظة الطفل تدلنا على أنه دائب الحركة، لا ينقطع نشاطه، فهو يجري ويمشي، ويتأمل، ويفـــكر،ويمرن عضلات يديه ورجليه وأعضاء نطقه، وهذا كله مما يساعده

---

(١) Quoted by Coriet ; Abormal Psychology.

على فهم العالم المحيط به، ويؤدي إلى كسب مهارة عقلية وحركية تمكنه من حسن التعامل معه والملاءمة له، وبذلك يصير أكثر شعورا بالأمن فيه، وأجرا على تناوله، وتكييفه لرغباته وحاجاته. هذا كله يستنفد منه مجهودا كبيرا، لا يشعر به في أثناء بذله له؛ اذا أنه يصرف غالب هذا الجهد في صورة لعب لذيذ. وهذا المجهود وحيث أن النمو يقل تدريجيا بتقدم العمر، وكذلك النشاط التلقائي الذي أشرنا إليه يقل أيضا مع تقدم السن، فيحل محله عمل جدي محدود، فان الحاجة إلى النوم نفسها تقل كلما كبر الطفل، ولـكنها لا يمكن أن تنعدم.

ففي الشهر الأول ينام الطفل عشرين ساعة تقريبا (١) ، ثم ينخفض ما يحتاجه من ساعات النوم، إلى أن يصل إلى اثنتي عشرة ساعة في سن الرابعة، وإلى ما يقرب من تسع ساعات أو عشر في دور المراهقة، ثم إلى ما يقرب من ثماني ساعات عند اكتمال النمو.

وهناك بين الأطفال كما بين الكبار فروق فردية، فلا يجوز تقنين ساعات للنوم أو مواقيتها أو ظروفها تقنينا محدودا جامدا، كما لا يجوز ترك الأمور بغير تنظيم. فنوع من النظام يقتصد مجهودا كبيرا بالنسبة للأمهات، وله أثره الحسن في صحة الأولاد. وبعض الأشخاص بطبيعتهم يحتاجون لساعات نوم أقل أو أكثر مما يحتاج إليه الشخص المتوسط الذي من نفس العمر؛ ولو أن عدد ساعات النوم يتوقف أيضا على حالة الشخص الجسمية من حيث الصحة العامة والتغذية، وعلى الحالة النفسية من حيث الهدوء أو الاضطراب.

ويتوقف كذلك على الظروف التي ينام فيها الشخص من تهوية، ورطوبة، وحرارة وسكون. وما إلى ذلك.

نظام النوم:

يتناول نظام النوم مسائل عديدة بعضها خاص بمواعيده، وبعضها خاص

---

(١) D. Thom. ; Everyday Proplems of the Everyday Child.

بأمكنته، وبعضها خاص بحالة الشخص الجسمية والعقلية. ويمكن أن نقول : أن الشخص إذا كان في حالة شبع دون امتلاء، وإذا كان خاليا من الأوجاع والهموم، وكان في حالة عقلية هادئة غير متوترة، وكذلك إذا كانت الظروف المحيطة عادية من حيث الهدوء والتهوية والراحة. وما إلى ذلك فانه يمكنه أن يحصل على نوم مفيد إذا كانت مدته كافية[1].

ويحتاج كل شخص كما قلنا، إلى عدد معين من ساعات النوم في كل أربع وعشرين ساعة. ويجب أن يكون قسط غير قليل من هذه المدة في أول الليل. كذلك يجب أن يحصل كل فرد على فترة راحة كاملة في أثناء النهار.

وهذه الفترة يحسن أن تكون قبل تناول الغداء. ويرى البعض أن تكون هناك مرة أخرى قبل تناول طعام العشاء.

وهناك عدد من المبادئ يتعلق بعضها بالظروف التي ينام فيها الطفل. فهل يحسن أن تهيأ ظروف الراحة التامة والهدوء التام للنوم، أو يخشى أن يتعود عليها الطفل، بحيث إذا جدت عليه ظروف أخرى فقدرته على النوم. للاجابة عن هذا نذكر أن الإنسان في حالة الضوء أو ارتفاع درجة الحرارة أو عدم ملاءمة الظروف بأي صورة أخرى قد ينام، وفي أثناء نومه يحدث ما يسمى تكيفا سلبيا (Negative Adaptation) وبه يبذل الانسان مجهودا اضافيا لمنع أثر هذه المؤثرات الخارجية، ولذا نجد أن من ينام بحالة جسمية وعقلية طيبة في ظروف طيبة يحتاج لساعات نوم أقل ممن ينام في ظروف غير مريحة. ولكنا نذكر هناك أيضا أن القدرة على بذل هذا المجهود الإضافي يجب أن تكون موجودة إلى حد ما عند كل شخص، حتى يستعملها إن جدت ظروف لا تكون في الحسبان.

---

[1] تكشف دراسة الأحداث المجرمين والمشردين عن بيوت لا يمكن بحال من الأحوال أن ينام فيها الطفل نوما مفيدا .

ولا يمكننا التعرض هنا لكل قواعد نظام النوم[١] ولكن يهمنا معرفة اتجاهات الآباء نحوه. أول هذه الاتجاهات أن نظام النوم لا يجوز أن يفرض على الطفل بروح الارغام، لأن إرغام الطفل وتحديه فيما يتعلق بالنوم، يترتب عليه انتصار الطفل وقد يترتب عليه تعويده المعاندة، وربما ينتج عنه كراهية الوالدين. ثم ان الارغام نفسه يخلق في الطفل مقاومة. ولو غير ظاهرة، وبذلك ينعدم التراخي اللازم قبل النوم. بالإضافة إلى ذلك لا يجوز أن يستعمل النوم أداة من أدوات التهديد، لأن أقل ما في هذا. أنه يوحي للطفل بفكرة أن النوم أمر يجب تفاديه وتجنبه. ويجب أن يكون موقف الآباء نحو النوم موقفا طبيعيا هادئا، ولا يجوز أن يكون النوم موضوعا يكثر ما يدور حوله من النقاش، خصوصا على مسمع من الأطفال.

ويحسن أن ينام الطفل في سرير مستقل من أول الأمر. وينبغي ألا ينام في غرفة والديه بعد سن السنة والنصف، فكثير من حالات الاضطراب النفسي تنشأ من مشاهدة الاتصال الجنسي بين الوالدين في سن مبكرة. من العمر فيحسن أن يذهب للنوم صغارهم أولا، ولا يرسلون جميعا في وقت واحد حتى لا يحدث احتكاك بينهم.

ويحسن أن تراعى حالة الطفل قبل نومه، فيكون هادئا مسرورا، وليس من الحكمة مفاجأة الطفل بمنعه من اللعب ثم إرساله للنوم. بل يحسن إنذار الطفل، وإعطاؤه مهلة كافية، كأن يقال له أنه بعد عشر دقائق مثلا سينام، فليدبر أمر نفسه لإيقاف لعبته فترة، والبدء بالاستعداد للنوم.

ويلاحظ أن كثيرا من الأطفال يخافون الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم، لأن النوم والظلام كثيرا ما يرتبطان في ذهن الطفل بأمور مخفية، ولأن

---

(١) لاستيفاء هذا الموضوع يحسن قراءة كل ما يتعلق بالنوم في الكتابين الاتيين : The D.A. Kennedy Mothers Management of Babies .The Eamily Book .Len Chaloner The Encyclopedia .

كثيرا من الآباء يتركون المنزل بعد نوم الأطفال دون علم الأطفال أنفسهم بذلك، ولأن الانتقال من حالة اليقظة المعروفة الواضحة إلى حالة النوم الغامضة غير المفهومة يخيف، بحسب ما لاحظنا على بعض الأطفال في سن تقع تقريبا بين الثانية والرابعة(١). لهذا كله يحسن قدر الإمكان تفادي كل ما يجعل النوم مخفيا أو مكروها حتى يتمتع به الطفل كما يجب.

ويحسن أن ينام الطفل مجرد ذهابه إلى فراشه أو بعد ذهابه إليه بمدة قصيرة، فإن لم يحدث هذا فليؤجل ميعاد نومه نصف ساعة مثلا، على أن يعوض له ذلك النقص في وقت آخر. وتعديل بسيط مثل هذا - إذا احتاج الأمر إليه- تكون له في هذه العادة نتائج طيبة.

كذلك يحسن أن يقوم الطفل مباشرة بعد استيقاظه لأن بقاءه مدة طويلة في فراشه بعد استيقاظه يعطيه فرصة للجلبة أو لأحلام اليقظة، وفي مثل هذه الأوقات التي تقضى في الفراش في حالة اليقظة تبدأ عــادة ممارسة العادة السرية.

ومن حالات العيادة حالة ولد في الخامسة والنصف له مشكلات عدة منها التبول، والعناد، وحك عضو التناسل إلى درجة الادماء، وغير ذلك من المشكلات؛ ولكن من مشكلاته أيضا أنه يصحو مبكرا جدا ويصبح توجيه اهله إلى إرساله مبكرا إلى فراشه، وكان ذلك من أسباب سهولة التغلب على هذه العادة وامكن كذلك توجيه أهله إلى ما يجب أن يتبع معه من تنظيم النشاط، وتحسين المعاملة، وتوضيح بعض ما كان غامضا بالنسبة للطفل من حيث العلاقات المختلفة الموجودة بين أفراد المنزل. وذلك لأن انفصال أم الولد عن أبيه قبل يولد مشكلة عنده.

---

(١) شغلت مشكلة الدخول في حالة النوم والخروج منها إلى حالة اليقظة أذهان الفلاسفة والعلماء قديما وحديثا ولم يصلوا إلى أجوبة شافية .

وكتمان ذلك عنه، وتعويده مناداة جده على أنه أبوه، ومناداة أمه لجده في نفس الوقت على أنه أبوها، أوقع الولد في ارتباك شديد. ويغلب أن يكون هذا - بالاضافة إلى الأثر الناشئ من حالة أمه - بعض ما يفسر جزءا من مشكلاته.

بعض المشكلات العادية

ومن المشكلات الهامة نقص قدرة الطفل على الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم الا بمساعدة خارجية، كأن تحمله أمه على كتفها، أو في حجرها، أو تهزه، أو تنام إلى جانبه، أو أن يضع أصابعه في فمه. واعرف أن طفلا كان إلى سن الخامسة لا ينام الا اذا جلس في حجر أمه ووضع إصبعه في فمها وخير طريقة ازاء هذه المشكلات هي منع ظهورها بتاتاً من أول الأمر، لأن تثبيتها يجعل من العسير التغلب عليها أو على مشتقاتها المتنوعة العديدة بتقدم السن. وصعوبة التغلب عليها ناشئة من ارتباطها بالنوم، فنظرا لأهميتها للانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم يصعب جداً ضبطها والتحكم بها.

ومن أخطاء الأمهات حمل الطفل وهزه لأقل صوت يخرج من فيه. مع أن صراخ الطفل ليس كله ألم. فبعضه مجرد تمرين لعضلات الصوت، وبعضه صراخ احتجاج وبعضه صراخ ألماً. فمواجهة الصراخ تكون بإزالة أسبابه لا بمحاولة إيقافه إيقافا مؤقتاً. وبعض الأمهات يحملن الطفل لا لسبب الا بقصد التسلي به. ولا يجوز أن تنظر الأم للطفل كدمية جيء بها لتسليتها الخاصة، وإنما يجب أن تنظر إليه كفرد له كيانه الخاص به والأمهات اللواتي يكثرن من حمل أبنائهن والالتصاق الجسماني بهم هن في العادة الأمهات اللواتي يملكن ميولا أو هوايات أو لا يشعرن بحب لأزواجهن أو من حولهن، فلا يجدن اللذة لأنفسهن الا في أبنائهن. وهؤلاء يصعب عليهن جداً تربية أبناء يعتمدون على أنفسهم. وفي كثير من الأحوال ينال الطفل ما يناله من حمل وهز واكثار من

الضم.. إلى غير ذلك، وعندما تصل سنه إلى الرابعة أو الخامسة، وتجد الأم أن الطفل قد كبر، ولم يعد كالدمية كما كان من قبل، أو تجد الأم أنها أنجبت طفلا آخر به مجال أصلح ممن قبله للتعبير عن انفعالاتها المكبوته، تحدث صعوبات كثيرة من الطفل الكبير، ويقال عنه علناً : انه صار ثقيلا غير مقبول بعد أن كان خفيف الروح. وقد يبدأ عندئذ يخرب، أو يثور، أو يقلق في نومه، أو يظهر بغير ذلك من المشكلات العديدة الناشئة من أنه لا يرغب في التنازل عن امتياز معين بعد أن ناله وتمتع به زمناً، وصار بطريقة ضمنية حقاً مكتسباً في نظره.

وقاعدة عامة حكيمة هي أن يسأل الآباء أنفسهم إن كانوا يريدون استمرار أسلوب المعاملة الذي ينتهجونه مع طفلهم إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة اكتمال النمو أم لا. فإذا لم يريدوا استمرارها إلى اكتمال النمو، فلا يجوز الالتجاء إليها في أي عمر مهما كان صغيراً. بدعوى أنه يمكن الاستغناء عنها مع تقدم السن. ولا يجوز تجريبها، الا إذا كانت ضرورية لهذه المرحلة، ويسهل تحرير الطفل منها بالتدريج مع النمو.

ويلاحظ أن في تعويد الأطفال ألا يناموا الا إذا كان الـــكبار قريبين منهم مجالا طيباً لإثبات ذاتية الأطفال بصورة لا مبرر لهـــا، ولإخضاع الكبار لارادتهم، مما يؤدي حتما - ان عاجلا أم آجلا - إلى احتكاك إرادة الطفل مع ارادة الكبار. ويمكن بسهولة أن نستنتج ما قد يؤدي إليه هذا الاحتكاك عند نفاد صبر الآباء.

ومن أخطاء الوالدين اقلاق راحة الطفل في أثناء نومه لأسباب تافهة فلا يجوز في حالة حضور الضيوف متأخرين في أثناء الليل أن يوقظ الطفل من نومه، ليراه الضيوف. وقد يكون الدافع أنانياً من جانب الأم، أو جانب للضيوف، أو كليهما، كسحب سماع كلمة ثناء، أو حب المفاخرة، أو غير ذلك. ومثل هذا يحدث من بعض الآباء إذا لم يروا أبناءهم طول النهار لانشغالهم، فيوقظوهم ليتسلوا بهم، وقد يحضرون لهم معهم بعض أدوات الإغراء كاللعب والحلوى

وغير ذلك. وهذا يستثير الأطفال ويهيجهم، ويجعل النوم عليهم بعد ذلك صعباً. ولا يجوز إقلاق الطفل ليلا بعد أن ينام؛ إلا إذا كان قد استوفى مدته عند النوم.

وفي حالات كثيرة نجد الطفل تكثر طلباته عند النوم؛ فهو يريد أن يتبول، أو يشرب، أو يقول لأمه كلاما أو غير ذلك، وهذا في العادة معناه أن الطفل يعتمد اعتماداً كبيرا على شخص معين، ويساوره شعور بالقلق خوفا من أن يتخلى عنه هذا الشخص مما يترتب عليه فقد امتياز معين.

وعلى وجه العموم يكون معناه أن الطفل غير شاعر بالأمن الكافي، فيتلمس الطرق التي قد تشعره به. وفي هذه الحالة علينا أن ندرس ظروفه، لنرى ما يكون قد أدى إلى هذه الحالة. فربما كان السبب أن خادمة تركت المنزل، بعد أن تعلق بها الطفل تعلقا شديدا لا يقدره الـكبار في الغالب، ويجب قدر الامكان ألا تهيأ الظروف بحيث يلتصق الطفل بأناس يحتمل جدا أن يختفوا من بيئته. وربما كان السبب أن في ذهن الطفل احتمالا غامضا بأن والديه سيتركان المنزل بعد نومه دون أن يصارحاه بذلك، ودون أن يروضاه على ألا يخاف النوم بمفرده أحيانا. وربما كان السبب أن والدته عودته أن ينام في حضنها ثم تتركه بعد إغفائه فيقوم ولا يجدها إلى جانبه... إلى غير ذلك من مئات الأساليب التي تقلل من شعور الطفل بالأمن أو بالثقة فيمن حوله، والتي يرتبط كثير منها في ذهن الطفل بالنوم.

ويشبه كثرة طلبات عند النوم أرقه، من حيث الأسباب التي تؤدي إليه، ولهذين النوعين من المظاهر أسباب أخرى، كالتخويف بالقصص المزعجة وبأساليب التخويف والتهديد المختلفة، وما إلى ذلك.

ولعل أهم أسباب الأرق في أجزاء الليل المختلفة هي الرغبات المـكبوتة، ومعروف أن الذات العليا أو الضمير اللاشعوري عنصر كابت يقع عادة في نزاع مع الـ(هي)، لذا ينسب الأرق أحياناً إلى يقظة الضمير (خوفا من

طغيان النزعات)، أو إلى الإحساس بالذنب، أو إلى الخوف من الوقوع في الخطأ؛ ومن أسباب الأرق الهموم والرغبات المعلقة غير المشبعة؛ ومن حالات هذا النوع حالة طالب في سن الثامنة عشرة يشكو من أنه يتبلد ذهنه آخر النهار، ويصير غير قادر على الفهم أو المناقشة، ويشعر بحاجته إلى النوم، فإذا ما ذهب إلى سريره تبدأ أفكار كثيرة في الظهور، ويصبح غير قادر على النوم ساعات طويلة، بل يستمر غالبا طول الليل، لا هو بالنائم ولا هو باليقظ، إلى أن تدوخ رأسه من كثرة الأفـكار، وتتخلص حالته في أن لديه شعوراً بالنقص ظهر بوضوح بعد وفاة أخيه الأكبر الذي مات بعد وفاة والده، وسبب شعوره بالنقص أنه يشعر بعدم قدرته على سد الفراغ الذي حدث بوفاة اخيه، وهناك أسباب أخرى لشعوره بالنقص منها شدة صغر جسمه، وعدم نجاحه في مغامرات صغار الشبان، سواء في تكوين الأصدقاء، أو في شهرته بينهم بما يناسب مقدرته، أو في قدرته على محادثة البنات دون وقوع في الاضطراب، ومن مصادر مشكلاته أيضا مبالغة أمه في العطف عليه مبالغة أفقدته ثقته في نفسه، فهي تقضي له كل طلباته ولا ترغب في بعده عنها، وإذا خالفها أصابها المرض، واشعرته أنه السبب في مرضها، فأمه تسيطر عليه سيطرة شديدة بنوع من الضعف الذي تظهره، حتى أصبح الولد ضعيفا جدا أمام ضعفها. ولكنه ممزق بين خضوعه لضعفها، ورغبته في التخلص من هذا الخضوع.

ووصلت به الحال إلى أنه يتمنى الموت بسبب ما هو فيه، ويشفق على أمه أن يؤدي بها ذلك إلى الحزن والمرض. والذي يقض مضجع الولد هو الافكار، وأحلام اليقظة، وخيالات ترتبط بما عنده من رغبات مكبوتة، وصراعات نفسية عنيفة معقدة. وترجع كل هذه المظاهر في هذه الحالة إلى أسباب أخرى أعمق من هذه بكثير يرجع تاريخها إلى سني الطفولة الأولى، ولا تمكن الافاضة في بسطها في هذا المقام.

التقلب والمشي والكلام في أثناء النوم

ويشبه الأرق النوم المصحوب بالتقلب، وكثرة الحركة،والمشي، والكلام والصياح وبعض هذه المظاهر قد يحدث في صغار الاطفال، وكثيرا ما تكون عرضية لا يجوز أن يعلق عليها كبير أهمية. فكل شخص يغير وضعه في اثناء النوم. والشخص العادي يغير وضعه حوالي ٣٥ مرة في الليلة الواحدة، وذلك ليعطى كل جزء من أجزاء جسمه فرصة كافية للاسترخاء والراحة. ولكن يجب توجيه الاهتمام إذا تكرر التقلب والمشي والكلام وما إلى ذلك بدرجة غير عادية. ويجب إذ ذاك أن ندرس الحالة أولا من ناحية الأسباب الجسمانية كسوء الهضم. أو الامساك أو الافراط في الأكل قبل النوم، أو بعض اضطرابات الغدد كالغدد الدرقية، أو وجود الديدان، وأن ندرس كذلك نوع الغطاء ونوع الفراش ونوع التهوية وما شابه ذلك.

وإذا تأكدنا أن هذه الأسباب لا ترجع إليها مظاهر النوم المضطرب فلنبحث عن احتمال فقدان الطفل شعوره بالأمن، أو اختفاء شخص معين عزيز على الطفل بالوفاة أو السفر أو الطلاق أو ما شابه ذلك. وطبيعي أن اضطرابات الأطفال كاضطرابات الكبار لا تظهر في أثناء النهار، وذلك لانشغال الفرد بمجرى الحياة العادية من عمل ولعب، وهذا نوع من الكبت. وتجد النزعات المكبوتة فرصة طيبة للظهور في أثناء الليل في الأحلام، وتكون هذه المظاهر وهي التقلب، والمشي، والكلام، وغيرها أجزاء من الأحلام. والحالة النفسية الأساسية التي ترتبط عادة بهذا النشاط في اثناء الليل هي الخوف، ولو أن هناك أنواعا أخرى من النشاط يكون الفرد قد عاش في جوها في أثناء النهار، ولكنه لم يشبع رغبته اشباعا كاملا منها فيعيش فيها في أثناء الليل. فاذا شاهد أحد الأولاد مباراة كرة القدم، وكانت له رغبة في اللعب لم يستطع تحقيقها فانه قد يحلم بالليل

أنه يلعب. وقد يأتي ببعض الحركات المصاحبة لذلك كالرفس مثلا. مثال على ذلك ان احد الطلبة في مصر في أثناء ثورة ١٩١٩ يقوم بالليل من سريره ويخطب ويهتف.

وكان هذا الطالب يتمنى العظمة والشهرة والقدرة على الخطابة، ولـكن والده يقيد حركاته وسكناته، وكان يمنعه من الاشتراك في نشاط الحركة الوطنية وما فيها من خطب وهتافات ومظاهرات وغير ذلك. ومن بين الحالات التي درسناها، حالة شاب يجلس في سريره فاتحا عينيه كأنما يراقب شيئا والمرجح من دراسة تاريخ حياته أن هناك عاملا مهما في ذلك هو أنه كان احيانا يرى حدوث العملية الجنسية بين والديه مما جعله يفزع ويهم لمراقبتهما واستمر معه هذا إلى أن كبر وتزوج.

ومن الحالات النادرة، حالة غلام كان يقوم بالليل، ويلبس ملابسه ويخرج من غرفة نومه ويفتح الأبواب ويمشي، وكان يقطع ما يقرب الميلين، إلى أن يصل إلى المقابر حيث دفن والده؛ وهناك يركع ويتلو عليه أدعيته وصلواته، ثم يعود إلى منزله وينام في سريره[1]. وفي حالة أخرى أن بنتاً كانت تقوم من سريرها وتذهب للمطبخ وتوقد (شمعدانا، وتمسك به وتمشي إلى الباب الرئيسي للمنزل وتقف (بالشمعدان) في يديها وظهرها ملصق بالباب.

وكان محور حالة هذه البنت أنها كانت تخاف اللصوص فـكانت بعملها هذا كأنها تحرس المنزل منهم[2].

ومعظم حالات النوم المضطرب بأنواعه تكون في الأطفال عرضية ولـكن إذا تكررت بحيث يحتاج الأمر لدراستها بطريقة مستفيضة، فليتجه البحث

---

(١) D. Thom .; Everyday Problems of the Everyday Child

(٢) من حالات احدى العيادات السيكولوجية بلندن عن لسان الدكتور هاملتون بيرسون (Pearson) الاختصاصي النفساني بمعهد علم النفس الطبي بلندن .

بعد استيفاء الناحية الجسمية إلى الحياة الانفعالية للفرد، والبحث عما هو مكبوت عنده من نزعات يراد تحقيقها بطريقة مشبعة.

ومن أنواع الاضطراب الشائعة في النوم التبول، لا سيما بعد انتهاء المرحلة التي يجب أن يكون قد وصل الشخص فيها إلى المقدرة على ضبط الجهاز البولي. ونظرا لشيوع هذه المشكلة سنفرد لها بحثا خاصا.

التبول اللاإرادي

كثيرا ما نجد بعض الأطفال يتبولون في اثناء نومهم بالليل في سن كان ينتظر منهم أن يكونوا فيها قد تعودوا ضبط جهازهم البولي والاستيقاظ لتفريغ ما تجمع في مثانتهم من بول وسن ضبط جهازهم البولي تختلف من طفل إلى آخر اختلافات كبيرة يرجع بعضها إلى حساسية الجهاز البولي، وإلى حجم المثانة وسعتها. وسن ضبط الجهاز تقع بالتقريب في الثالثة من العمر، ولو أن بعض الأطفال يضبطون قبل سن الثانية بكثير[1].

وإذا استمر الطفل يتبول وهو نائم إلى ما بعد الرابعة، فعلى الآباء أن يفكروا جديا في الأمر. وفي بعض الحالات ينجح الطفل في ضبط نفسه في سن مبكرة. ولكن لسبب عارض، قد يحدث أن يتبول الطفل وهو نائم في سن متقدمة بعد أن تمر سنوات عديدة دون أن يحدث منه ذلك.

ومن هذه الأسباب العارضة الإصابة بالبرد العادي أو كثرة أخذ السوائل قبل النوم كمص القصب، أو ما شابه ذلك. وقد يكون السبب العارض انفعاليا. مثال ذلك أن طفلا كان قد نجح في تكوين عادة ضبط الجهاز البولي من سن الثانية، وأريد إزالة لوزتيه وزوائده الأنفية لتضخمها تضخما شديدا في سن

---

(١) وهناك حالة لبنت تمكنت من ضبط نفسها في الشهر الرابع من عمرها ، وقد ذكرتها الدكتورة أليس هتشنسون في كتابها Alice Hutchinson ; Motives of Conduct in Children

السابعة، وفي مساء اليوم الذي تقرر فيه إجراء العملية تبول أثناء نومه. وواضح أن التبول اللا إرادي في هذه الحالة مرتبط بحالة الخوف الطارئة على ذهن الولد.

وعلى هذا فعلى الآباء إلا يعيروا حادثة واحدة من حوادث التبول من الاهتمام ما قد يثبتها في ذهن الطفل، ويشعره بالذنب، وبالنقص، وبالذلة بسبب هذا الحادث المفرد.

ولكن الذي يجب أن يسترعى الاهتمام التبول المتكرر في أثناء النوم بعد سن الرابعة أو الخامسة. وقد يستمر بعض الناس هكذا إلى سن العشرين. وقد يستمر البعض إلى ما بعد ذلك.

الأسباب الجسمانية وعلاجها

الواجب الأول في دراسة حالات التبول هو الفحص الجسمي الدقيق الشامل، فقد تكون هناك أسباب جسمية عامة كفقر الدم، أو الاضطرابات العصبية العامة، أو انتشار (التوكسينات) في الجسم لوجود بؤره (للتوكسين) يجب البحث عنها ومهاجمتها، وقد يكون هناك أسباب جسمية محلية كائنة في الجهاز البولي كالكليتين، أو المثانة، أو مجرى البول. وقد تكون الأسباب الجسمية المحلية مما يؤثر في الجهاز البولي كالتهاب المستقيم مثلا. ويبالغ بعض الناس في أهمية الأسباب الجسمية دون غيرها. ويبالغ آخرون في أهمية الأسباب النفسية دون غيرها. ولكننا ندعو إلى ضرورة الاهتمام بهما معا، وندعو كذلك إلى ضرورة التثبت من علاج ما يحتمل وجوده من عوامل جسمية. ويمكن تقسيم العوامل الجسمانية التي يجب فحصها في التبول إلى ما يأتي:

١. حالة البول ووجوب معرفة ما إذا كانت درجة حموضة البول عالية، أو إذا كان هناك التهاب في حوض الكلية (Pyelitis) أو التهاب في المثانة

(Cystitis)أو التهاب في الحالب أو وجود حصوات في أي جهة من الجهات (الكلية أو الحالب أو المثانة).

٢. حالة التهاب مجرى البول المعروفة في الذكور باسم (Urethral Inflammation) وفي الاناث باسم (Vulvo Vaginitis).

٣. التهابات المستقيم (Proctitis).

٤. الديدان المعوية والبلهارسيا والانكلستوما.

٥. عدم التحام العمود الفقرى في أجزائه السفلى واسمه Spina Bifid Occult .

٦. الإمساك وسوء الهضم.

٧. تضخم اللوز والزوائد الأنفية.

٨. الحالة العامة كالانهاك العصبي وفقر الدم ونقص (الفيتامينات) وما إلى ذلك.

ويجب علاج الحالة الجسمانية التي يحتمل أن تكون أحد العوامل الأصلية أو المساعدة التي تؤدي إلى التبول علاجا حاسما عند بدء ظهورها.

ومن الجائز أن يستمر التبول حتى بعد علاج العامل الجسماني بحكم العادة. فيجب بعد ذلك العمل على تكوين العادات اللازمة للتغلب على البول في أثناء النوم.

ومن الحالات التي أرسلت إلى العيادة السيكلوجية، ولد عمره ثلاث عشرة سنة كان يتبول وهو نائم، وكان ضعيفا شاحب اللون، واتضح أنه مريض بالبلهارسيا، وبالتهاب في قناة مجرى البول، وكان يسعل صباحا ومساء،وعنده بعض الالتواء في العمود الفقري. وكان الولد بالقسم الداخلي في إحدى المدارس، وأمكن علاجه من الكثير مما كان به من الأمراض مما حسن في صحته العامة، ومكنه من بذل جهد مثمر. وأمكن عمل الترتيب اللازم لاعطائه الطعام المغذي المناسب.

وهناك حالة أخرى لولد أرسل في سن السابعة والنصف إلى العيادة لما عنده من تهتهة، وتبول، وبعض حركات عصبية. واتضح بفحصه أنه شره وضعيف البنية؛ إذ أن وزنه أقل من العادي بالنسبة لطوله وسـنه بمقدار خمسة كيلو جرامات تقريبا، واتضح كذلك أن عنـده احتقانا في اللوزتين، وأن لديه زوائد متضخمة. وبتحليل البراز وجدت به بويضات وديدان (الأوكسيروس) (Oxyuris) وكان واضحا بدراسة ظروف الحالة من الناحية الاجتماعية أن أول وأهم ما يحتاجه هو العلاج الجسماني.

وقد تعاونت الأسرة مع العيادة تعاونا كاملا، فأزيلت اللوزتان والزوائد، وعولج من (الأوكسيروس)، ونصحنا الأسرة أن ينام الطفل بمفرده – إذ كان ينام مع أخت له كانت تتبول أحيانا – وألا يذهب للمدرسة حتى يتقوى جسمه وذلك بأن يلعب اللعب الكافي ويتغذى. وبالفعل تحسنت حالته كلها، فقلت حركاته العصبية وقلت تهتهته. وللحالة ظروف واعراض أخرى غير ما ذكرنا.

الأسباب النفسية:

وفي بعض الأحيان يرفع التبول إلى عوامل نفسية أهم عنصر فيها هو عنصر الخوف، سواء أكان قائما بذاته أم داخلا في تكوين انفعالات مركبة.

وقد يكون الخوف قائما بذاته، كما في الخوف من الظلام، أو من الحيوان، أو من التهديد، أو بعد سماع قصة مزعجة. أو غير ذلك.

وقد يدخل الخوف في تركيب انفعال آخر كالغيرة؛ فمن الانفعالات الداخلة في تركيب الغيرة خوف الشخص من فقد امتياز معين فقدانا نهائيا. ففي حالة مجيء مولود جديد في الأسرة، قد يهتم به الوالدان ويهملان من قبله. فتبدو على هذا مظاهر الغيرة بصورة أو أكثر من صورها المتعددة، ويصحبها في ذهن الطفل خوف من أنه فقد اهتمام والديه به إلى الأبد. ويصحب هذا أيضا شعور بالنقص، وكثيرا ما يصحب الغيرة من مولود تبول، أثناء النوم.

وليس من السهل ارجاع حالة التبول إلى عامل عائلي واحد، كظهور مولود في الأسرة. أو تفضيل أحد في الأسرة على صاحب الحالة، أو وفاة عزيز، أو غير ذلك بل نجد عادة أنه يترتب على تغير الجو الذي يسود البيئة التي يعيش فيها الطفل فقده ثقته بنفسه، وخوفه على مركزه في الحال أو الاستقبال، مما يسبب له أحلاما مزعجة في أثناء الليل، يصحبها أحيانا فقدان القدرة على التحكم في ضبط عضلات الجهاز البولي.

لنأخذ حالة توضح ما نقول، وهي لولد في سن الثامنة يتبول في أثناء نومه مرات عديدة في كل ليلة، وقد بدأ ذلك عقب وفاة والد الطفل وهو في سن الرابعة، أي بعد أن كان قد قطع مرحلة طويلة في ضبط نفسه من التبول. وبدراسة الحالة وجدنا أن الحالة الصحية طيبة وخالية من جميع الأسباب الجسمانية التي يحتمل رجوع الحالة إليها. وأن الأسرة كانت حالتها المالية فوق المتوسط، وكان الوالد شابا ناجحا جدا في عمله، وكان كل من الوالد والولد متعلقا تعلقا شديدا. فــكان يأخذ ابنه معه في نزهاته، وفي الحفلات الكثيرة التي يدعى إليها. وكان الولد لحيويته وجمال شكله وذكائه ولباقته موضع فخر والده، وموضع التفات أصدقائه.

فكان الوالد بذلك مرتبطا في ذهن الولد برباط جميل سار. مات الوالد فجأة، وشاهد الولد بعض ما يصحب الوفاة من أمور مزعجة غير عادية.

وبذلك حدث انقلاب فجائي في مجال حياة الطفل، ويلاحظ أن الأم كانت أقل تعلقا بالابن من الوالد، وكانت أكثر تعلقا بابنتها الصغرى منها بالولد، وبعد وفاة الوالد حصل هبوط شديد في مستوى موارد الأسرة مما اضطرها إلى تغيير مستوى معيشتها تغييرا كبيرا جدا. فقد أخذت الأم أولادها وسكنت مع أمها في مسكنها الذي لم يكن يتسع أصلا لها ولا بنتها الأخرى وابنها. ومع ذلك رتب المنزل لإخلاء غرفة للولد وأمه وأخته.

وبعد مدة قصيرة تضايقت الجدة من الأولاد ومن ميلهم إلى الحركة واللعب والصياح، الأمر الذي لم تعتده في سنواتها الأخيرة. فــكانت تعلن سخطها وتضايقها على مسمع من الأولاد، ونظرا لأن الولد أكثر نشاطا واقلاقا من البنت، كان يخصه من سخط جدته النصيب الاكبر، وما وصل الطفل إلى سن السادسة حتى بدأ يحدث في مجال حياته تغيير جوهري آخر وهو أن أمه بدأت تفكر في الزواج، وكان الولد غير راض بهذا الزواج.

وعدم رضائه قد يكون بعضه بوحي ممن حوله من جدة وخال وخالات وأقارب، وبعضه قد يكون لأنه كان يحس احساسا غامضا أنه يمكنه أن يحل محل الوالد بعد وفاته، فــكان يريد أن يحتفظ بهذه المكانة. وبعضه قد يكون راجعا لأن نفسه تأبى أن يحل شخص غريب محل أبيه. وبعضه قد يكون راجعا لما يسمعه من أن زوج الأم يجعل جو المنزل عادة غير سائغ لأولاد من زوج آخر.

خلاصة الأمر أن الولد كان كارها لهذا المشروع وكارها لأمه[1] وبالتالي أصبحت أمه تكرهه وكانت تؤلب أخته الصغيرة عليه لدرجة أنها كانت تطلب منها أن تبصق في وجهه إذا هو غاظها، ولهذا أصبح مركز الطفل في مجال حياته ينتقل بسرعة من سيئ إلى أسوأ، فبعد أن فقد الولد أباه، لم يجد أمه ولا جدته عوضا، بل بالعكس، وجد فيهما خصما على تقديره. وأخذت هذه الخصومة تزداد، وبذلك ازدادت مخاوفه وازداد ضعــف ثقتــه ببيئته زيادة كبيرة.

لوحظ الولد في أثناء نومه، وكان يتقلب وينام نوما مضطربا، وكان عند تبوله في أثناء نومه يصيح ويشتم موجها شتائمه للنساء، وكان تبوله مصحوبا بشبه كابوس شديد، وكان من أحلامه أن يحلم بمصارعة الثعابين، التي كانت تعضه وتغلبه على أمره. ولعل الثعبان كان في أحلامه رمزاً لخطيب الأم.

---

(١) دلنا على وجود هذه الكراهية أساليب التعامل المتبادلة بين الولد وأمه، وغلبة الظن أنها كانت غير شعورية.

حاولت العيادة الحصول على تعاون الأم في المساواة في المعاملة بين الولد والبنت، وفي بذل جهد في معاونة ابنها على تكوين عادة الاستيقاظ، وفي تحسين مركز الولد بتحسين مجال حياته. والوصول به إلى شعوره بحب والدته وتقديرها له؛ ولكن الأم لم تتعاون مع العيادة بل كانت تريد أن تعالج ما عند ابنها دون أن تبذل هي من جانبها أي نوع من الجهود أو التضحية.

فكانت تريد دواء تعطيه لابنها ليتناوله حتى يشفي ما به. اما أن يطلب منها بذل جهد ما، فهي تفضل أن يستمر ابنها فيما هو فيه.

ومعظم الحالات الأخرى يرجع فيها السبب إلى أن مجال حياة الطفل يفقده الشعور بالأمن، فتصبح قلقة، ويبدو قلقه هذا في مظاهر متعددة لا يخرج التبول في أثناء النوم عن كونه واحداً منها. فحالات التبول تظهر معها التهتهة أحياناً يكون معها الجبن وضعف الثقة بالنفس، ويظهر معها أحياناً الميل الشديد إلى التخريب ونوبات الغضب والميل الشديد إلى المعاندة كما في الحالة التي فصلناها.

ويلاحظ في حالات كثيرة أنه ليس من السهل تحديد السبب أو مجموعة الأسباب التي يرجع إليها التبول في أثناء الليل. ففي إحـــدى الحالات التي وردت للعيادة وهي حالة تلميذ بالقسم الداخلي بمدرسة ابتدائية كان في الثالثة عشرة من عمره، أرسل للعيادة لخموله الدراسي الشـــديد، ولتبوله في أثناء الليل. وكان الولد ضخم الجسم سمين الصدر والردفين، مما يشعر باحتمال اضطراب في إفرازات الغـــدة النخامية، ولا سيما أنه متأخر بعض الشيء في نموه الجنسي، وقد أدت ضخامته وغرابة شكله وسلوكه إلى استهزاء التلاميذ به، وأغرتهم بإثارته، وهو قليل الاستقرار، كثير الحركة، كثير الكلام يميل إلى العمل المدرسي اليدوي كالرسم والأشغال، ولا يميل إلى العمل العقلي. وهو لا يشعر بالمسئولية، ولا يعرف ما له وما عليه.

وهو يهمل نفسه كثيراً، ويتهيج إذا أثاره زملاؤه. والداه متوفيان، وقتل أخوه بعد وفاتهما وأصبح الولد في هذه السن المبكرة وحيداً. ولا يوجد على قيد الحياة من أقاربه سوى خاله وابن عم أبيه.

وهو بالإضافة إلى هذا كله مصاباً بالبلهارسيا، وعنده زوائد أنفية، وهو يميل كثيراً إلى أكل الأشياء الشديدة الحلاوة. هذا الولد لديه مجموعة من العوامل الجسمانية والاجتماعية التي يصح أن يترتب عليها التبول في أثناء الليل. ويجب عدم البدء بأي نوع من أنواع العلاج الأخرى إلا بعد التأكد التام من أن جميع الاحتمالات الجسمانية التي يصح أن يرجع إليها التبول قد أزيلت. فالواجب الأول هو علاج البلهارسيا وإزالة الزوائد الأنفية، وبحث حالة الغدة النخامية، وعلاج ما قد يكون بها من نقص بإعطاء مستخلص بعض الغدد اللازمة مثلا. بعد هذا كله يمكن أن يمرن على عادة الاستيقاظ في الأوقات المناسبة للتبول، ثم تعالج نواحي النقص الاجتماعية الأخرى ما أمكن. ولم تتمكن العيادة من تطبيق الخطوات السابقة الذكر لانتقال الولد من القاهرة إلى الاسكندرية وانقطاع صلته بالعيادة.

ومن أهم أسباب التبول اعتماد الطفل على أمه، أو حاجته للجوء إليها. ففي كثير من حالات التبول نلحظ أن الطفل يعتمد كثيراً على أمه؛ فهي تطعمه، وتلبسه، وتقوم له بكل صغيرة وكبيرة، والتبول هنا قد يكون حيلة لا شعورية تساعد على تحقيق ما تشتاق إليه نفس الطفل مما تعوده.

ويلاحظ أيضا أن الحالات التي يكون فيها الأب قاسيا على الطفل يكون الطفل فيها بحاجة إلى اللجوء إلى الأم، والتبول قد يأتي بأمه قريبة منه. ونجد في الحالة التي شرحناها بالتفصيل في أن العامل الهام هو أن فقد الأب ربما زاد في حاجة الطفل إلى أمه، وقد كانت الأم بالإضافة إلى ما تقدم لا تتركه يعتمد على نفسه في شيء، حتى أنها كانت هي التي تجيب عن الأسئلة التي

توجيهها إليه، ووصل به الأمر أنه – وهو في سن الثامنة – لم يكن يعرف كيف يلبس حذاءه ولا قميص نومه، وربما كان هذا الاعتماد على الأم عاملا آخر يتدخل في حدوث تبوله.

وربما كان اعتماد الطفل على أمه تفسيرا مقبولا لما يلاحظ في حالات عديدة من تبول الطفل الأخير أو الشبيه بالأخير، أو للوحيد، أو الشبيه بالوحيد. وربما أمكن أحيانا أن يفسر بنفس الطريقة تبول الطفل الذي يمرض كثيرا وهو صغير، فينال من أمه عناية زائدة ثم يشفى بعد ذلك، ويكبر، ثم يبدأ يفقد هذا الامتياز وهو لا يقوي علة فقده. من هذا كله تتبين قيمة تحرير الطفل من اعتماده على أمه في جميع أموره بما في ذلك التبول وغيره.

وفي ضوء ما تقدم نرى أن التبول اللاإرادي يمكن النظر إليه – في عدد غير قليل من الحالات – على انه تعبير لا شعوري من النوع الذي سميناه النكوص – أي الرغبة اللاشعورية للرجوع إلى حالة الطفولة التي يتمتع فيها الطفل برعاية الأم. وقد وجد بعض الباحثين أن أكثر من ٥٠% من حالات التبول اللاإرادي التي ترسل إلى العيادة السيكولوجية في أوروبا فقد الطفل فيها عطف أمه ورعايتها وعنده حاجة شديدة إليها.

مصاحبات التبول

للتبول في أثناء النوم مصاحبات بعضها نتائج للتبول نفسه، وبعضها نتائج للأسباب التي نتج عنها التبول. ولعل أبرز هذه هي النتائج المحسوسة كاتساخ الفراش وتعرضه للتلف وتلويث هواء غرفة النوم، التي تكون عادة قليلة التهوية غاصة بالنائمين، ومن هذه المصاحبات كذلك الأعراض السيكولوجية التي تنتج من الشعور بالنقص، أو فقدان الشعور بالأمن.

وهذه الاعراض إما أن تكون من نوع الشعور بالنقـص، أو فقد الشعور

بالأمن، كالفشل الدراسي، والشعور بالذلة، والخجل، والميل إلى الانزواء والتهتهة، والنوبات العصبية والاستمناء، وغير ذلك؛ وإما أن تكون الاعراض تعويضية كالعناد، والتخريب، والميل إلى الانتقام، وكثرة النقد، وسرعة الغضب، وغير ذلك. ويصاحب التبول -في كثير من الحالات- النوم المضطرب، والأحلام المزعجة، وتدهور الحالة العصبية.

ويبدو أن هذه الأحلام مجرد مصاحبات للتبول، وليست سببا له. وقام أحد الباحثين بدرس أنواع الشخصية في حالات التبول فوجد بعد استثناء حالات الضعف العقلي وما يشبهها أنه يمكن تقسيم أصحاب الحالات إلى نمطين اثنين.

أحدهما النمط العصبي الهائج الزائد النشاط، وثانيهما النمط الليمفاوي الخامل القليل النشاط. والنوع الثاني يكون عميقا في نومه، ويغلب أنه لا يحس بامتلاء مثانته. أما النوع الأول فيغلب أن يكون العامل الأساسي عنده هو اضطراب حياته الانفعالية بسبب اضطراب مجال حياته.

ويحدث التبول أحيانا عند المراهقين مصاحبا لبعض الأحلام الجنسية ويبالغ بعض أتباع فرويد فيعتبرون أن نشاط التبول سببه جنسي، فبعضهم يتكلم عن التلذذ للمجارى البولية (Urinary Sexuality or Urethral Erotism) وهذا الرأي قليل الانتصار.

ومن الملاحظ أن النجاح في علاج حالة التبول تنقشع معه كثير من مصاحباته، لأن الذي يعالج عادة ليس التبول فقط، وانما هو المجال الذي يعيش فيه الطفل والذي يترتب على صفته العامة فقد الشعور بالأمن، والذي يكون التبول فيه عرضا واحداً من مجموعة صغيرة من الأعراض وتزول مع حالة التبول في كثير من الأحيان نتائجه المباشرة كالشعور بالذلة، والخجل، والتأخر الدراسي، والميل للوحدة، وما شابه ذلك.

العلاج والوقاية

سبق أن ذكرنا أنه يجب التأكد أولا من سلامة الجسم من كل ما يحتمل أن يكون عاملا فعالا أو عاملا مساعدا في عملية التبول. ولهذا يجب فحص حالة الجسم العامة والمحلية فحصا دقيقا، ويجب تحليل البول والبراز والدم لهذا الغرض. ويبالغ بعض المعالجين أحيانا في علاج الناحية الجسمية بمحاولة إعطاء أنواع من الحقن أو توسيع مجرى البول أو تنظيف المثانة...

وغير ذلك وكان الأطباء إلى ما يقرب من ربع قرن مضى يعتقدون أن المشكلة جسمية صرفة، ولـــكنهم بدؤوا يرون في السنوات الأخيرة أنها يمكن في غالب الأحيان أن تكون ذات أصل سيكولوجي.

ويجب أن يتجه الذهن بعد استكمال الفحص الجسمي إلى تحسين حالة البيئة التي يعيش فيها الطفل. فيجب أن يعيش الطفل مطمئنا، ولذلك يعالج ما قد يكون بين الوالدين من خلاف، وتعالج طريقة معاملة الوالدين للطفل. ويعالج كذلك ما قد يكون هناك من غيرة أو فشل دراسي.. أو ما إلى ذلك.

ويلاحظ أن الوالدين –عند مواجهتهما للتبول – يقعان عادة في كثير من الأخطاء. ويؤدي بعض هذه الأخطاء إلى تثبيت المشكلة، أو الإيحاء بشدة أهميتها وصعوبة التخلص منها، أو الإيحاء بثبوتها في طبيعة الطفل لدرجة لا يفيد بذل أى مجهود إزاءها.

ومن هذه مثلا أن يعلن الآباء أن الطفل يشبه في تبوله في أثناء نومه بعض أقاربه، مما قد يوحي بأن المشكلة وراثية وبألا أمل في التخلص منها. كذلك قد ينسب الآباء المشكلة إلى سبب جسماني، فيهملون العلاج النفسي، وقد يغفلون عن السبب الجسمي رغم أهميته فيصعب على الطفل إذ ذاك تكوين العادات اللازمة للتغلب على مشكلته لأن السبب جسماني صرف كالتهاب المجاري البولية أو غير ذلك. ومن أخطاء الآباء أن يعلنوا أن الطفل سيتغلب

على مشكلته هذه بعد نموه نموا كافيا، وبذلك يكفون أنفسهم مؤونة بذل الجهد في مساعدة الطفل للتغلب على مشكلته.

ويجب التنبيه إلى ضرورة عدم إذلال الطفل، وعـدم ضربه وتوبيخه أو معاملته بالغضب، أو لصق وصمة به، أو اعتباره بائساً مسكيناً... إلى غير ذلك. فهذه كلها أساليب من شأنها أن تعود الطفل توقع الشر ويفقد القدرة على ضبط المثانة بسبب الخوف والإحساس بالنقص، ولكن يجب أن يعامل بالعطف والإرشاد العاديين، على ألا يبالغ الآباء في العطف فيشتطون في مراعاتهم شعور الطفل إلى حد أنهم يخفون مثلا معالم التبول قبل أن يشعر بها الطفل نفسه بأن يغيروا له ملابسه أو فراشه قبل أن يستيقظ من نومه، وهذه المبالغة في مراعاة إحساس الطفل توحي له بخطورة المشكلة وأهميتها، وصعوبة التغلب عليها.

ويراعى في معالجة حالة التبول أن يشعر الطفل بضرورة معالجتها، وأن علاجها أمر بسيط يتوقف نجاحه كله عليه شخصياً، وأن المشكلة خاصة به وليست مشكلة أمه أو أبيه، ولو أن العلاج يحتاج في أول الأمر إلى مساعدة الكبار المحيطين بالطفل، كإيقاظه في ساعة معينة في الليل تقع غالبا حوالي الحادية عشرة تقريبا. وأكبر صعوبة تقابلها العيادة أنها لا تحصل عادة على المعونة الكافية من الكبار المحيطين بالطفل؛ فالأمهات لا يردن عادة أن يبذلن المجهود الكافي. ولا صبر لهن على التطبيق المنتظم المتكرر لقاعدة معينة جديدة.

وكثيرا ما كن يقلن انهن طبقن كل التعليمات التي أعطيت، ولا فائدة، ولا نتيجة. وبالاستقصاء الدقيق ينصح أن التعليمات لم ينفذ منها شيء قط. فإذا أمكن التأكد من معاونة الأمهات،وكانت عملية غرس فـكرة في الطفل ناتجة عن مقدرته على التغلب على صعوبة عملية سهلة يقوم بها الاختصاصي النفساني.

ويمكن تلخيص عوامل نجاح معالجة حالات التبول في: المواظبة، والدقة في تنفيذ النظام الذي تضعه العيادة، وفي وجود الاهتمام الكافي من جانب الطفل والأم وفي الثقة بالنجاح.

وهذه الثقة تزداد عادة بالنجاح نفسه والشعور بمقداره، ويأتي هذا كله بعد التأكد من إزالة الأسباب الجسمية أو العوامل الانفعالية الناشئة عادة بدورها من مجال حياة الطفل.

ويصح أن نضيف هنا بعض القواعد التي يجب أن تراعى بوجه عام مع كل طفل، وبنوع خاص مع الطفل الذي تكون لديه حالة تبول في أثناء النوم:

١- اتباع نظام دقيق جداً لمواعيد التبول وتنفيذ هذا النــظام من الأشهر الاولى(١).

٢- تعويد الطفــل نهارا ضبط نفسه مدة كافية، وذلك بالمباعده بين أوقات ذهابه للتبول نهــارا، ويمكن الناشئ بالتمرين أن يتبول مرة كل أربع ساعات أو خمس. ومع ذلك يجب تعويد الطفل تلبية الحاجة للتبول في الوقت المناسب، لأن حبس البول مدة طويلة جدا يفقد المثانة قدرتها الطبيعية على حجز البول.

ويجب تعويد الطفل الاستيقاظ ليــلا، بإيقاظه إيقاظا تاما لهذا الغرض بعد ذهابه للنوم بساعة ونصف تقريبا، ثم يوقظ مرة أخرى بعد ذلك بأربع ساعات أو خمس، ويمكن كل أم أن تكتشف الوقت المناسب لإيقاظ طفلها. ويجب تعويد الطفل التبول قبل نومه مباشرة.

٣- استيفاء الشروط الصحية المعروفة للتغذية، واللعب، والنوم، من حيث

---

(١) هذا النظام يمكن الاطلاع عليه في أي كتاب من كتب تربية الأطفال مثل ـ دستور الطفل للدكتور مصطفى الديواني ـ الفصل الخامس. Alice Hutchinson ; Motives of Conduct in Children CG. Aupyn The Family Book L. Chaloner: The Mothers Encyclopedia

الكمية والنوع والمواعيد.

٤- منع أكل الأشياء التي تتطلب شرب كميات كبيرة من الماء، كالمواد الحريقة أو الشديدة الملوحة أو الحلاوة.

٥- منع تناول السوائل بكميات كبيرة قبل النوم.

٦- منع جميع المهيجات المحلية في الأجهزة البولية وما حولها ومنع مسببات الامساك.

٧- مساعدة الطفل على التغلب على ما يجعل عملية التبول صعبة وهذه الصعوبات قد تكون في الملابس، فيجب أن تكون الملابس بحيث يسهل حلها عندما تظهر الحاجة إلى ذلك. وقد تكون الصعوبة في المكان المخصص للتبول كبعده أو ظلامه أو ظلام الطريق المؤدي إليه، أو في عدم ملاءمته لأمر ما، مما قد يدفع الطفل إذا هو استيقظ للتبول في أثناء الليل إلى تأجيل عملية تفريغ البول إلى الصباح، وبذلك قد تفرغ مثانته رغم ارادته.

٨- إذا كان الطفل يخاف الظلام فليكن في غرفة نوم ضوء بسيط جدا أو (بطارية) أو إناء خاص للتبول، أو فليصاحبه أحد الكبار المحيطين به إلى دورة المياه.

٩- زيادة ساعات النوم والراحة للطفل الذي يتبول في أثناء النوم؛ إذ يكون هذا النوع من الأطفال عادة منهك الأعصاب. ولزيادة ساعات الراحة، - خصوصا في القيلولة -أهمية أخرى وهي أنها تقلل من عمق النوم بالليل لأن هذا العمق يجعل الاستيقاظ أمرا عسيرا. واغلب الذين في نومهم ليلا لا يوقظون عادة إلا بصعوبة كبرى.

١٠- توفير ما يؤدي إلى اشباع الطفل حاجاته الأولية من أمن وتقدير وعطف وحرية... وما إلى ذلك.

التبول في أثناء اليقظة

وتوجد بعض حالات التبول في أثناء اليقظة، ولو أن هذه العادة عرضية وقليلة الوقوع، وتحدث غالبا في المواقف التي ينشغل فيها ذهن الطفل انشغالا كبيرا باللعب أو المشاجرة أو المناقشة أو غير ذلك. ويظل الطفل يؤجل عملية افراغ مثانته إلى أن تأتي اللحظة التي لا يقوى فيها على ضبط نفسه إذ ذاك غير كاف للذهاب إلى المكان المناسب لعملية التفريغ.

وبعض الأطفال ينسون أنفسهم، وينصرفون للعبهم، فتفرغ مثانتهم، ولا يتنبهون إلا في وقوع الحادث.

وواجبنا في هــذه الحالات أن نتحدث إلى الطفل، ونفهمه ما يجب عمله بمجرد الشعور بالحاجة إلى التفريغ، ونفهمه أنه إن تكرر منه هذا فإنه ربما لا نسمح له باللعب مع أصدقائه، ذلك اللعب الذي ينسيه أداء هذه العملية، ويكون هذا في العادة كافيا لمعالجته.

ويحدث هذا نفسه أيضا في تلاميذ المدارس الأولية والرياض عند أول ذهابهم إليها وعدم تقديرهم لبعد دورات المياه عن حجرات الدراسة، ولتحرجهم أحيانا من طلب الخروج من الفصل، وغير ذلك من الأسباب العادية البسيطة التي تسهل معرفتها، ويسهل التغلب عليها إذا قدرت وحسب لها حسابها.

وقد يرجع التبول في أثناء اليقظة للغيرة، أو الخوف، أو عدم الشعور بالأمن. وقد حدث مرة أن كانت أم معها طفلها الوحيد، وعمره ثلاث سنوات، وكان قد تعود أن تحمله أمه على كتفها، وأن تجلس في حجرها إلى غير ذلك. وبينما هم في منزلهم إذ جاءتهم سيدة زائرة ومعها ابنتها التي تبلغ سنها سنة ونصف. وكما هي العادة أخذت الأم ابنة السيدة الزائره وحملتها على كتفها، ولاعبتها وداعبتها.

وكان ابن سيدة البيت مولعا، فبدت عليه الغيرة، وأخذ يشد أطراف ملابس والدته وأظهر علامات الضجر، فأنزلت الأم ابنة السيدة الزائرة، ثم حملته وفيه غيره وخوف، ونكوص تبول وهو على كتف أمه، وهذا موقف قد يكون فيه غيرة وخوف. ونكوص، وانتقام من الأم...إلى غير ذلك.

ومن حالات التبول في أثناء اليقظة وفي أثناء النوم على حد سواء، حالة لـبنت في السابعة من عـمرها حولت إلى العيادة السيكولوجـية، لعنادها وبذاءة ألفاظها ووقاحتها ومخالفتها كل أمر وتدللها على كل من حولها.

واتضح أن هناك أمراً آخر لم يذكر في الشـكوى، وهو تبول البنت (على نفسها) في حالتي النوم واليقظة، وبدارسة الحالة اتضح أن البنت تعيش مع جدتها لأبيها في ضاحية من ضواحي القاهرة، وجدها هذا متزوج بخالتها التي لم تكن تنجب أطفالا الا ماتوا في الأسابيع الأولى من عمرهم، فقد وضعت ما يزيد على عشر مرات (خمسة بنين. وثلاث بنات، وبضع سقطات) أما والد البنت وأمها وبقية أولادهما فإنهم يعيشـون في بلده بعيدة عن القاهرة. وهؤلاء الأولاد عددهم جميعا أربعة بينهم ثلاثة ذكور تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات وسنة واحدة، وكانت البنت التي نحن بصددها أول أخواتها وأنثاهم الوحيدة.

وظهر أن زوجة الجد أو خالة البنت تسيطر على الجميع، فكلمتها المسموعة من الوالد. وهي بالرغم من قوتها ضعيفة للغاية مع البنت؛ إذ تدللها، وتجيب كل ما يمكن تصوره من طالبتها، وتستجدي رضاءها حتى تبقى معها ولا تطلب العودة إلى أمها وأبيها.

ويظهر أن البنت وقعت في صراع عنيف بين أن تمكث مع خالتها حيث يمكنها أن تتمتع بكل ما تريد متى شاءت، وأين شاءت، وكيف شاءت، أو أن تذهب إلى مكانها الطبيعي مع أمها، وأبيها، وأخواتها، حيث يمكنها أن تلعب، وتتسلى، وحيث يوجد بعض النظام والضبط. يظهر أن البنت في هذا الصراع،

ومن نتائجه أنها أصبحت مزعجة من كل ناحية فهي تغني، وترقص، وتنظر في المرآة الساعات الطوال، وتأكل ما تشاء دون مراعاة للكيف أو الكم أو الوقت المناسب، وتذهب للمدرسة متى تشاء. وهي تعاند، وتخرب وتصرخ، وتشتم الجميع من الجد إلى أصغر خادم في المنزل بأقذر الألفاظ. وتقطع الزرع، وتفتح بصنابير المياه لتغرق الحديقة كلها، وتكسر الأشياء عمدا. وتصر على طلبات في أوقات يستحيل تنفيذها فيها.. إلى غير ذلك وقد اشتكت منها الروضة مرارا وتكرارا وهي بالإضافة إلى كل هذا تتبول نهارا وليلا. أرسلت البنت إلى أطباء اختصاصيين، ولم يجدوا بها ما يبرر عصبيتها وتبولها إلا بعض الامساك. وقد نصحنا الجد بوجوب إرسالها إلى أبويها، فتنهد الرجل وقال إن زوجته ستموت كمدا إذا هي أرغمت على مفارقتها، ولم يكن هناك سبيل إلى إرغامها في نظره.

ونصحناه أيضا بوجوب تنظيم حياة البنت في منزل أبيها. وإلى أن يتم نقلها هناك نصحناه بوجوب منع الأكلات الصغيرة بين الأكلات الرئيسة لأن هذه هي التي تقلل ظاهريا من شهيتها وتدفعها لكثرة شرب الماء. ولكن في الزيارة الثانية للعيادة لاحظنا أن جيوب البنت محشوة بأنواع الحلوى، فلما وجهنا نظر الجد أقسم بأن هذا قليل جدا، ولم يدفع فيه أكثر من قرشين اثنين، إذ تعلقت البنت ببائع الحلوى في الترام فاضطر حتى لا يقهر رغبتها. وبعد زيارات طويلة متتالية وافق الجد على إرسال البنت إلى أمها وسافرت فعلا.ثم انقطعت أخبارهم عنا رغم تكرر كتابتنا لهم.

يتلخص علاج حالات التبول في أثناء اليقظة في أساسه في إعادة تنظيم مجال حياة الطفل حتى تزول أسباب قلقه، وحتى يتعود عدم التسويف إذا ما شعر بالحاجة إلى التبول.

ثالثاً: المشكلات العصبية والنفسية

من طبائع الأطفال كثرة الحركة، والميل إلى اللعب، وندرة التركيز والانتباه في أمر واحد لمدة طويلة. ويلاحظ أن الطفل لا يستقر نشاطه إلا في حالة واحدة؛ هي انشغاله بأمر لذيذ يركز فيـــــه كل اهتمامه وانتباهه.

هذه كلها ملاحظات عادية يستفيد منها الإنسان بأنه إذا لاحظ أن طفلا ما قليل الاستقرار، فليتدبر ما يصح أن يركز فيه الطفل انتباهه؛ وبذلك يصير الطفل سعيدا مستقلا، ويصير الـــكبير قادرا في بعض الأحيان على الانصراف عنه والتفرغ لعمله.

وإذا كان هذا الذي يشغل الطفل عملا إيجابيا له نتيجة يشعر الطفل بقيمتها بالنسبة له كان فيه خير وقاية للطفل من تعود الاستغراق في أحلام اليقظة، وكان فيه خير تدريب على وضع بذور الميل نحو النشاط المنتج وبذل الجهد.

ولكن يلاحظ أن عدم استقرار طفل معين قد يكون بصورة عامة بارزة يختلف فيها عن غالب الأطفال وقد يأخذ عدم الاستقرار صورة خاصة في حركة معينة كرمش العين، أو هز الكتف أو (فرقعة) الأصابع، أو اتيان حركة بالأنف أو بالفم أو مص الأصابع، أو الشفاه، أو اللسان، أو قرض الأظافر، أو عض الأقلام، أو تنظيف الأنف بالأصابع أو عصر حبوب الوجه، أو اللعب بخصلة من الشعر، أو حك الرأس أو اللعب بالأعضاء التناسلية.. أو غير ذلك من مئات الحركات الخاصة التي تكون بؤره يتمركز فيهـــا النشاط العصبي غير الموجه.

العصبية العامة وانعدام الاستقرار

إذا لوحظ انعدام الاستقرار أو العصبية العامة في طفل ما فيجب دراسته

أولا من نواحيه الجسمية والوراثية، فيجب أن ندرس ما إذا كان لدى الطفل حالة جسمية يصح أن يتسبب عنها عدم الاستقرار، أو العصبية العامة، ومن هذه الحالات الديدان، وما يقلل من كفاية التنفس كتضخم اللوز، أو الزوائد الأنفية وسوء الهضم والاضطرابات الغددية؛ وبالجملة كل ما يؤثر في الصحة العامة تأثيراً سيئا. وأما من حيث الناحية الوراثية فكثيرا ما نلاحظ عدم الاستقرار. أو العصبية العامة في عدد من أقارب الطفل نفسه، وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون الطفل قد ورث خصائص عصبية ساعدته على تكوين صفة العصبية أو عدم الاستقرار. ومن أمثلة ذلك حالة لبنت في السابعة أرسلت للعيادة بسبب التبول اللاإرادي نهاراً وليلا، ووصفتها الأسرة بأنها عصبية، فهي تغضب، وتبكي لأتفه الأسباب، وإذا غضبت فإنها تثور وتضرب نفسها، وتخبط برأسها الحائط. وترفس برجلها، وبالجملة يكون كل جسمها في حالة اضطراب عند غضبها، وهي تغضب في غالب المناسبات. والبنت لا تعتمـــد على نفسها، وهي قليلة الثقة بذاتها، وأمها هي التي تطعمها وتلبسها، وتقضي لها كل لوازمها.

وتوصف الأم بأنها عصبية المزاج، وتصاب أحيانا بتشنجات. والوالد كذلك عصبي وهو يصاب بنوبات انقباض شديدة ويشعر بضيق الحياة وباليأس. ويصل به الأمر في النوبات التي تصيبـــه إلى أن يبكي بكاء شديدا لغير سبب، إلا أنه يبكي سوء حظه - على حد قوله.

وللوالدة أخت مصابة بالشلل، ولها أربع أخوات، لكل منهن طفل أو طفلان؛ أحدهما أو كلاهما مصاب بضعف في النطق أو تهتهة أو ضعف عام. أما جدة البنت فإنها شديدة القلق والخوف قليلة الاستقرار.

وقد حضرت البنت إلى العيادة السيكولوجية مع أمها وجدتها، فكانت الأم ترتدي ملابس ذات ألوان عديدة متضاربة. ففي الرداء الواحد اجتمعت ألوان الأحمر القاني إلى جانب الأصفر الفاقع، وإلى جانبه البنفسجي الباهت، ويقرب

هؤلاء جميعا لوناً أسود لامعاً. وحتى اللفافة (السيجارة) التي دخنتها الأم كان ما بها من تبغ ملفوفا في ورق أحمر قان غير مألوف. أما الجدة فكانت تنتقل بسرعة من سؤال إلى آخر. فسألت عن الطب الروحاني، والتنويم المغناطيسي، وعن الحياة الخاصة الداخلة لــكل عضو من أعضاء العيادة. ولا يمكن الجزم في هذه الحالة بأن هناك استعداداً عصبيا موروثا على الرغم من كل ما ذكرنا، ولكن هناك احتمال الوراثة.

ويلاحظ أن مصادر الوراثة والبيئة قد تكونان في هذه الحالة حلقتين متصلتي الأجزاء يقوي كل منهما الآخر. وهذا ما يجعل نسبة الحالة لاحداهما دون الأخرى أمراً غير سهل.

ومن مصاحبات العصبية العامة وعدم الاستقرار في عدد غير قليل من الحالات ضعف العقل أو الغباء. ويظهر أن المتأخرين في ذكائهم أقل من غيرهم استعداداً لتوجيه نشاطهم وتوحيده وضبط حركاتهم وتنسيقها. يكبرون. ونظرا لعدم قدرتهم على مسايرة زملائهم المساوين لهم سناً في لعبهم وحركتهم ونشاطهم، وتجدهم يتضايقون ويتصفون بالعصبية وتزداد – في العادة –حالتهم سوءاً على سوء.

ومع استثناءات قليلة جدا نجد كل حالات الضعف العقلي التي ترسل للعيادات السيكولوجية تتصف بضعف القدرة على التركيز، أو بالعصبية العامة، وعدم القدرة على الاستقرار. ويتصف كل منها فوق ذلك بالرعونة في الحركة. ولو أن هذه الرعونة لا يخلو منها بعض العاديين والأذكياء.

وتكون هذه الحالات الأخيرة مصحوبة بالانطواء النفسي (Introversion) ومن أهم الأسباب السيكولوجية في عصبية الأطفال، وعدم استقرارهم شعور الطفل باليؤس الناشئ من الشعور بعدم تحصيل المستوى الذي تشتاق نفسه اليه (Lack of acivement) أو الناشئ من الشعور بعدم توافر

القدرة أو توافر الفرصة لتحصيل مثل هذا المستوى، وقد يشعر الطفل بهذا ان كان متأخرا، كما قلنا في قدرة عقلية أو حسية أو جسمية كحالة التأخر العقلي، أو العمى، أو الصمم، أو البكم، أو ضعف البصر، أو السمع، أو صعوبة النطق، أو العرج، أو العسر، أو ما شابه ذلك من مئات الحالات. ولو أنه يندر لصاحب الحالة أو لمن يعيشون معه أن يقرنوا عصبية الشخص وعدم استقراره بعاهته أو ضعفه من الناحية العقلية أو الحسية أو الجسمية، وينتج مثل هذا أيضا ان كان الطفل أقل في الجمـال أو خفة الروح من غيره ممن يوازنون به باستمرار كالاخوة أو الأقارب، أو الزملاء. وكثيرا ما يحدث هذا بين الاخوة بنوع خاص، فيوجه الآباء والأقارب والمعارف انتباهم لطفل دون آخر، فتنتج حالة عصبية أو عدم استقرار عند الطفل الذي لا ينال التقدير، وبذلك يحرم الطفل من اشباع حاجة نفسية أساسية. وربما ينشأ هذا دون شعور من صاحب الحالة.

وبالجملة فكل مجال يشعر فيه الطفل بالشقاء - خصوصا ان كان المجال مستمرا، بمعنى أن الطفل يقضي فيه جزءا كبيرا من وقته كل يوم كمجال المنزل أو المدرسة مثلا- يحتمل جدا أن تنتج عنه عصبية وعدم استقرار. والمجال الذي يشعر فيه الطفل بالشقـاء هو الذي تقف فيه العراقيل دون تحقيق حاجاته الأساسية التي سبق أن ذكرناها، وهي الحاجة إلى الحرية واللعب والحركة، والحاجة إلى السلطة الضابطة غير المتذبذبة الحازمة الخالية من الضعف، والحاجة إلى العطف والشعور بحنو من حوله نحوه وعطفهم عليه وحبهم له، والحاجة إلى النجاح عند انماء مهاراته وكفاياته بأنواعها المتعددة.

ولتوضيح ما تقدم نأخذ حالة تلميذ في سن التاسعة والنصف، وهو الابن الوحيد لوالديه، وقد أحيل إلى العيادة لتأخره الدراسي، وضعف بنيته. وبإجراء اختبارات الذكاء عليه اتضح أن ذكاءه في مستوى ذكاء ولد متوسط عمره احدى عشرة سنة. ومعنى ذلك أن لديه من المقدرة العقلية الطبيعية ما لا يبرر تأخره،

بل بالعكس، كان ينتظر منه تفوق باهر. وتصفه والدته بأنه مهمل جدا في ملابسه، وغير منظم في قضاء حاجاته المختلفة؛ إذ قلما يضع شيئا في موضعه. ولا يميل إلى استذكار دروسه بمفرده.

يميل إلى الرسم وقص الورق ويصرف فراغه كله في هذا. وأمه تقرر وتعلن دائما أنه لم يرسم مع كل هذا رسما مقبولا قط. يصرف كثيرا من وقته في منزل جدته لأمه.

وجدته تعطيه النقود والحلوى والأكلات الصغيرة التي تفسد عليه بالطبع انتظام مواعيد الأكلات الرئيسية، وينام على سرير منفرد في نفس الحجرة مع والديه[١]. وينام عادة نوما هادئا، إلا إذا نام بجانب والدته، فانه يكون إذ ذاك على جانب كبير من القلق.

والمعاملة المنزلية في مجموعها متغيرة جدا، فالوالدة شديدة قاسية كثيرة النقد للولد. والوالد ضعيف لين لا يهتم بشكوى الوالدة من ابنه، ويخاف أن يجرح إحساسه، ويصل خوفه هذا إلى أن يتردد ويتلعثم في أثناء حديثه مع ابنه، على حين نجد أن ابنه أحيانا يتحداه. ولا يضرب[٢] والوالد ابنه أبدا، وإنما الذي يقوم عادة بهذه المهمة هو الوالدة. وقد ضربته ضربا مبرحا عندما اطلعت ذات مرة على نتيجة عمله في المدرسة.

مع هذا كله يتدخل أبوه في نشاطه، فالولد مغرم بتأليف القصص الصغيرة ووالده يرى أن هذا لا يتماشى والمناهج التقليدية للمدارس المصرية، وفيه مضيعة للوقت، فيمنعه بكل وسيلة من هذا. يضاف إلى ما تقدم قلق الجميع على صحة الولد؛ اذ أنه ضعيف من صغره، ولعل من أسباب القلق على الولد أن أخاه الذي يكبره بأربع سنوات مات وهو في سن السادسة.

---

(١) راجع فصل المشكلات المتعلقة بالنوم .

(٢) ليس معنى هذا أننا نشجع الضرب .

وقد أجمع كل مدرسيه على أنه مشتت الانتباه شارد الذهن، وينشغل بمعاكسة جيرانه، وقد وصفه أحد المدرسين بأنه في الفصل لا يستقر على حال من القلق، فهو يزحف مرة عن يمينه، وأخرى عن يساره، يتطلع إلى هذا وإلى ذاك من زملائه، ويعبث في أثناء ذلك فيما أمامه من الأدوات.

فإذا لم يجد أمامه ما يعبث به أخذ شيئا من درجه أو درج جاره لهذا الغرض، ويتمادى في ذلك إذا لم ينبه. وهو قليل الصبر على مواصلة عمله، ولا يميل إلى اتقانه، وحركاته دائما عصبية.

وقد ضربه والده مرة واحدة وهو في حالة غضب عندما كثرت الشكوى منه، وبعد أن ضربه تولاه الندم الظاهر. ووصلت الحال بالوالد أخيرا إلى أنه لا يمكنه ضرب الولد إطلاقاً؛ ولكنه مع ذلك يوصي المدرسة دائما بوجوب ضربه بشدة، وواضح ما في هذا من تناقض عجيب.

فهذه حالة طفل فقد السلطة الضابطة الحازمة في المنزل، وفقد كثيرا من الشعور بالأمن لشدة ما يحيط به من القلق، ويعوزه كثير من التمتع بالحرية وربما كانت هذه كلها عوامل قوية في إحداث ما عنده من عدم الاستقرار.

وهناك ظاهرة أخرى في معاملة هذا الولد نفرد لها حادثة معينة لنبين دلالتها. وخلاصتها أنه كان قد ادخر من نقوده مبلغا من المال فاقترضه منه والده به ليستعين به في سفره إلى جهة ما على أن يرده له بعد عودته. ولكنه لم يرده إليه وقد مضى عليه أربع سنوات، وقد يظن الوالد أن الحادث تافه، وأن على الطفل أن يعلم أن كل ما يملكه الوالد فهو له. ولكن المهم عند الطفل في الواقع شعوره بالملكية واشباع هذا الشعور اشباعا حسيا، ولروح العدالة المتعلقة بحق الملكية أهمية كبرى في اشباع الحاجة عند الانسان.

ويتلخص علاج هذه الحالة بعد العناية الصحية بها في تحويل الجو المحيط بالطفل في منزله إلى جو ثابت المعاملة يتوافر فيه العطف والحزم

والعدالة والحرية وحسن التوجيه، ويجب أن يتوفر فيه النشاط مع الهدوء من جانب الوالدين ومن جانب الطفل نفسه.

مص الأصابع

ومن الحركات الخاصة التي تلفت النظر مص الأصابع، وكثيرا ما يظهر منذ الأسابيع الأولى(١).

وقرض الأظافر الذي يظهر في العادة متأخرا قبل السنة السابعة تقريبا. وفي الأشهر الأولى يمكن النظر إلى مص أصابع اليد أو الرجل كأنه عملية عادية يقوم بها كل طفل تقريبا. ويشتق منها لذة، وفي اجرائها شيء من المهارة فمن المهارة بالنسبة للطفل الصغير تحريك يده أو رجله ووضعها في فمه دفعة واحدة دون أن يخطئ الهدف. وفي للتمرن على هذا شئ من التمرن على التوافق العصبي العضلي. ولـكن الخطورة في استمرارها، والاصرار عليها عند التقدم في السن. وبعض الأطفال يظلون يمصون أصابعهم إلى سن الثانية عشرة.

ورأيت ذات مرة فتاة في حديقة عامة جالسة شاردة الذهن تمص أصابعها وهي مستغرقة في ذلك استغراقا شديدا، وكان يبدو أن عمرها لا يقل عن السادسة عشرة. وضرر الاستمرار في هذه العادة يتلخص في أمر واحد؛ هو أنها أسلوب لنشاط لا يؤدي إلى نتيجة إيجابية ملموسة. ومعنى ذلك أنها نوع من العمل غير المنتج يقوم الطفل به ويتعود عليه. ولهذا مص الأصابع عامل مساعد يسهل معه الاغراق في أحلام اليقظة، شأنه في ذلك شأن جميع الأعمال التكرارية غير المنتجة.

ويلاحظ أن الطفل الصغير عند ممارسـته مص الأصابع يكون سعيدا

---

(١) يقال إن كثيرا من الأطفال يمصون أصابعهم في بطون أمامهم كما جاء عن Kanner ; Child Psychiatry في كتاب Minkwoski and Levy

ويمارسها على فترات. وأما الطفل الـــكبير فيبدو عليه وهو يمارسها أنه غير سعيد. وتجده ينكب عليها باستمرار، مثله في ذلك مثل المدمنين لتعاطي المكيفات. وتزداد فترات ممارستها لمن اعتادها عند اعتلال صحته، أو عند عدم تحقيق رغباته، أو عند محاولته حل مشكلة صعبة، أو عند عدم الرغبة في النوم. ويكون عادة عند ممارستها بعيدا عن الصلة بهذا العالم الواقعي.

ويقوم الطفل تخبئه عملية مص الأصابع، خصوصا إذا حذره أبوه منها. ويستر عمله هذا عادة بأساليب مختلفة؛ من أكثرها شيوعا تخبئه اليد التي توضع في الفم باليد الأخرى، ويظن الطفل أول الأمر أن الكبار لا يرونه وبعض الأطفال يلجؤون لهذه الحيلة قبل نهاية السنة الأولى وتثبت الحيلة عندهم فتصبح عادة.

وهناك عدة اعتقادات فيما يختص بآثار مص الأصابع، غالبها مشكوك في صحته، منها أنه يؤثر في شكل الأصابع، ويشوه الفم وسقف الحلق، ولكن هذا في العادة لا يحدث.

ويعتقد بعض الآباء كذلك أن مص الأصابع في الطفولة مقدمة لعادة الاستمناء في المراهقة؛ وليس هناك ما يبرر الجزم بهذا، وإن كان هناك بعض الاحتمال في صحته؛ لا سيما أن كليهما نوع من التلذذ الجسماني الذاتي الذي لا يعطي نتيجة إيجابية ويصحبه استغراق شديد في أحلام اليقظة. ويعتقد من يفسرون كتابات (فرويد) تفسيرا ضيقا أن مص الأصابع عملية جنسية (Sexual) في صميمها. هذه كلها اتجاهات قد تزعج بعض الآباء. ولكن ما يزعج الآباء أكثر من كل هذا أن مص الأصابع ظاهرة قبيحة المنظر يشمئز منها الناس، ويصحبها السرحان، وهو شبيه في ظاهره بالبله.

ومص الأصابع في ذاته ليس مهما، إلا أنه دليل على حالة عقلية يجب الاهتمام بها، وهو يبدأ عادة في السنة الأولى مرتبطا بالتغذية. فاذا كانت التغذية غير كافية أو بعيدة الفترات، أو لا تستوفي شرطا هاما من الشروط الضرورية،

فإنه يحتمل أن يلجأ الطفل معها إلى مص أصابعه[1].

وهذا نشاط يشغل الطفل، ولكنه لا يؤدى إلى نتيجة إيجابية. ويترتب على ممارسته أن الطفل يحتمل أن يلجأ إليه كلما قابلته صعوبة، أي أنه أسلوب قابل للانتشار من موقف إلى مواقف أخرى؛ ففي مواقف الغيرة أو الشدة، أو الحرمان، أو ما شابه ذلك، يحتمل أن يركن الطفل إلى ملجئه الذي تعوده وهو مص الأصابع. ومعنى ذلك أن يقنع الطفل بنشاط لا يؤدي إلى نتيجة. وهذا الأسلوب الذي يواجه به الطفل مشاكله أسلوب سلبي انسحابي يبعد صاحبه من مواجهة الواقع. ولذا كان مص الأصابع دليلا يصح أن يتنبأ به عن احتمال ظهور الصفات النفسية السلبية في الـكبر، كالميل إلى العزلة والانكماش، والخجل، وقلة الجرأة الاجتماعية في الحديث أو في حصول المرء على حقوقه ومحافظته عليها، وقلة الميل إلى الصراحة، وشدة الميل للتكتم، وضعف روح المخاطرة واعتبـاره كل أمر من أموره سرا خاصا لا يجوز اطلاع أحد عليه، وشدة الحساسية، وسرعة التأثر، وغير ذلك من الصفات التي يدخل كثير منها تحت صفات الشخصية المنطوية على نفسها (Introvert) وهذه الصفات السلبية ليست نتائج لمص الأصابع وإنما هي في الغالب مصاحبات له.

ولا يجوز أن يقتصر علاج مص الأصابع على الظاهرة نفسها، وإنما يجب أن يتجه كذلك - بعد التأكد من علاج الحالة الجسمانية التي قد تساعد على وجود الحالي العصبية- إلى معرفة سبب شقاء الطفل فندرس علاقة الطفل بوالديه واخوته ومدرسيه وزملائه، ومبلغ تحقق حاجاته الأولية في ميادين حياته المختلفة من منزل ومدرسة، وعمل ومجتمع، وبعد دراسة كل هذا يعدل مجال حياة الطفل بما يحقق هدوءه ونشاطه وسعادته ويجب أن يعود الطفل شغل يديه في عمل شائق منتج.

---

(١) حقيقة أن الطفل كثيرا ما يترك غذاءه ليمص أصابعه ، ولكن هذا لا يحدث الا بعد ثبوت العادة

ومن الأساليب الطيبة التي نقترح أن يشغل الطفل باللعب فيه هو مجال تركيب قطع بعضها مع بعض لتكوين شئ معين، أو باستعمال آلة موسيقية يشغل فيها يده أو فمـــه أو كليهما، أو يشغل في مساعدة الأم في عملها (كأداة آلة الخياطة، أو حل كرات الصوف، أو لفها، أو المساعدة في قص أو تقطيع أو تنسيق. وما إلى ذلك). أو أي عمل يدوي يشغل فيه يديه ويشعره بأنه يؤدي مساعدة حقيقية لغيره مما يشعره عادة بقيمته في نظر نفسه.

واذا أمكن ضمان تعديل مجال حياة الطفل الذي يعالج من مص الأصابع، وأمكن كذلك تعويده اشغال يديه في عمل منتج؛ فمن الجائز – ولو أنه ليس من الضروري – أن يتفق مع الطفل على طريقة تذكر، في حالة النسيان بوجوب الاقلاع عن هذه العادة، والطرق كثيرة منها وضع صبغة المر على أصابع اليد،وما شابه ذلك من الأساليب التي يعرفها غالب الناس.

ولكنهم يخطئون عادة بالاقتصار عليها مما يجعل الضرر الناشئ منها أكثر من فائدتها، ويجب أن نؤكد هنا أن هذه الطريقة وأمثالها تستعمل كأساليب للتذكر فقط ولا يجوز أن تستعمل كعقوبات. ويجب – بقدر الامكان– أن تصدر فكرتها من الطفل بعد اقتناعه بقبح العادة ووجوب اقلاعه عنها وشعوره بالحاجة إلى ما يذكره بذلك في حالة النسيان.

قرض الأظافر

كل ما قيل عن مص الأصابع يمكن أن يقال عن قرض الأظافر. والانفعال المصاحب عادة لقرض الأظافر أو عض الأصابع هو انفعـــال الغضب. ولتكن الحالة النفسية في قرض الأظافر حالة توتر وغضب، أما في مص الأصابع فهي حالة استسلام وخضوع وانسحاب، والذي يقرض أظافره يفعل ذلك بشدة وبكثرة إذا واجهته صعوبات، فتلاحظ مثلا أنها تظهر من صاحبها أكثر عندما يسأل أو يختبر. وما قيل في علاج مص الأصابع يقال في

قرض الأظافر وهو حسن التغذية، وتنظيم النزهة، وتحسين الصحة، وشغل اليدين بطريقة شائقة منتجة. واشباع حاجات الطفل في ميـــادين حياته المختلفة بطريقة تجعله قانعا مسرورا من نفسه.

رابعاً اللزمات العصبية (Tics):

وهناك مجموعة من الحركات العصبية تتم بشيء من المفاجأة والسرعة والتكرار وعدم تدخـــل الإرادة؛ كرمش العين، أو تحريك الأنف أو جوانب الفم، أو تحريك الـــكتف، وما شابه ذلك، وتتميز هذه الحركات بأنها تحدث بتكرار منتظم وتتناول مجموعة من العضلات، وأنها تحدث بتكرار منتظم في غالب الأحيان.

وتبدأ هذه الحركات عادة بسبب تهيج محلي، وبعد زوال التهيج تستمر الحركة في الظهور بين آن وآخر، فبعد الاصابة ببعض التهابات العين مثلا قد تظهر لزمة رمش العين بين آن وآخر. وأحيانا تكون الحركة دالة على اتجاه نفسي كالغضب أو الخوف أو التقزز.

ويحسن مع معالجة الأسباب المحلية اهمال الظاهرة من جانب الوالدين ومن يحيطون بالطفل اهمالا تاما، لأن الانتبـــاه اليها والتهيج من حدوثها يثبت ذهن الطفل عليها، ويؤدي عادة إلى تثبيتها، ويحسن مع هذا مراعاة روح العلاج الذي سبق أن ذكرناه في هذا الباب.

ولتوضيح ما تقدم نأخذ حالة تلميذ في سن السابعة، بدأ من سن الخامسة عشرة يقوم – بين آن وآخر، على الرغم من إرادته –بحركة عصبية في الرقبة والعينين وجانب الفم. وذكاء هذا الولد فوق المتوسط. وله مركز ممتاز جدا في الأسرة، إذ أنه الذكر الأول بعد بنتين. وبقي الذكر الوحيد مدة سبع سنوات.

ولهذا تمتع وحده بتدليل شديد من أمه واختيه ووالده مدة سبع سنوات. ونشأ حساسا رقيقا لا يتحمل مهاجمة أو أذى. فهو لهذا لا يحب الرياضة البدنية

لعنفها، ولأنها تضطره للاحتكاك بغيره من الأولاد. يفضل أن يشغل وقت فراغه بالذهاب إلى الخيالة، وهو من النوع الهادئ الجاد المغلق القليل المرح القليل الاختلاط، وتنطبق عليه صفات الانطوائيين. بدأت لديه حركات الرقبة عندما كان يلبس ياقات من النوع المقوى، ثم استمرت اللازمة بعد ذلك. أما حركة الفم فإنها بدأت من وقت أن اعتدى عليه تلميذ فضربه في جانب فمه بسن الريشة وتقيح الجرح الذي ظل ظاهرا مدة طويلة. وبدأت الحركات العصبية، بعد أن كانت مقتصرة على الرقبة، تنتشر إلى الفم والعينين.

ولعل اتجاه والديه نحوه يتضح من المثال الآتي، وهو أن الولد كثيرا ما يشكو من لوزتيه، ونصحه الأطباء بوجوب استئصالها، والوالدان يرفضان ذلك رفضا باتا خوفا عليـــه. يشفق الوالدان على الولد ويعتبرانه عصبيا مسكينا، وعرضاه بالفعل على أطباء الأعصاب أحدهم بأن عنده (نوراستينيا) مثل هذا التشخيص العلني يساعد على تثبيت الحالة وزيادة شدتها وتركيزها. ومما ساعد على تثبيت الحركات العصبية عند هذا الطالب معاكسة التلاميذ له وشدة انتباههم لحركاته واطلاقهم عليه أحيانا بسببها اسم مجنون.

يبدو من هذه الحالة كيف أن التكوين الأول قد يهيئ صاحبه لتكوين الحركات العصبية عند مجيء الظرف المناسب. وهذه الحركات غالبا ما تثبت وتصبح عادة بفعل التكرار وبفعل توجيه الانتباه اليها.

ومثال آخر: حالة ولد في سن الثامنة أرسل العيادة لبطء شديد في تفكيره، ولخموله العام، ولأنه يحرك أنفه حركة عصبية شديدة، ويتحرك معها كل وجهه تقريبا.

واتضح ببحث الحالة أن الولد في المدرسة سلبي خامل كثير السرحان. وأما في المنزل فهو مخرب عنيد، يطاع ولا يطيع وهو الولد الأول، وأبوه رجل عصبي قلق، يتدخل في كل شؤونه من الضعف، والأم عصبية كثيرة النقد، قليلة

التحمل لضوضاء الأطفال وحركاتهم. وسواء في المسكن أم في الحي الذي تعيش فيه الأسرة لا يوجد مجال للعب الأطفال أو فسحتهم.

وقد تحسنت حالة الولد كثيراً بتوجيه الأب إلى عدم الالتفات إلى الحركة العصبية وبذلك تلاشت تقريبا. ولم تزل تماما لارتباطها بتهيج محلي بسبب الزوائد الأنفية المتضخمة عند الولد. ومما زاد في تخفيف الحالة تقليل ضغط والديه، والتخفيف من تدخلهم في كل صغيرة وكبيرة من شؤونه، وإدخاله مدرسة نجحت في تخليصه من سلبيته، وانطوائه على نفسه، وصار أكثر جرأة وأقدر على الاختلاط.

ومما يدل على قلق الوالد وشدة التفاته لابنه أنه قال بعد تحسين الـــولد: إن حركة الأنف قد زالت تقريباً، ولكن حركة خفيفة أخرى بدأت تظهر حول العين، فنبهناه إلى وجوب الانصراف التام عن كل هذا. فقال: إنه يـــخشى أن يكون عند الولد ضعف في بصره أو في سمعه لأن شهادته في المدرسة تـــدل كذلك على بعض التأخر. وقال كذلك: إن وجوده في هذه المدرسة الجديدة وتخـــفيف رقابـــة والده عليه قد يقلل من احترام الولد لأبيه، لأن حبه لمدرسيه آخذ فـــي الازدياد.

وكانت عبارات على توجيهه أولا بأول، مما أدى إلى نتائج طيبة يرجع الفضل فيها إلى اهتمام الوالد ودقته في تنفيذ التوجيهات. ولكن يلاحظ أن أهم ما يتجه إليه الذهن في مثل هذه الحالة الأخيرة هو وجوب انشغال الوالدين عن مراقبة حركات الطفل.

ووجوب انشغال الولد نفسه عن هذه الحركات، وتوجيه النشاط العقلي والبدني توجيها لذيذا منتجا، وتهدئه الجو المحيط بالطفـــل في كل من المنزل والمدرسة تهدئه لا تؤدي إلى الخمول، وإنما تؤدى إلى استثمار نشاط الطفل الزائد لصالح حيـــاة عقلية وبدنية صحيحة.

صعوبات النطق

سبق أن تكلمنا عن الحركات العصبية بما فيه من الأصابع، وقرض الأظافر، ورمش العين. وغير ذلك. وهناك نوع من الحركات العصبية له أهمية خاصة وهو المتعلق بالنطق. وعملية النطق لها مكانة كبيرة في حياة الإنسان، ويشبهها عند الحيوان إخراج الأصوات.

ومعروف أن الأصوات عند الحيوان تؤدي له وظائف حيوية هامة، فبالأصوات يحدث النداء الذي يترتب عليه تجمع أفراد النوع الواحد بعضهم مع بعض، بقصد الوقاية من الخطر المحدق، وبواسطة الأصوات تدعو الحيوانات بعضها بعضا للاجتماع الجنسي وحفظ النوع. وبها تتحقق على وجه العموم أنواع الحياة الجمعية بغاياتها المختلفة. ولهذا نجد أن نوع الصوت وتنغيمه يختلف عند الحيوان باختلاف حاجاته، التي يدعو تحققها إلى وجود طرف آخر. فالذين يهتمون بتربية الحيوانات المنزلية يعرفون في القط مثلا صوت الاستجداء لطلب الطعام، وصوت التخويف والتحدي عند الشجار، وصوت الفزع والاستنجاد عند احداق الخطر،والصوت الدال على الاطمئنان والسرور عند الشعور بالدفء والشبع والراحة، وصوت الانتصار عند الفوز بالفريسة، وصوت نداء الأنثى عندما يحل موسم الاجتماع الجنسي، وصوت تلبية الذكور لصوت الأنثى في هذه الحالة،وصوت نداء القطة الكبيرة لصغارها، وصوت سرورها لوصولهم، إلى غير ذلك من أنواع الأصوات التي يرتبط تنوعها بتنوع الحاجات التي يعبر عنها الصوت.

ونرى من هذا أن وظيفة الصوت الاتصال بآخر اتصالات يصح أن يساعد على تحقيق حاجة نفسية.كذلك النطق عند الإنسان؛ فهو يعبر عن حاجة يراد تحقيقها بالاستعانة بكائن حي آخر يغلب أن يكون إنسانا مثله.

فكانت عملية النطق عبارة عن نشاط اجتماعي يصدر عن الفرد وتتدخل فيه عدة توافقات عصبية مركبة، يشترك في أدائها مركز الـكلام في المخ الذي يسيطر على الأعصاب. وهذه تقوم بتحريك العضلات التي تقوم بإخراج الصوت. وكذلك تشترك الرئتان، والحجاب الحاجز، فتقوم الرئتان بتعبئة الهواء، وتنظيم اندفاعه. وبمرور الهواء على الأوتار الصوتية، وداخل الحنجرة، والفم، والتجويف الأنفي، تحدث تشكيلات مختلفة من الأصوات.

وكذلك تساعد تغييرات أوضاع اللسان والشفتين على زيادة التنويع في الأصوات. ويحتاج النطق السليم إلى مران طويل جدا يبدؤه الطفل عادة منذ ولادته، فهو يبدأ بالصراخ، ثم الضحك والمناغاة، ثم يسمع نفسه ويسمع من حوله، ويبدأ يجرب تشكيلات مختلفة من الأصوات، ثم يبدأ يقلد من حوله إلى أن ينجح في إخراج الألفاظ وفي الـكلام.

وهذه عملية طويلة شاقة يبذل فيها الطفل جهدا كبيرا، ويتعاون فيها السمع والبصر وأجهزة النطق؛ الأصلية منها والمساعدة.

ويتضمن النطق - كما قلنا- نشاطا لفرد يقصد بالغير، ومن هنا تبدو أهمية الكفاية الحركية للسان واندفاع الهواء وتنسيق الحركات كلها تنسيقا يؤدي إلى النطق الصحيح.

وتبدو أيضا أهمية الحاجة النفسية المراد التعبير عنها، وضرورة مطابقة الاخراج التعبيري لما هو موجود في النفس، وكذلك قيمة ثقة المرء في قدرته على التعبير. ويلاحظ أن جزءا غير قليل من هذه الثقة يشتق من الاتجاه الذي يأخذه المخاطب عادة نحو المتكلم في أثناء سير الحديث.

لهذا كله كان النطق أهم وسائل الاتصال الاجتماعي، وكانت له قيمته الممتازة في نواحي نمو الفرد المختلفة سواء في ذلك نمو تفـكيره أم طابع شخصيته بوجه عام.

بعض الحالات :

يتلخص وصف أعراض صعوبات النطق في أنها اختلال في التوافق الحركي بين أعضاء النطق المختلفة. ونظرا لكثرة أجزاء هذه الأعضاء، ولتنوع أساليب نشاطها، ولتعدد التشكيلات المختلفة لها، فان صعوبات النطق كثيرة، وتختلف في شدتها ونوعها باختلاف درجة الاضطراب، ونوع العضو البارز فيه. لذلك نجد بعض الصعوبات مثلا مرتبطا بتشوه الأسنان أو بانشقاق الشفة العليا، أو بوجود الزوائد الأنفية، أو غير ذلك. وتعددت تبعا لتعدد أنواع صعوبات النطق أسماء هذه الصعوبات فهناك التهتهة. والتأتأة، والعقلة، والحبسة، واللثغة، والخنة، والرتة وغير ذلك. وأما كلمة تهتهة، فإنها كلمة دارجة أصبحت تستعمل الآن لكل أنواع صعوبات النطق[1].

ويلاحظ أن نوعا من أنواع صعوبات النطق يحدث عادة لكل انسان ففي المواقف التي يفاجأ فيها الإنسان، وبرغم على التكلم في أمر معروف لديه ولا يريد لأمر ما أن يتحدث فيه، فانه قد يتعثر إذ ذاك عند النطق. ويمكننا أن نقول: أن الانسان يتعثر في نطقه في الأحوال العادية لأسباب ثلاثة : أولها الخوف، ولذا كانت خير طريقة يعبر بها الممثل على المسرح عن الخوف هي طريقة التعثر في النطق، وثانيها: أن يكون اللفظ قاصرا عن الأداء، وبذلك يضيع وقته في البحث عن الألفاظ المناسبة، وثالثها: أن يكون تدفق الأفـــكار أسرع من تعبير الإنسان عنها لعجز أساليب تعبيره بسبب قلة المحصول اللغوي مثلا. والسببان الأخيران يمكن مشاهدة أثرهما بوضوح وفي أبسط صورة عند محاولة الـــكبير التـــكلم بلغة أجنبية لا يتقنها تماما، فهو يتعثر إذ ذاك، بينما لا يتعثر عند التكلم بلغته العادية. ويمكن مشاهدته كذلك في الأطفال في سن الثالثة والرابعة تقريبا.

---

(١) هذه الظاهرة الخاصة بتعدد مصطلحات صعوبات النطق والميل إلى استعمال واحد منها دون الأخرى ليست قاصرة على اللغة العربية ، وانما هي موجودة في اللغة الأجنبية أيضا .

ولأجل أن نتبين أسباب العي المختلفة يصح أن نعرض الحالات: أولى هذه الحالات لولد في سن العاشرة أرسله والده للعيادة لصعوبة شديدة في النطق. وقد فحصت في أول الأمر حالة الولد من النواحي الجسمانية للتأكد مما إذا كان هناك مرض عضوي يمكن أن يكون عاملا أصليا أو عاملا مساعدا في وجود العي، وقد قام بفحصه المتخصصون في الأمراض العصبية، أو أمراض الأنف والأذن والحنجرة، وفي الأمراض الباطنية، ودلت كل هذه الأبحاث على أنه ليس هناك أي مرض جسماني يصح أن يكون سببا مباشرا للعي.

ولو أنه ظهر أن لديه تقيحا في اللوزتين ونصحت الأسرة بإزالتهما وبالفعل أجريت له العملية اللازمة لذلك، وكان لها أثر ظاهر من حيث التحسن العام.

وقامت العيادة كذلك بدراسة الولد من الناحية النفسية، فتبين أن ذكاءه فوق المتوسط بكثير، وأنه يتعثر في النطق إذا شعر بأنه مراقب وبأن أخطاءه ستوضع موضع النقد. ويصاحب النطق عادة حركات عصبية يقوم بها بيديه وبأجزاء وجهه المختلفة.

والولد هو الذكر الأول الوحيد، وله ثلاث أخوات كلهن أصغر منه، وكلهن يجدن الكلام. والوالدان متعلمان جيدا. وحالتهما المادية طيبة، وهما على وفاق تام. والأم تخاف الظلام والوالد هادئ في الظاهر، غير أنه في الواقع قلق على ابنه ومستقبله، ويهتم بأمره ويلاطفه ويعامله بعطف زائد. غير أن الوالد نفسه سريع الكلام، ويبدو أن لديه بقايا عي قديم. وللولد جد من أمه، وهو شديد الخوف من أمور كثيرة، وله كذلك قريب من ناحية أمه متأخر جدا في ذكائه وتصرفاته عادية أما الولد نفسه فانه رقيق هادئ حساس سريع التأثر، محب للدقة والنظام، حريص جدا على إرضاء والديه ومدرسيه، شديد الخجل، ميال إلى العزلة والعمل الفردي.

وكانت ولادته عسرة واستعملت فيها الآلة الخاصة بالولادة، مما أدى إلى تمزق بسيط في أربطة العنق، مما جعل رأسه تميل في ناحية دون الأخرى مدة طويلة من الزمن. وكانت الرضاعة والفطام والمشي وما إلى ذلك كلها طبيعية. وفي سن الثانية غمس الولد فجأة ذات مرة في الماء البارد فذعر ذعرا شديدا وصرخ صراخا مؤلما طويلا، وصار منذ ذلك الوقت كثير البكاء، فكان يبكي أحيانا من أول اليوم إلى آخره. ولما كبر أرسل إلى روضة الأطفال، وفي يوم من الأيام، وهو في سن السادسة، كان عائدا من الروضة فنبح عليه كلب كبير، وجرى وراءه. وحدث كذلك ان أصيبت أخته في حادث تصادم. وذعر لهذا الحادث ذعرا شديدا. وكانت لديهم قبل هاتين الحادثتين خادمة مصابة بالتعثر في النطق، وكان قد بدأ يقلدها، وهذا هو مبدأ تعثره في الـكلام ولـكنه استمر فيه بعد ذلك إلى الوقت الحاضر.

ولما معاملة الولد في المنزل فنظرا إلى أنه الذكر الوحيد والأول. فقد وجد عناية فائقة كان مدللا في صغره من الوالدين ومن جميع الأقارب وكانت تجيب الأم له كل طلباته ويكاد يعتمد عليها ويكاد يعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة وهي تخاف عليه خوفا شديدا. أما الأب فانه يلاحظ ابنه ملاحظة دقيقة حتى أنه يلاحظ مثلا انه في يوم كذا مرت عشرون دقيقة أو نصف ساعة دون أن يتعثر الولد في نطقه. وهذا النوع من الملاحظة يمكن تسميته بالملاحظة القلقة. ويعطف الوالد كما قلنا على ابنه عطفا مبالغا فيـه، ويستثير همته، ويحثه، ويشجعه على الاهتمام بعمله، والتخلق بالرجولة ويظهر أن الولد قد بالغ في هذا مبالغة شديدة من سن مبكرة، ترتب عليها أن الولد لم يتمتع كثيرا بما يتمتع به الأطفال من لعب ومرح وعدم حمل المسؤولية. ومما يدل على صحة هذا أني كنت أحدث الوالد ذات مرة على مسمع من الطفل قائلا: أني أحب أن يلعب الولد قليلا فقال الوالد بصورة جدية (ولكن ولدي لا يحب اللعب مطلقا؛ وإنما يحب المذاكرة والعمل الجدي) وبصعـوبة كبيرة أمكن اقناع الوالد بوجوب

تشجيع الولد على الاشتراك في نوع من اللعب.

وأما حالة الطفل في المدرسة فانها طبيعية جدا، إلا أن المدرسين والتلاميذ يرتكبون بعض الأخطاء في تصرفاتهم معه، فيحدث أحيانا أن يعيره بعض التلاميذ، ويحدث كذلك أن يناديه أحد المدرسين بلقب ينتمي إلى العي. ومن أمثلة أخطاء المدرسين أن عقدت العيادة لهم اجتماعا خاصا بهذا الولد للمناقشة فيما يجب عليهم اتباعه نحوه، وفي صباح اليوم التالي دخل أحدهم الفصل، وناداه وأبلغه بصوت مرتفع يسمعه بقية الأولاد أنه أضاع بالأمس ساعتين من الزمن في اجتماع خاص بما عنده من عي، وأنه سيعمل جهده لمساعدته. وكان لهذا الحادث أثر مؤلم جدا في نفس الولد وهدم كل ما كانت قد وصلت إليه العيادة من نتائج ملموسة.

ويمكن تلخيص الحالة بأنها حالة توتر عصبي شديد ناشئ من احساس الولد بضعفه وعدم ثقته لأنه يعامل من والدته التي تجيب كل طلباته، ووالده الذي يبالغ في ملاطفته، معاملة يشعر معهـا أنه مخلوق ضعيف.

ومع احساس الولد بضعفه هذا، فإن والده وأهله جميعا يستثيرونه لبذل مجهود عظيم لا يتناسب مع طفولته من ناحية، ولا مع احساسه بضعفه من ناحية أخرى، ويظهر أن هناك عنصرا وراثيا متدخلا في استعداد الولد للضعف العصبي الذي يساعد على ظهور العي متى توافرت الظروف الملائمة لذلك. ويتبين احتمال وجود هذا الضعف العصبي الوراثي مما ذكرناه آنفا عن الأقارب. ومن الأسباب التي ساعدت على نجاح حالة التوتر في تأثيرها فـي الولـد – بالاضافة إلى ما قد يكون هناك من ضعف عصبي وراثي– احتمال وجود ضعف عصبي ناشئ من الصدمات المتكررة التي أصابته، وهي عسر الولادة وحادثة غمسه في الماء البارد، وحادثة الانزعاج من الكلب، وحادثة الانزعاج من صدمة أخته، وتشرب الخوف من الظلام من والدته وجده... إلى غير ذلك. أما تقليده

للخاتمة فليس في رأينا سببا أساسيا.

وكل ما في الأمر أن الخاتمة ظهرت كعامل ملائم ومساعد للحالة النفسية الناتجة من مجموع العوامل الوراثية، ومجموع الصدمات السابقة، ومن مجموع الاتجــاهات المتخذة نحوه من والديه وأقاربه وزملائه ومدرسيه.

ويمكن تصوير حالة الولد بأن العي ذاته يشعر، بالضعف، والعوامل المتعددة الأخرى تشعره كذلك بالضعف، وفي الوقت نفسه تستثير هـــذه العوامل همته فيزداد التوتر ويزداد العي، وتزداد الحالة سوءا.

ومما يدعم صحة هذا الاستنتاج أن الولد -وهو في حالة عدم توتر داخلي- يتكلم بطلاقة فهو لا يتعثر عادة مع زملائه؛ ولــكنه يتعثر بشدة مع والديه ومدرسيه. ويقول والده : إن الولد يتكلم في أثناء أحلامه بطلاقة غريبة وإذا قرأ شيئا بصوت مرتفع فإنه لا يتعثر إلا إذا أحس بأحد قريب منه. ومما يدعم هذا الرأي أيضا أن الولد بقي يتحاشى مقابلة والده وجها لوجه مدة طويلة، لأن المدرسة أرسلت للوالد تبلغه أن الولد ضعيف في اللغة الانجليزية. فــكان لهذا يحرص على أن يخرج من المنزل مبكرا في الصباح قبل أن يستيقظ والده من النوم، وكان الوالد فخورا جدا بشدة تألم ابنه من نفسه وخجله منه.

ويلاحظ أن إحساس الولد بضعفه هو الذي أدى في الغالب إلى جعل الولد سلبياً منكمشا قليل الاختلاط شديد الحياء، شديد الخجل والخوف، قليل الثقة بنفسه قليل الــكلام، خاملا، حساسا سريع التأثر، ويحرص على شعور الناس وعلى فكرة الناس عنه حرصا لا يصدر عادة من الصغار مثله.

وحساسيته وخوفه من النقد أديا إلى جعله دقيقا في عمله وفي ملبسه. ويحتمل جدا أن تكون دقة الولد مع نفسه، ورقابته لها طول الوقت، عاملا مهما في إحداث التوتر وتثبيت العي.

واتجه العلاج أولا للناحية الجسمية باستئصال اللوزتين. ثم اتجه للناحية

النفسية بتعويده التكلم وهو في حالة تراخ، مما أعطى الولد ثقة كبيرة في نفسه. وقد أكدنا على الوالدين وجوب تخفيف المراقبة، ومنع القلق، وتعويد الولد الاعتماد على نفسه. وقد اشترك في معسكر صيفي قامت به العيادة، واشترك في ناد ليتمكن فيه من اللعب وحسن قضاء الوقت، وليتمكن من النمو الاجتماعي المتزن. وقد تحسن بالفعل تحسنا كبيرا، ولو أنه كان ينتكس بعض الشيء بسبب المرض أو الاجهاد أو رجوع ما تعوده معه ما تعود معاملة. وقد تقدم الولد - بسبب صحته، كسبه ثقته في نفسه - تقدما محسوسا كبيرا شجعه عليه ما رآه من قدرته وهناك حالة ثانية تختلف عن سابقتها في نوع شخصية صاحب الحالة. فبينما نجد صاحب الحالة الأولى حساسا منكمشا هادئا منقبضا قليل الجرأة ميالا للعزلة نجد صاحب هذه الحالة محبا للسيطرة ميالا للنقد والسخرية والتهكم كثير الـكلام مرحا محبا للاتصال بالغير.. إلى غير ذلك.

وهو تلميذ في سن الحادية عشرة، ذكاؤه فوق المتوسط، وهو الأخ الأكبر لخمسة إخوة. وهو- كما قلنا يميـل إلى بسط سلطانه على إخوته، شديد الخيال ويظهر هذا في رسومه وقصصه ونكاته، ويميل في رسومه إلى تشويه صور الناس بدرجة بالغة.

كان الولد يعيش في القاهرة مع عمه وجدته فقط في بيت ممل بالنسبة له كطفل يريد أن يلعب أحيانا ولا يجد من يلعب معه. والوالد على درجة كبيرة من الكفاية والذكاء والمرح، إلا أنه قلق جدا على مستقبل أولاده ويعتقد أن الزمن تغير كثيرا فما دام هناك أولاد ينالون الشهادة الابتدائية في سن تسع سنوات فستكون المنافسة في المستقبل شديدة جدا، ولذا تشعر معه أنه مسوق إلى دفع أولاده لسرعة التحصيل والتعلم. وهو يفعل ذلك بشيء كبير من القلق. الوالد منقلب في معاملة أولاده فهو يدللهم تدليلا شديدا إلى سن معينة، فإذا جاوزوها وبدؤا سن التعلم انقلب إلى شخص شديد صارم يقوم لأولاده بوظيفة المدرس

رغم كثرة مشاغله، ويتخلل تدريسه لهم ضربه إياهم بشدة وعنف. والوقت الذي يقوم فيه بالتدريس لأولاده هو الوقت الذي يكون قد أنهكه فيه العمل. وقد لوحظ أن الوالد إذا سأل أحد أبنائه سؤالا ولم يجب في الحال فإنه ينهره بشدة وإزعاج وبذلك يتعثر الولد. وأما الأم فإنها سيدة عادية في كل شيء، إلا أنها كثيرة النقد لأولادها. وهي تعلن أنها تحب البنات ولا تحب البنين، وينال صاحب الحالة بالطبع شيئا غير قليل من تفضيل اخوته عليه.

صاحب الحالة طبيعي ورضاعته طبيعية إلى أن جف لبن. وكان المشي والكلام والتسنين عادات طبيعية إلا أن الولد أصيب بـ(البارانيفود) في سن الثالثة، وبعد شفائه منه قل كلامه، وضعفت قدرته على التعبير عن مطالبه، وصار كثير البكاء لغير سبب ظاهر، وكانت أمه تضربه لبكائه ضربا شديدا وبدأت التهتهة في ذلك الوقت.

أرسل الولد لمدرسة بنات في سن الرابعة والنصف، وكان هو الولد الوحيد بها، وكان متضايقا من هذا الوضع، ولكنه بقي بها رغم أنفه سنة ونصف سنة. وبعد اتمام تعليمه في المدرسة الابتدائية أرسل إلى القاهرة ليعيش مع جدته وعمه. وقام عمه بتشديد الرقابة عليه لدرجة بالغة حتى لا يكون ملوما، وكان الولد يعمل كل شئ تقريبا ضد ما يرغب.

ويمكن تلخيص الحالة في أن مرض الولد بـ(البارانيفود) ربما يكون قد أضعف صحته العامة ضعفا جعله حساسا شديد التأثر. ولو أنه عومل في ذلك الوقت برفق وصبر، وحجز في البيت مدة كافية لاسترد صحته تماما قبل ارساله للمدرسة. ثم إن ذهابه لمدرسة البنات -هو لا يحب البنات لأنهن مفضلات عند أمه على البنين- كان مصدر ألم مستمر له. كذلك معاملة والده المتقلبة من اللين إلى الشدة، وقلق الوالد على تعليم أولاده، وتعجله اياهم في الكلام ودفعهم في التعليم دفعا فيه شئ من العنف؛ كل ذلك له أثره في الولد، خصوصا أنه الأكبر،

وقد كان نصيبه من كل ذلك أوفر من نصيب أي واحد من اخوته.

ولم نصل مع هذا الولد إلى نتيجة مرضية لعدم كفاية ما حدث بينه وبين العيادة من اتصال، ولو أن المعاملة التي عومل بها في معسكر العيادة ــ الذي سبقت الاشارة إليه -أدت معه إلى نتائج طيبة، ولــكنها لم تدم لانقطاع صلته بالعيادة بعد ذلك.

التشخيص والعلاج

وليس من السهل في الحالتين السابقتين أن نحدد واحدا ننسب إليه التهتهة، فهناك مجموعة عوامل، بعضها جسمي، وبعضها يرجع إلى المعاملة، وبعضها يرجع إلى الوراثة، وبعضها يرجع إلى التقليد... تتضافر كلها في احداث الحالة أو في المساعدة على بقائها بعد حدوثها.

ويغلب على الظن أن العامل الأساسي هو القلق أو الخوف المكبر وهذا القلق أو الخوف ينشأ إما بالتأثير فنجد الوالدين أحدهما أو كليهما على درجة كبيرة من القلق.

وقد ينشأ مما يحدث للطفل من حوادث التخويف أو المعاملة غير الحكيمة. ويترتب على حالة القلق النفسي إما خجل وانزواء وعزلة وقلة جرأة، وما إلى ذلك من الصفات السلبية التي شاهدناها في الحالة الأولى. وإما أن يترتب عليه تعويض نفسي فتنشأ الجرأة والمرح والنقد، وما إلى ذلك من الصفات الإيجابية التي شاهدناها في الحالة الثانية.

ويتلخص علاج مثل هذه الحالات في إعطاء الطفل ثقة في نفسه ازاء الكلام خاصة ازاء مجالات حياته بنوع عام. أما أسلوب اعطاء الثقة في النفس فإنه أسلوب طويل يحتاج إلى زمن وإلى صبر من المعالج وصاحب الحالة.

ويصح أن نورد باختصــــار حالتين أخريين لنوضح أثــــر عامل القلق أو

الخوف وأثر العوامل الأخرى إلى جانب هذا العامل.

أما الحالة الأولى فهي لطفل في سن الثانية عشرة عنده تعثر في النطق، وهو في السنة الثانية الابتدائية، ومستواه العقلي يوازي مستوى ذكاء ولد متوسط عمره ثماني سنوات ونصف ــ أي أنه متأخر في ذكائه عمـــا ينتظر لسنه ــ والولد خامل شاحب اللون قليل الابتسام، وعنده كبرياء مصطنع يحاول أن يغطي به ما لديه من نقص. ثم هو مع ذلك يميل أحيانا للانزواء. وهو سريع الغضب، ولـــكنه يكظم غضبه، فإذا أغضبه أحد معلميه - وهذا كثيرا ما يحدث- فإنه لا يبكي مطلقا. والولد يخاف أباه بدرجة بالغة. أما الأب فإنه رجل عصبي يتعثر في النطق ويعتقد أن التعثر في النطق أمر تافه لا يجوز اعارته أي اهتمام، لأنه هو أيضا يتعثر في النطق ومع ذلك صار بحسب رأيه في نفسه- رجلا عظيما.

ويلاحظ أن كل فرد في الأسرة عنده نوع معين من أنواع الشذوذ، فالأب يتعثر في النطق، والأم عصبية جدا، وبنتهما غير متزنة، والولد الـــكبير عصبي يتعثر في النطق، وقد تأخر في ضبط عضلات الجهاز البولي، والولد الذي يليه شديد الخنف، وابناه ليستا باتساع واحد. والولد الذي نحن بصدد حالته مع شدة خوفه من أبيه معجب به اعجابا شديدا[١].

والعلاقة بين الأم والأب سيئة جدا، ولكن الأب نحج في اشباع أنانيته باستعمال القوة، ورغم سعته يضيق على أسرته تضييقا شديدا ويمتع نفسه خارج المنزل. كل هذا قد يدل على أن احتمال الوراثة عن كل من الأب والأم، وكذلك تقليد الأب ربما اشتركا في تكوين التهتهة. وأما حالة التوتر فقد تكون ناتجة من حالة التناقض النفسي الظاهرة في اعــجاب الولد بأبيه وخـــوفه الشديد منه في الوقت نفسه، ومن سوء العلاقات في الجو المنزلي.

وبذلك قد تكون التهتهة في هـــذه الحالة نوعا من العصبية الموروثة التي

Identification and Am bivalency (١)

أخذت اتجاها معينا وتبلورت في شكل معين بفعل البيئة بما فيها من تقليد وتخويف واقلاق.

وهناك حالة أخرى لطالب عمره ثمانية عشرة عاما قد بدأ يتعثر في النطق بعد حادثة وقعت له وهو في سن الخامسة، وهي أنه دخل دورة المياه وأقفل على نفسه الباب ولم يتمكن من فتحه وعجز أيضا من في الخارج عن ذلك فلم يتمكنوا من فتحه. وذعر الولد ذعرا شديدا. وهو الأصغر في الأسرة وليس له سوى أخ واحد والعلاقة بين والديه بها شيء غير قليل من الخلاف مما يقلل من الشعور بالأمن في جو المنزل (حالة ص ١٤٥).

عوامل ظهور صعوبات النطق

يبدو مما تقدم ومن دراسة مختلف أنواع الحالات أن صعوبات النطق تشترك فيها عوامل جسمية وعوامل نفسية ويمهد لظهورها طريقة نمو الشخص وتكوينه. وهذه يشترك فيها عوامل بعضها وراثية وبعضها بيئية.

والعامل النفسي الأساسي في التهتهة هو التوتر النفسي المصاحب للقلق أو الخوف أو فقدان الشعور بالأمن أو الشعور بالنقص. وقد وجد (بيرت)[1] أن ٦٢ % من الحالات التي درسها وعددها ٩٧ يوجد بها العامل الوراثي لاستعداد عصبي، وأن في ٢٣ % من هذه الحالات الأخيرة لم يكن الأطفال قد اتصلوا بآبائهم اطلاقا، حتى يقال: إن التهتهة انتقلت اليهم عن طريق التقليد.

ووجد (بيرت) كذلك أن ٣١ من حالاته بها زوائد أنفية و١٩ منها بها تضخم في اللوز و ١٣ منها أسنان فاسدة، وبين أن العامل الجسماني إذا وجد فانه يكون عاملا مساعدا فقط.

---

(1) C. BURT; The Backward child.

وقد لاحظ كل من (بيرت) و(بوم) ورتشاردسن[1] أن الأعمار الملائمة لظهور التهتهة هي سن الخامسة، والسابعة أو الثامنة، ثم الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويعلل هذا بأن سن الخامسة هي سن بدء الذهاب للمدارس. أما السابعة أو الثامنة فهي سن الانتقال إلى مرحلة جدية من التعليم، وأما سن الثالثة عشرة فهي سن بدء مرحلة أخرى من مراحل التعليم، وأما من ذلك فانها سن بدء دخول بصعوباتها النفسية المعروفة.

وقد لاحظ ((بونهيم))[2] أن عددا غير قليل من حالات التهتهة يظهر في السنة الثانية من العمر، وهذا هو سن بدء تعلم الكلام وبدء اتقان التوافقات الحركية اللازمة له، ويحتمل معها أن أي اضطراب انفعالي في ذلك الوقت يؤدي إلى اختلالها.

وقد لوحظ أن التهتهة في البنين أكثر منها في البنات، وهذا الفرق يرجع إلى فروق طبيعية في كفاية أجهزة النطق وسرعة نضجها، وقد يرجع إلى أن الضغط التعليمي على البنين أكثر منه على البنات. وكذلك لوحظ أن التهتهة أكثر انتشارا في المدن من الريف، وهذا يرجع إلى أن الأعصاب أكثر تعرضا للاجهاد في المدن منها في الريف.

مصاحبات التهتهة

يلاحظ أن الطفل الذي يتعثر في النطق يكون عنده شعور مكبوت بالنقص بسبب التهتهة؛ فتجده يميل أحيانا إلى الذلة والانكسار والانزواء ويتصف عادة بالصفات التي سبق أن ذكرناها فيمن يمصون أصابعهم ويحدث، أحيانا مع هذا محاولات لتعويض هذا الشعور فيبدو الولد جزئيا يحاول الإكثار من الحديث ويعوض تهتهته بأن يحكي قصصا مثيرة إذا أمكنه. وقام بعض الباحثين بتقسيم

---

(١) Boome and Richardson ; The Nature and Treatment of Stammering

(٢) Child Psychotherapy

حالات التهتهة إلى أنماط، فوجدوا أن هناك نمطين: أحدهما أنه في الغالب يتصف بأنه خجول، جبان معتكف، منعزل يميل للوحدة، شديد الحساسية، شديد الانفعالية. ويكون هذا النوع هزيلا نحيفا(Asthenia) (ص ٥٠). وأما النوع الثاني، فهو قليل فتجده جريئا، متسرعا مندفعا في أفعاله وفي كلامه. ولـكن يخرج كلامه وتصدر عنه أفعاله كالمقذوفات بشيء من السرعة والانطلاق. ويكون هذا النوع حسن الصحة سمينا. ويصاحب التهتهة عادة حركات عصبية عامة أو خاصة تنطلق فيها الطاقة المـكبوتة. والتهتهة عادة وظيفة دفاعية للشخص، فالناس لا يوجهون إليه أسئلتهم بحجة أنه يتهته، ثم إنه قد يظن أنه يقنع من حوله بأن المسألة ليست صعوبة في الفهم وإنما هي فقط صعوبة في التعبير، وهي لهذا تؤثر أثرا سيئا في الناحية التعليمية،

إذ لا يشترك صاحبها في النشاط التعليمي الجمعي الاشتراك اللازم. وهي قد تؤثر كذلك في الناحية الصحية، فالذي يتعثر في النطق تجده عادة هزيلا شاحبا؛ ولعل هذا يرجع للجهد العصبي الضائع في مجرد التوتر النفسي.أما النوع غير الهزيل فهو نادر كما بينا.

ويتأثر الذي يتعثر في النطق بالمعاملة التي يلقاها ممن حوله. فان كان غيره يهزأ منه فان هذا يزيد شعوره بنقصه، وإن كان يعطف عليه، فان عطفه يذكره بعاهته. ولهذا نجد الاحتمال كبيرا في أن صعوبات النطق تجعل الشخص شاعرا بنقصه شعورا مباشرا، وشعورا مشتقاً من مسلك الناس نحوه. ويترتب على هذا نوعان من السلوك كثيرا ما يجتمعان.

تهتهة: نوع يدل على الخوف من الغير والانكماش منهم، وعلى نقمته على الغير وكراهيته لهم. فأحيانا قد نجد نطقه منكمشا في المـدرسة، وإن قام بنشاط فهو وقد نجده في المنزل ناقدا لاخوته مشاكسا لهم.

ومن أمثلة هذين النوعين من السلوك ما بدا من حالة طالب أشرنا إليه ضمن حالات التهتهة. فبينما كان هذا الطالب منكمشا هادئا قبل الـكلام كتب مرة

في كراسة الانشاء نقدا مرا للمدرسة التي كان يتعلم فيها إذ ذاك، وحلل المجتمع والحكومة القائمة في ذلك الوقت تحليلا يعتبر جريئا جداً.

المدرسة والتهتهة:

وتكون المدرسة في بعض الأحيان مسؤولة عن ظهور التهتهة عند بعض الأولاد، وكثيرا ما تكون المدرسة جوا صالحا لتثبيت التهتهة وزيادة وضوحها. ولعل سبب ذلك هو أن جو المدرسة يعيش فيه الطفل مدة طويلة. ولحياته فيه أهمية خاصة بالنسبة لحفظ كرامته في نظر نفسه، وبالنسبة لمستقبله وشعوره بالأمن عند النظر إليه؛ فإن جو المدرسة يشعره مثلا بالفشل العقلي لعدم ملاءمة العمل أو له أو لسعة الفارق بينه وبين زملائه في الـــكفاية، أو يشعره بالفشل في اللغات بنوع خاص، أو بالفشل الاجتماعي، فانه يزيد حالة الخوف وحالة التوتر. وإذا ظهر هذا الشعور بالفشل في المدرسة فان المنزل عادة يزيده تدعيما مما يزيد الحالة سوءا على سوء ومما يساعد على ظهور التوتر في العلاقات بين المدرس وتلميذه شدة الاهتمام بالامتحانات، وما تحدثه من قلق وما يترتب على ذلك من ارهاب وعقاب وارهاق بالعمل وتوتر عام في الجو المدرسي كله.

ولكن من الأخطاء المعروفة في الموضوع الذي نحن بصدده اطلاق الأسئلة على التلاميذ اطلاقا سريعا والإلحاح في طلب الاسراع في الاجابات، أو ارغام الطفل على سرعة الإجابة وهو في حالة خوف أو غضب، أو ارغامه على التزام الصمت في الحال إذا كان يصرخ من ألم، أو يبث شكوى،عن نفسه ظلما، أو ما شابه ذلك. ومن الخطأ تعليم الأطفال لغات متعددة جديدة في وقت واحد، كذلك القفز في تعليم اللغة القومية الصحيحة دون مراعاة الدارجة، ولا يجب التدرج من هذه إلى تلك.

والتلميذ الذي يتعثر في نطقه تثبت عنده هذه الصعوبة إذا هزأ به إخوانه

أو مدرسوه أو اذا أظهروا أنهم منتبهون للتهتهة أو متوقعون لحدوثها. وقد لوحظ في أحيان كثيرة أن طفلا أو طفلين يتهتهان تبدأ بهما فرقة دراسية معينة في أول العام الدراسي قد تنتشر العدوى منهما إلى عدد من الأطفال. ففي مدرسة مصرية كان في فصلين خمسة أولاد يتهتهون من مجموع الأولاد وهو ستون، وفي نهاية العام الدراسي زاد عددهم إلى سبعة عشر ولدا. وربما يبدو أن هذه الزيادة وقدرها ٢٠ % زيادة كبيرة، لولا أن (بيرت) أيضا يذكر أن بين خمسين طفلا في مدرسة ما ارتفع العدد من طفل واحد إلى تسعة أطفال في خلال السنة الدراسية؛ أي أن الزيادة حدثت بنسبة ١٦ % والعدوى بالتقليد لا تحدث إلا إذا كان هناك أسباب كافية مهيأة لذلك.

علاج التهتهة

تعالج بعض أمراض التهتهة في الخارج في مراكز خاصة لذلك، لأن علاج التهتهة وصعوبات النطق بوجه عام يحتاج إلى وقت طويل جداً في كثير من الأحيان، ولأن جو المدرسة العادي يعرقل تقدم العلاج، إذ يعامل فيه الطفل على انه أقل ممن حوله مهما كانت الطريقة التي يعامل بها. ولكن كثيرا ما ينجح علاج بعض حالات التهتهة في الجهات التي لا توجد فيها مراكز العلاج، والتي يمكن للمعلم فيها تنفيذ تعليمات الاختصاصي المشرف على العلاج. وبعد بحث الحالة من نواحيهــا المختلفة يجب أن يتجه العلاج أولا إلى الناحية الصحية فتقوية صحة الطفل – حتى في النواحي التي ليس لها بصعوبة النطق علاقة مباشرة – تسهل العلاج إلى درجة كبيرة.

أما العلاج من الناحية النفسية فأهم ما فيه إعطاء المعالج ثقة في نفسه. وقد لاحظنا أن الفرد الذي يتهته يتكلم عادة بسهولة وهو في حالة تراخ Relaxation فإذا أمكن إحداث حالة التراخي في المريض، وجعله يتحدث وهو

في هذه الحالة فإن هذا يعطيه ثقة كبيرة في نفسه. وفي أثناء تحدث المريض، وهو في حالة تراخ يمكن كشف بعض العوامل التي تسبب التهتهة، وهذا يؤدي عادة إلى تحسنه.

ومن أساليب انمـــاء الثقة في النفس تعويد الشخص الذي يتكلم أحياناً في مجتمع مدرسي أو غير مدرسي بأن يحضر حديثه تحضيراً جيداً، لأن التهتهة في كثير من الأحيان تكون في مثل هذه المواقف العامة. ومن يهاب الـــكلام في هذه المواقف العامة فليعد نفسه جيداً وليكتب ما يريد أن يقوله إذ أن هذا يساعد أولا على تحديده وثانياً على حفظه مما يجعله واثقا في نفسه قليل العرضة للتعثر.

فكأن العلاج يعتمد في أساسه على الإيحاء، وعلى حل مصادر التوتر ومصـــادر المشكلات الانفعالية، وعلى توجيه المريض توجيها يقلل من هذا التوتر. هذا التوجيه يعدل قدر الامكان اتجاه عقل المريض نحو الحيـــاة، ويعدل مجال حياته في المنزل والمدرسة من حيث الفرص التي تعطى، وسياسة التقدير، وملاءمة العمل لاستعداد الشخص، وغير ذلك من القواعد التي تضمن تحقيق الشعور بالأمن، والثقة بالنفس، وتضمن- بعبارة أخرى - توافر شروط الصحة النفسية المعروفة.

وبجانب تحسين الصحة العامة وتعديل مجال حياة الطفل وحل مصـــادر التوتر عنده، لا بد من تناول العمليات الآلية والمهارات اللازمة للنطق، فيعلم صاحب الحالة طرق التنفس والإخراج وغير ذلك، مما يتعلق بعلم حركات الـــكلام وإخراجه.

ومن الخطأ أن يقتصر العلاج -كما يحدث أحيانا -على أن يعود الطفل صرف ذهنه عن عملية النطق بالقيـــام بحركة معينة كالضرب على جانب فخذه والتوقيع بقدمه على الأرض أو غير ذلك. هذه الحركات لها أساس من الصحة، وهي أنهـــا تسحب كثيرا من الطاقة العقلية الموجهة لعملية النطق ذاتها. فتنتج

حالة تراخ متعلقة بها يسهل معها إخراج الـــكلام. ويمكن فهم هذا جيداً إذا علمنا أن انتباه المريض في أثناء الـــكلام يكون عادة موزعاً بين الفكرة، وحركات النطق. وأما في السليم فإن الانتباه يتركز في الفكرة، وأما حركة النطق فإنها تحدث بطريقة آلية صرفة. ولهذا كان محتملا أن الانتباه الجزئي جديد لحركة يحرر أجهزة النطق من تركيز الانتباه فيهـــا ولـــكن وجه الخطأ في هذا العلاج ينصب على العرض دون السبب الأصلي. وما دام السبب الأصلي موجودا دون معالجة فإن الانتكاس محتمل الظهور في أي وقت.

الخوف وضعف الثقة بالنفس

الخوف العادي الشاذ :

لاحظنا من دراسة ما تقدم من مشكلات السلوك، سواء في ذلك التهتهة أو التبول اللاإرادي أو الحركات العصبية أو النوم المضطرب أن عاملا هاما يدخل في غالب أنواعها وهو عامل الخوف. ويرى كثير من المشتغلين بالعلاج النفسي أن الخوف لا يقتصر فقط على بعض هذه المشكلات؛ وإنما يوجد في كل حالات اضطراب الشخصية سواء في ذلك حالات الصغار أم حالات الـــكبار. فالخوف يظهر بصورة صريحة أو مقنعة - حسب رأي (الرز)- في مشكلات السلوك بمختلف أنواعها[1]. ويرى فرويد أن الخوف أو القلق أساس جميع الحالات العصبية، غير أن الخوف يرتبط في رأيه بالمسائل والمواقف الجنسية وما يتعلق بهـــا. وسواء أخذنا بهذه الآراء أم لم نأخذ فموضوع الخوف جدير بالدراسة، لا سيما للكائن الحي سواء في ذلك الإنسان أم الحيوان - أن يخاف في بعض المواقف التي تهدده بالخطر أو يصح أن تهدده به فاذا واجهتني فجأة سيارة

---

(١) R.Allers says ; ((There is no case pf characterological anomaly either in cnidren or in adults , no case of dissociation , as in neurosis , no case of difficult upbringing , or of childish shortcomings , in which open or variously disguised fear does not lurk))
The Psychology of Character

في الطريق، فلا بد من أن أشعر بالخوف، وإذا جرى خلفي كلب كبير وهو ينبح، فلابد من أن أشعر بمثيل هذا الشعور. فالخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكا يبعده عادة عن مصادر الضرر. وهذا كله ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان والحيوان، ويسمى كما قلنا غريزة. ولا بد من أن يكون الخالق قد أوجد هذا الاستعداد الغريزي لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي. فالخوف هو الذي يدفعنا لحماية أنفسنا وللمحافظة عليها. فإذا كنا كلنا نخاف النار مثلا فقد تحرقنا، وإذا كنا لا نخاف الحشرات والحيوانات الضارية فقد تقتلنا، وإذا كنا لا نخاف الجراثيم فقد تفتك بنا. وهناك كذلك الخوف من الزلل، وخوف الإنسان على سمعته.. وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن تقترن الحالة الشعورية الانفعالية ــ وهي الخوف ــ بالسلوك الملائم وهو الخلاص من الخطر. والحالات التي يفصل فيها بين الخوف والخلاص ويكتفي فيها بالشعور الانفعالي تعتبر حالات غير صحية. فالخوف أمر طبيعي معقول ضروري يؤدي إلى حماية الفرد مما يجوز أن يسبب له اضرار. وجميع الطرق الوقائية التي نتخذها لوقاية أنفسنا عوادي الطبيعية، أو المرض أو سخط المجتمع أو غير ذلك تدل على نوع من الخوف نسميه الحذر أو الحيطة، ويصح أن نسميه الخوف الواقي، ومما لا شك فيه أن درجاته المعقولة صفة طيبة يجب الاتصاف بها.

وإذا تأملنا أدركنا ان الوقت كان في وقت ما حالة طبيعية أو شاذة، وحيث أن الشاذ هو ما يشذ عن المألوف أو يخرج عنه، فالخوف الـكثير المتكرر الوقوع لأية مناسبة يكون شاذا، وكذلك تضخم الخوف في موقف ما تضخماً خارجا على النسبة المعقولة التي يتطلبها هذا الموقف عادة يعد أمراً شاذا. فاذا وجدنا طفلا في السابعة يخاف هبوب الريح، أو يخاف الصراصير أو القطط، أو يخاف الظلام نعد هذا أمرا غير عادي. وإذا وجدنا طفلا في الثالثة

يخاف الظلام قليلا نعد هذا أمرا عاديا، ولكنه إذا خافه لدرجة الفزع والجزع، ووصل في انفعاله لدرجة ينقلب فيها اتزانه فلا شك في أننا نعد هذا أمرا غير عادي. فكأن الخوف في موقف ما تضخماً خارجا عن الحد المعقول، وكذلك تكرر الخوف تكرارا خارجا عما هو مألوف يعد أمراً شاذا يحتاج إلى تأمل وفحص وعلاج.

وكذلك يمكننا أن نأخذ نقيض الخوف، فانعدام الخوف في شخص ما أمر غير عادي، وهو نادر للغـــاية، ويغلب أن يكون سببه قلة الادراك.

وذلك كالطفل الذي يكون في سن الثانية ويرى لأول مرة في حياته عقربا تجري قد يظنها (كما حدث بالفعل) لعبة لطيفة يحسن إمساكها واللعب بها. والسبب في ذلك أن الطفل لا يدرك خطر هذا الـــكائن المتحرك غير المألوف.

وكثيرا ما يحدث أن يكون الطفل ضعيف العقل Mentally Defective فيقوم بأعمال تدل على عدم إدراكه مواقف الخطر أو الضرر.

ومن أمثلة ذلك أن طفلا ضعيف العقل قفز ذات مرة من الطابق الثاني في منزله إلى الطريق العام.

هذا الطفل نفسه أصيب في رأسه بجرح كبير سال منه دم غزير لأنه كان يلعب ويمثل خروفا يناطح درج سلم من الحجر مرات متوالية.

نرى مما تقدم أن لدينا خوفا معقولا من حيث درجته. ومبلغ تكرره، واكتـــمال حلقته من انفعال وسلوك. ولدينا خوف شاذ من هذه النواحي الثلاث. والخوف الطبيعي المعقول مفيد لسلامة الفرد.

أما ماعدا ذلك فهو ضار بشخصية الفرد وسلوكه. وقد لاحظنا أن الخوف قد يكون من مظاهره الانـــكماش. وعدم الجرأة، والتهتهة، وغير ذلك من الخصال المعطلة عن النمو.

أنواع المخاوف

يقسم (فرويد)[1] المخاوف إلى قسمين كبيرين: الأول ويسميه المخاوف الموضوعية أو الحقيقية. والثاني ويسميه المخاوف العامة أو غير المحددة. والنوع الأول يربط فيه الخوف بموضوع محدد، كالخوف من الحيوان أو من الظلام أو من الموت. أو غير ذلك.

أما النوع الثاني فلا يرتبط فيه الخوف بأي موضوع. فحالة الخوف تكون كأنها هائمة عائمة لا تستقر على موضوع ما. وصاحب هذه الحالة الأخيرة متشائم حزين يتوقع الشر والرعب وسوء الطالع في أيه لحظة وفي أي شئ. ويسمى فرويد هذه الحالة باسم القلق العصبي Anxietty Neursis. أما المخاوف الموضوعية فيقسمها فرويد إلى ثلاثة مجاميع، حسب ما يتوقعه الشخص العادي منها من خطر. فالنوع الأول يكون فيه عنصر الخطر بارزا، كالخوف من الثعابين أو من النـــار.

والنوع الثاني فيه عنصر الخطر؛ ولكن وقوع هذا الخطر يرجع للصدفة المحصنة، كالخوف من السفر في قطار أو باخرة، أو الخوف من دخول زحام خشبية يؤدي إلى انتقال مرض إليه كالتيفوس، أو الخوف من التلوث Misophobia، والنوع الثالث ليس فيه عنصر الخطر إطلاقا، كالخوف من الخنافس والصراصير، والخوف من صعود الأماكن المرتفعة Acropobia. والخوف من الأماكن المقفـــلة Claustropobia إلى غير ذلك.

ويقسمها آخرون حسب واقعيتها ومثيراتها إلى قسمين: أحدهما المخاوف الحسية أو الواقعية. وثانيهما المخاوف الوهمية أو الذاتية أو غير الحسية.

---

(1) Freud ; op . cit .

مخاوف الأطفال ومصادر تكوينها:

ومن المفيد من الناحية العلمية التربوية أن نقسم مخاوف الأطفال ـــ وهي التي تهمنا – حسب موضوعاتها إلى حسية وغير حسية. فموضوعات الأولى يمكن الطفل إدراكها بحواسه المختلفة بخلاف موضوعات الثانية؛ إذ لا يمكن الطفل إدراك حقيقتها. فمن النوع الأول الخوف من (الشحاذ أو العسكري) مثلا أو من بعض أنواع الحيوان كالحصان أو القرد أو الصرصور أو غير ذلك. أما النوع الثاني فهو المخاوف غير الحسية كالخوف من الموت. والخوف من جهنم، أو العفاريت أو الغيلان، أو غير ذلك. ويمكن أن يضاف الخوف من الظلام والخوف من النوم في حالة صغار الأطفال إلى النوع الثاني. وسواء أكانت المخاوف حسية أم غير حسية فإن الطفل – شأنه كشأن غيره- يخاف على العموم من الأشياء الغريبة عنه غرابة كبيرة، ويخاف كذلك من الأمور التي ترتبط في ذهنه برباط الخوف.

من هذا نتبين بساطة الخطة التي يمكن اتباعها للوقاية من الخوف وعلاجه، وهي توضيح الغريب وتقريبه من إدراك الطفل، ثم ربط مصادر الخوف بأمور سارة محببة بدلا من ربطها بأمور تثير الخوف فحسب. فان كان الطفل يخاف الكلاب مثلا فيصح أن نساعده على تربية كلب صغير يطعمه ويتعهده ويحميه ويلاعبه ويلاحظ نموه يوما بعد يوم... إلى غير ذلك، ثم يصح أن نوجه ذهنه إلى دراسة أنواع الكلاب ومزايا كل نوع وعاداته، وأن نجمل له غرفته بصور لطيفة لهذا الحيوان. وبعبارة أخرى نجعله يدرك الكلاب وخصائصها إدراكا واضحا يربطها في ذهنه برباط جميل وينمي اهتمامه بها وشوقه إليها. ويجب علينا كذلك أن نوقفه على مدى ما يجب أن يتبعه إزاء هذا الحيوان من حرص واحتياط.

ومن الأمثلة الواقعية أن طفلة في الثالثة من عمرها كانت تخاف الخيل خوفا شديدا، وتكرر منها الخوف بدرجة تلفت النظر. وبتحليل الموقف من وجهة نظر الطفلة أمكن الظن بأنها قد لاحظت أن وسائل النقل في مجموعها قليلة الجلبة، أما الخيل فإنها عندما تضرب بأرجلها تحدث صـــوتا عاليا فطبيعي أن تخاف الطفلة. وفي ساعة من ساعات هدوئها سألت والدتها (لماذا يفعل الحصان هكذا؟). وبالمناقشة اتضح أن الطفلة تريد أن تعرف الصوت أو مصدره. وكانت الأم قد فهمت ما تقصده ابنتها فقالت لها (يلبس حذاء حديد). فسألت البنت (ولماذا يلبس حذاء حديد؟). فقالت لها (لتحفظ أرجله)، وحدث بـــعد ذلك أن ركبت البنت مركبات تجرها الخيل وكانت تنصت لصوت (حذاء الحديد)، ثم أبدت رغبتها في رؤية (حذاء الحصان) ورأتها بالفعل، وكان هذا مصدر سرور عظيم لها.

ثم ظلت مدة تقلد حركة الخيل وتقلد أصواتها. وأصبح ركوب المركبات، ورؤية الخيل والاقتراب منها، أموراً محببة إلى نفسها، وأدت هذه الطريقة إلى زوال الخوف واللذة. هذه حالة عادية يعرض الـــكثير من مثلها للآباء ويتبين منها كيف أن خوفا نراه بسيطا ربما يكون مؤلما للطفل. والاحتمال كبير في أنه قد يرسخ ويقوى بسوء التوجيه، ومع ذلك يمكن بسهولة محوه وتحويلة إلى مصدر تعليمي قيم للطفل نفسه.

وبهذه المناسبة أشير إلى أن بعض الآباء أو بعض الخدم يكتشفون غالبا خوف الطفل من أمر معين كالحصان أو الكلب أو القرد، ويستغلونه إما لتسليتهم الخاصة أو لدفع الطفل للقيام بعمل معين، أو الاحجام عن عمل آخر.

أما تخويف الأبناء للضحك والتسلية من جانب الـــكبار فهذا أمر متكرر الوقوع؛ فخوف الطفل من القرد مثلا قد يكون مثاراً للضحك عند الـــكبار من اخوة وخدم وأحيانا من الآباء أنفسهم ومادام الأمر مصدرا للضحك والتسلية فلا

غرابة أن يندفع بعض الـــكبار فيه لسرورهم الخاص على حساب ألم الصغار وانزعاجهم.

وليس هناك أقسى من أن يجلس الوالد أمام ابنه ويثير خوفه، والولد يصرخ والوالد يضحك. ومن المحتمل جدا أن يكون لتــكرار هـــــذه المواقف تأثيراته السيئة في علاقة الطفل بوالده، وفي شخصية الطفل وفي سلوكه بوجه عام. مما يقوي في نفوس الأطفال استثارته لحفظ النظام أو لدفع الطفل لعمل معين، أو منعه من القيام بلعب أو ضوضاء أو غير ذلك. فكثيرا ما يخوف الطفل ليقطع عن اللعب والحركة ليهدأ جو المنزل حتى يتمكن الوالد مثلا من النوم، أو من تركيز انتباهه فيما يشغله. وفرق بين أن يقطع الولد عن لعبه ونشاطه خوفا من العقاب؛ وأن يفعل ذلك ليؤدي خدمة لوالده.

وما دام المقصود هو هدوء الجو، فيمكن توجيه الطفل للعب في مكان آخر، أو لنوع من اللعب أكثر هدوءا أو غير ذلك. والمهم أن يكون هناك تفاهم مع الطفل. وقد يظن أن الصغير لا يدرك المقصود في مثل هذه المواقف، والواقع أنه يدرك أكثر ممـــا نظن. ويرى بعض الآباء والمدرسين أن أساليب التخويف والعقاب تنجح دائما أكثر من أساليب التفاهم في الحصول على سلوك طيب من الأطفال. ولكن ليست العبرة بالسلوك الطيب وإنما العبرة بالسلوك الدائم الذي يستمر مع الشخص طول حياته بعد انفصاله عن منزله وعن مدرسته. والعـــــبرة كذلك بالسلوك التلقائي المقصود لذاته وليست بالسلوك الذي يؤتى خوفا من عقاب الوالدين أو المدرسين وتوبيخهم.

وكثيرا ما يهدد الطفل الصغير في مثل الأحوال التي أشرنا إليها بأن يقال له: (إذا لم تكف عن كيت وكيت فسيأخذك العسكري أو الشحاذ أو الزبال أو القرد أو سنضعك في الغرفة المملوءة بالفيران). وتكون النتيجة أحد أمرين: إما أن الطفل لا يقلع عما يفعل، ولا توقع عليه العقوبة، فيكشف بذلك ضعف الوالدين

وعدم تحقيقهم لوعيدهم، ويدرك مبلغ قوته عليهم تبعا لذلك، وأما أن يصدع بالأمر، ويهدأ، ويشل نشاطه، ويشب جبانا خضوعا لغير سبب معقول. والنتيجة وبال في كلتا الحالتين.

وقد قال لي طفل جريء ذات مرة: (لقد حبستني المدرسة في غرفة الفيران) فدهشت وقلت له: (إذن ستقلع عما فعلت). فضحك وقال: (لا، لأني عندما حبست قتلت جميع الفيران، ولا مانع عندي من أن أجلس في الغرفة مرة أخرى) ويبين هذا المثال مبلغ عدم احترام الطفل الجريء لهذا النوع من أساليب حفظ النظام، ومبلغ استعداده للتمادي في عبثه. وهذه النتيجة التي يكشف فيها الطفل خطأ من حوله من الكبار، ويواجه فيها المواقف موجهة صريحة جريئة - رغم ما فيها مما لا يروق أصحـــاب الأساليب التقليدية للتربية - خير من النتيجة الأخرى وهي الجبن والانكماش، وضعف الشخصية.

ومن أخطاء الآباء المعروفة أنهم لاستثارة الخوف في أبنائهم قد يربطونه بأمر لم يقصد به أن يكون مخيفا، وإنما قصد به أن يكون مفيدا، فالطبيب مثلا وهو انسان يقوم بخدمات انسانية واجتماعية مفيدة لمن يتصل به يستعمل اسمه في كثير من الأحيان أداة للتخويف، وكذلك الدواء والشرطي والمعلم والمدرسة. وهذه الموضوعات المختلفة التي يجب أن ترتبط في ذهن الطفل بفائدتها وقيمتهـــا الحقيقية تستعمل أحيانا - كما قلنا- وسائل للعقاب أو استثارة للخوف فينقلب معناها في ذهن الطفل فتصبح مصدر خوف له، وتقل مقدرته على الاستفادة منها. فأحيانا يعاقب الطفل بأن يرغم على النوم، أو على المذاكرة، أو بأن يعطى دواء، أو توضع في عينيه قطرة، أو ما شابه ذلك. هذه كلها أشياء يجب أن تكون محببة للأطفال وأن يربوا على الاقبال عليها من تلقاء أنفسهم، ولا يجوز أن تصبح رموزا للارهاب ووسائل للتخويف والعقاب.

ولعل أشـــد مثيرات الخـــوف ذات الأثر الثابت خـــوف الآباء لأنفـــسهم؛

فحالات الخوف كغيرها من الحالات الانفعالية تنتقل من فرد إلى آخر بالتـــأثير. وهذا ما سبق أن سميناه المشاركة الوجدانية. ويدخل معها في حالة صدور الخوف من شخص كبير عامل آخر وهو عامل الإيحاء. ومن الأمثلة التي توضح ذلك أن معلمة كانت تلقي درسا في روضة من رياض الأطفال عن الضفدعة، وكانت تخاف الضفادع، ولـــكنها تشجعت وأخذت معها ضفدعة في صندوق صغير، ولمـــا فتحته قفزت الضفدعة ففزعت المعلمة وصرخت فصرخ كثير من الأولاد، ورفض معظمهم بعد ذلك أن يقربوا الضفادع. هذه حالة خوف انتقلت إلى الأطفال عن طريق التـــأثير، فحالة الفزع انتقلت إلى الأطفال بفعل المشاركة الوجدانية، وبفعل إيحاء سلوك شخص له مكانته في نظر الأطفال وانتقلت معها فكرة أن الضفدع حيوان مخيف.

وكثيرا ما يحدث أن يبدي بعض الآباء والأمهات خوفا وقلقا على أبنائهم، وتنتقل هذه الحـــالة عادة إلى الأبناء فيصبحون بذلك قلقين على أنفسهم.

فإذا جرح طفل صغير، أو وقع على الأرض، أو ارتفعت درجة حرارته تجد الأم تذعر وتظهر – بسخاء شديد – كل علامات الخوف من جري وارتباك واصفرار الوجه وغير ذلك. ينتج عن هذا أن الطفل نفسه يذعر. وبعد أن كان لا يشعر بأي تألم قليل يمكنه تحمله، يصير عادة غير قادر على تحمل الألم. وفي العادة نجد الأسرة التي يقلق فيها الآباء على أبنائهم ينمو الطفل فيها وهو سريع التأثير، شديد الحساسية لأقل ألم، شديد الاهتمام بنفسه، فإذا أصابه جرح صغير ألم وبكى وبالغ في الاهتمام به، وإذا أصابه صداع خفيف اعتكف وإذا شعر بارتفاع في درجة حرارته نظر إلى وجهه في المرآة ليرى مبلغ صفرة لونه، وتأمل لسانه ليرى ما قد يكون عليه من علامات، وجس نبضه، وقاس درجة حرارته. وبهذه الطريقة يتضاعف مظهر المرض المخيف الذي قد يكون لديه. ونجد عادة أن أسرا بمجموعها من هذه النوع تكون عادة سريعة التأثر، كثيرة

المرض، وأفرادها مفرطون في العناية بأنفسهم. ويغلب أن يكون هذا هو نوع الجو الذي تتكون فيه حالات الرعب من المرض ((Hypochondria)) .

وأعرف طفلا نشأ هذه النشأة بكى بكاء شديدا في يوم ما وجرى إلى أمه يقول لها إن رجله قد جرحت. فنظرت الأم إلى الجرح المزعوم، فإذا به لون أحمر وليس بجرح. وسببه أن الطفل كان يلبس جوربا جديدا أحمر اللون وابتل بالماء فترك أثرا أحمر على ساقه، فإذا لم يكن هناك جرح ألم فمن أين ينشأ الخوف والتألم ولماذا الصراخ ؟ نشأ هذا من أن الطفل شديد الخوف على نفسه، لأن من حوله شديد الخوف عليه. وهناك من هذا النوع أمثلة واقعية كثيرة منها أن فتاة احمرت ذراعاها وسبب هذا الاحمرار ذعرا شديدا. وفكرت بسببه فيما قد يتبع هذا الاحمرار من نتائج غير محمودة. هذا مع العلم بأن السبب الحقيقي بسيط للغاية، وهو جلوسها في الشمس فترة طويلة. وحتى عندما ذكر لها ذلك لم يزل خوفها وظلت قلقة على نفسها يومين كاملين حتى زالت الشمس زوالا تاما. نشأت هذه الفتاة في نوع الجو الذي نحن بصدده. وفي العادة نجد الخوف من الآلام الجسمانية، والخوف من الأمراض، والتعرض في كثير من الحالات للأمراض (الهستيرية)، وتمركز المرء حول نفسه، وخوفه عليها من كل طارئ خارجي، سببه امتلاء الجو المنزلي بالقلق والخوف على من فيه.

ومن المهم أن نتذكر أن الخوف على من في المنزل يكون في العادة اسقاطا للخوف على الذات.

فلتكن إذن خطة الآباء والأمهات إذا أصاب أبناءهم شئ ما أن يكونوا عمليين فيلتزموا الهدوء، ويضبطوا انفعالاتهم ويقللوا من جزعهم، ومن كل ما يركز انتباه الطفل على ما أصابه من مرض أو غير ذلك. وليقوموا بعمل إيجابي هادئ لتخفيف الإصابة وعلاجها.

ومما يساعد على اثارة الخوف عند الأطفال تشاجر الكبار. كتشاجر

الأب والأم، أو كثرة صخب الأب وغضبه. ولهذا كله تأثير سيئ لأنه قد يزعزع ثقة الطفل بوالديه وكثير من حالات الاضطراب العصبي في الكبر تنشأ من تزعزع ثقة الطفل بالعلاقات التي بين والديه.

وهناك نوع من الخوف في غاية الخطورة وهو الخوف من المسائل المجهولة غير الحقيقية أو التي لا يمكن للطفل ادراكها حسيا، كالغول وجهنم والموت. والخوف من مثل هذه الأمور يكون عادة أعمق أثرا في حياة الطفل من الخوف من المحسوسات. والواجب هو عدم اثارتها اطلاقا وإذا كانت موجودة فيجب البحث عن سبب تكوينها، وإزالتها من أساسها، مع شرح حقيقتها ـ قدر الامكان ـ بما يلائم عقل الطفل، وأن السماح له على الأقل بالتحدث فيها وعدم كتمها باعطاء الموقف الصحيح إزاءها.

الخوف من الموت

ومن أمثلة هذا النوع الخوف من الموت. ويصاب كثير من الأطفال به بدرجات مختلفة، ويكون سببه أحيانا أن يعيش الطفل مع كبار يخاف أحدهم الموت بشكل بارز، وقد يكون سببه أن يموت للطفل قريب -ورفيق له به صلة شديدة. والسبب الأصلي لهذا أن موت القريب المهم يهز في الطفل ثقته في بيئته التي يحتمي بها وينتمي إليها هزا عنيفا، فتصبح دنياه في نظره خالية من الأمن. فكما ماتت جدته مثلا يصح أن يموت أبوه أو أن تموت أمه في أي لحظة؛ أي أن بيئته تصبح خالية من القاعدة الثابتة؛ مضطربة، أو عرضة للاضطراب والانقلاب. وهذا يؤدي إلى اضطرابه.

وهناك سبب أصلي آخر هو أن موت القريب يهز ثقته في نفسه فيشعر أنه يصح أن يموت هو في أيه لحظة. والسبب الثالث هو أن الموت ظاهرة غريبة غامضة في ذاتها وليس من السهل على الطفل - بل على الكبير-أن يتصور نفسه في حالة الموت، أو فيما يحدث لجثته بعد الموت رغم معرفته

الأكيدة بتعرضه له. ولهذا يطرد الناس هذه الفكرة عن أذهانهم، بل لا يدخلونها فيها غالب الأحيان. ومن أهم أسباب خوف الأطفال من الموت ما يحاط به الموت مما يأتيه الكبار عادة من بكاء فردي وجمعي وغير ذلك ممـــا تقضي به بعض التقاليد، فخوف الأطفال من الموت ليس كله خوفا طبيعيا وإنما أغلبه مشتق من خوف الـــكبار وسلوكهم إزاءه.

وللحصول على بعض الوقاية للأطفال من هذا النوع من الخوف، يحسن أن يكون بالمنزل أو في خبرة الطفل المتكررة بعض الحيوانات. ولا بد من أن يموت بعض هذه الحيوانات فيدرك الطفل الموت بذلك ادراكا طبيعيا هادئا خاليا مما يحيط بموت الإنسان عادة من انفعالات، ومن محاولات لتخبئة الموت وظواهره من ناحية وتجسيمها من ناحية أخرى. ويحدث أن يسمع الطفل بوفاة جار ليس له به من قرابة فيسأل والدته أسئلة عن الموت ومعناه وميعاد حدوثه.. الخ، ويندفع إلى السؤال بدافع الرغبة في الاطمئنان.

وهذه فرصة ذهبية للتحدث الهادئ مع الطفل عن الموت، لأن الخوف من الموت يكون أسوأ أثرا إذا كانت الخبرات الأولى بالموت ترتبط في ذهن الطفل بصدمة شديدة حادة تتعلق بقريب أو عزيز. ويحسن – قدر الإمكان– ألا يحاط الموت بما يحاط به من تقاليد تثير في الأطفال رعبا شديدا دون أن ندرك ذلك غالبا.

وإذا لم يكن هناك بد من متابعة هذه التقاليد، فيحسن إبعاد الطفل عن جوها إلى أن تنتهي. على أنه من الخطأ الفاحش، إذا مات للطفل قريب محاولة التمويه عليه وعدم إيقافه على الحقيقة بمختلف الأساليب وذلك لأن التمويه والتغيير الفجائي يكونان مصحوبين بجو غير عادي يثير شكوك الـــطفل وحيرته. والحيرة أشد أثرا في نفس الطفل من الصدمة الناشئة عن المواجهة المؤلمة للواقع.

الخوف من الظلام

يمكن أن يكون خوف الأطفال من الظلام أمرا طبيعيا كما يمكن أن يكون غير طبيعي. ويجب أن يتجه العلاج منه نحو بتعويد الطفل النوم في الظلام، وألا يكون بتعويده النوم في مكان مضاء. وخوف الطفل من الظلام يكون على ظهور الخيالات والأشباح. فالظلام في ذاته لا يثير خوفا غريزيا فطريا وإنما يخيف لما يستثيره في الأطفال عادة بطبيعته من عناصر مخيفة، وذلك لأنه إن كان الظلام حالــكا فإنه يكون في إدراكه مجردا من الحدود والنهايات وإن كان الظلام جزئيا فإن ما به من مرئيات يسهل أن تتحول في نظر الطفل إلى أشباح غريبة. فالطفل قد يقوم من نومه غامض الشعور والادراك، وجو الغرفة يكون وسطا بين النور والظلام، فيرى المشجب مثلا في ركن الغرفة وفي أعلاه طربوش وعليه ستره فيخيل إليه أنه رجل. وربما هب الهواء وهز ذراعى السترة، مما يساعد على وضوح الصورة المتكونة للرجل في خياله. وإذا كان لدينا طفل يخاف الظلام فيمكن أن ينام في غرفة بها ضوء، ويقلل الضوء ليلة بعد أخرى، ولا مانع من أن يحتفظ بمصباح (سهارى)، ولا مانع من (بطارية) يحفظها تحت وسادته ليضيئ بها إذا شعر بالحاجة لذلك. ثم يفهم الطفل بالدليل المحسوس وبالمناقشة أن الظلام لا يدعو لكل هذا الخوف. من أهم العوامل التي تساعد على زوال الخوف من الظلام أن يكون الكبار أنفسهم ممن لا يخافون الظلام. ويصح ألا يعود الطفل الظلام فجأة وإنما يعود بالتدريج. ويجب أن يراعى لوقاية الطفل أو علاجه من الخوف من الظلام نوع القصص التي تحكى له قبل النوم مباشرة، فيجب أن تنتقى بحيث تخلو بقدر الامكان من عناصر الازعاج، ويجب كذلك أن تمتنع استثارة الخوف عند الأطفال وهو في الظلام، لأن مجال الظلام يصعب على الأطفال تحديد موقفهم فيه، خصوصا إذا اضطربوا.

القلق والخوف العام:

ونلاحظ في بعض الناس قلقا أو خوفا عاما، فنجد شخصا يخاف أي نوع من المخاطرة ويخشى مقابلة من لا يعرف، ويخشى التكلم في مجتمع ويخاف الامتحان. وهو يشك في مقدرة نفسه في كل خطوة من خطوات حياته.

وإذا درسنا حياة هذا النوع من الناس - وهو موجود بدرجات مختلفة- نجد أن من حوله من الكبار كانوا يحذرونه باستمرار أو ينتقدونه باستمرار أو يتبعون معه غير ذلك من الاساليب المسببه. للقلق وليس معنى هذا أن التحذير المستمر أو النقد المستمر لا يؤدى إلا إلى القلق، وإنما يحتمل أن يؤدي إليه أو إلى نقيضه. فهو إما أن يضعف ثقة المرء بنفسه، أو ثقته بالناس فيقف منهم موقف المتحدي.

واجب الآباء إزاء مواقف الخوف:

ومن القواعد الوقائية الهامة التي يجب أن تراعى أنه إذا حدثت لطفل ما حادثة مزعجة فلا يجوز أن نترك الطفل ينساها لأنه ينساها غالبا بفعل الكبت، وبذلك تصير في حالة لا شعورية، ولكن أثرها لا ينتهي إذ يحتمل أن تصير مصدرا للاضطرابات النفسية. وقد حدث أن طفلا صرخ صراخا شديدا للغاية، كله ذعر وخوف، وظهر أن السبب في ذلك أنه كان قد رأى قطته تاكل أولادها. هذا الحادث ربما يترك أثرا دائما في نفس الطفل لولا أن من حوله عالجوا المسألة بكثير من الحكمة. وكان من أسئلته التي سألها في ذلك الوقت: (هل كل أم تأكل أولادها؟) والظاهر أن الطفل خيل إليه أنه كما أن القطة الـــكبيرة أكلت أولادها، فمن المحتمل ألا يكون هناك ما يمنع من أن الأم البشرية قد تأكل هي أيضا أولادها، وعلى ذلك فقد تأكله أمه في يوم من الأيام، ولكن أفهمه من حوله إذ ذاك أن القطة الشرسة فقط هي التي تأكل أولادها.

ثم إن الموضوع لم يترك لينسى، بل كان من حوله يتحدثون معه فيه من آن لآخر، ويطلبون منه أن يصف طريقة القطة عند أكلها لأولادها إلى غير ذلك من التعليقات حول الحادث. وكان من المحتمل أن يقوم الكبار المحيطون بالطفل باستهزاء من خوفه من الحادث التافه في نظرهم، ويضحكون على سؤاله، أو يجيبونه كذبا بأن كل أم تأكل أولادها إلى غير ذلك، مما يثبت آثار الخوف في نفسه.

وعلى العموم فليتذكر الآباء والأمهات أن الخوف يتكون غالبا بالاستثارة والتكرار. فالقاعدة العامة إذن هي منع الاستثارة. وعليهم أن يتذكروا أن فهم الشيء على حقيقته وتكوين عاطفة طيبة نحوه من أهم العوامل التي يجب إقامته لتعمل ضد الخوف.

ومن أهم القواعد التي يجب توكيدها أن الخوف ينتقل بالايحاء والمشاركة الوجدانية، ولنتذكر أن ايحاء السلوك أقوى من أي إيحاء فاذا أردت لأطفالك ألا يخافوا الدواء مثلا، فلا معنى لأن تظهر علامات التألم وأنت تأخذ الدواء، أو في الوقت الذي تعطي فيه الطفل دواء ثم تطلب منه التجلد ازاءه. فعليك أنت ألا تخاف هذه الأشياء، وإن كنت تخافها فلترض نفسك على تحملها، وإذا استحال عليك ذلك فاستر خوفك عن أطفالك.

ومن الوسائل السهلة التطبيق التشجيع الجمعي، فتعطي مثلا طفلا شجاعا دواء تحت تأثير التشجيع أمام آخرين، ثم تعطي الآخرين دواءهم بعد ذلك تحت تأثير التشجيع أيضا، وبالتكرار تجد أن هذه الأشياء تنفذ بسرعة وسهولة، وعلينا أن نتذكر في مثل هذه المواقف ما يحسه الأطفال من نشوة عند التغلب على الخوف.ويجب على الآباء أن يروضوا أنفسهم على عدم القلق على أبنائهم أو أن يخفوا عنهم قلقهم ان كان خارجا عن ارادتهم، وان يقللوا من التحذير والمبالغة في النقد وأن يمتنعوا عن الاستهزاء بالأطفال والسخرية بهم.

وعلى الآباء أن يتذكروا كذلك أن غالب أخطائنا في تربية الطفل سببها أن المرء ينسى ما كان فيه من عالم الطفولة بسرعة وسهولة. فعالم الأطفال عالم دقيق الحس سريع التأثر شديد الانفعال، قليل الادراك، نادر الخبرة، ضئيل الحيلة. وهذه من أهم العوامل التي تسهل احتمال نمو الخوف بصورة غير سوية.

ضعف الثقة بالنفس

ويرتبط بموضوع الخوف ارتباطا شديدا صفة كثيرة الشيوع وهي ضعف الروح الاستقلالية في الأفراد. ويكون هذا دالا في الغالب على فقد الأمن أو وجود الخوف. ومن مظاهر هذا الضعف التردد، وانعقاد اللسان في المجتمعات والتهتهة واللجلجة، والانكماش، والخجل وعدم القدرة على التفكير المستقل، وعدم الجرأة، وتوقع الشر وزيادة الخوف وشدة الحرص، وتضييع الوقت بعمل ألف حساب لـــكل أمر -صغيرا كان أم كبيرا- قبل البدء فيه حتى لا يخرج منحرفا قيد شعره عن الـــكمال ومن الغريب أن من مظاهره كذلك التهتون والاستهتار وسوء السلوك والاجراء.

وهذه الصفات كلها يجمعها أو يجمع ما وراءها ما يسميه الناس عادة شعورا بالنقص أو ضعف الثقة بالنفس، أو جنبا.. أو ما إلى ذلك. ولا شك في أن هذه الخصلة الهدامة للرقي المفككة للشخصية، انما تتكون عادة في السنوات الاولى من حياة الطفل، ويغرسها في نفسه أعز الناس إليه وأقربهم إلى قلبه، هما الوالدن.

الثقة عند الطفل الصغير

وأول ما نلاحظه أن الطفل الصغير العادي يعيش عادة في جو كله أمن واطمئنان. فحاجات الطفل كلها مشبعة ورغباته مجابة. فاذا صرخ فان الأم تهرع اليه لترضعه، أو لتغير له الملابس أو التدفئة في حالة البرد، إلى غير ذلك مما

يحتاج اليه. فالطفل الصغير عادة لا يرفض له طلب، ولذا نجده يبدو كأنه يتحكم في دنياه، فهو يأمر ويصرخ ولا يصبر حتى تحضر له أمه في تأن وهدوء، وانما يرفس ويصرخ بعنف والحاح إلى أن يجاب طلبه؛ فكأن نفس الطفل تشعر بشيء كثير من الاطمئنان إلى من حوله والثقة بهم، وكأنه يشعر شعورا ضمنيا بأن من المسلم به ألا يرفض له طلب بحال من الأحوال.

ولكن يلاحظ أن الطفل قرب السنة الثانية يتعلم المشي والكلام، ويزداد نشاطه، وتكثر حركته، ويكون مملوءا ثقة بنفسه وتزداد رغبته في اللعب والصياح والحركة، ويتضاعف شوقه للمس الأشياء وفحصها. وهو لا يعرف منعا ولا زجرا. ولكن ازدياد النشاط عنده لا يجد من الكبار عادة تشجيعا ولا قبولا. فالحركة واللعب ولمس الأشياء وفحصها - خصوصا إن كانت مما يملكه الـكبار ويقدرونه - تجد معارضة ومقاومة. فكلما لمس شيئا منعه الكبار، وكلما صاح ضربوه، وكلما فعل ما لا يروقهم زجروه. والمنع والضرب والزجر وما إلى ذلك كله أمور جديدة بالنسبة للطفل في هذه السن، فلم يكن يألف منها شيئا من قبل، ولم يكن يعرف غير السعادة، والرضا والطمأنينة. أما الآن فهذا كله يقل، أو ينعدم، ويحل محله اضطراب نفسي، وقلق داخلي، وشعور بفقد السند، وفقد ما كان عنده من قوة يسخر بها من حوله لقضاء مصالحه وإجابة مطالبه.

فكأن هذا الانتقال الفجائي في المعاملة - وهو يحدث حوالي السنة الثانية من حياة الطفل، ويحدث دون قصد سيئ من الوالدين، بل قد يحدث وفيه قصد التوجيه والتأديب والتربية- هو الذي ينقل الطفل من الامتلاء بالثقة إلى فقدها، ومن الايمان بالقوة الشخصية إلى التشكك في وجودها. فيجب أن تكون القاعدة الأساسية أن الانتقال في المعاملة من السنتين الأوليين إلى ما بعدهما -بنوع خاص- يجب أن يكون انتقالا تدريجيا، وأن يعطى الطفل الفرص الـكافية لتصريف ما عنده من النشاط في جو تتوافر فيه العوامل المحققة لحاجات الطفل

النفسية من تقدير وعطف ونجاح وحرية وتوجيه وشعور بالأمن والاستقرار.

بعض العوامل الطبيعية للشعور بالنقص

ويلاحظ كذلك أن مجموع الظروف المحيطة بالأطفال تجعلهم عادة يشعرون بشيء غير قليل من النقص، فالطفل بطبيعة طفولته نظرا لصغره، وجسمه لضعفه، ونظرا لاعتماده على والديه، ونظرا لقصور إدراكه يشعر بأن أمه وأباه بنوع خاص مخلوقان قويان عظيمان، وبالتالي يشعر بأنه فرد ضعيف. ولذا نلاحظ أن نفس الطفل تشتاق للكبر، وتتعطش للنمو وكسب القوة. فهو يقلد أمه وأباه في كل أمر تقريبا، لأنه يريد أن يكبر مثلهما، وهو يفرح لأي ظاهرة عنده من مظاهر النمو، فاذا شعر مثلا بأنه صار قادرا على أن تصل يده إلى الصنبور أو إلى مزلاج الباب بعد أن كان غير قادر على ذلك فان هذا الشعور يكون مصدرا عظيما للنشوة والفرح؛ فكأن ضعف الطفل وقوة من حوله يشعره بقلته ونقصه وضعفه.

ولكن يتضاعف أثر هذا العامل الطبيعي بفعل بعض التغيرات الحادثة في مجال حياته كتكرار الحوادث التي تقع بفعل القضاء والقدر أو بفعل معاملة الوالدين.

القصور الجسماني والعقلي :

وقد يكون لدى الطفل بالإضافة إلى ضعفه الطبيعي الذي يشترك فيه مع بقية الأطفال نقص جسماني خاص به كالحول، أو العرج، أو العسر، أو النحافة، أو البدانة، أو فرط القصر، أو فرط الطول، أو تشوه جسماني معين، أو غير ذلك. ويجب في هذه الحالات أن يكون موقف الـــكبار من الصغار موقفا عاديا، كأن الطفل ليس به شئ غريب اطلاقا، فلا تجوز الموازنة، ولا تجوز السخرية، ولا يجوز العطف الزائد. فالعطف الزائد من شأنه أن يركز انتباه الطفل على عاهته، بل يجب أن يكون سلوك الكبار من هذا الطفل كسلوكهم مع أي طفل

آخر، فأي سلوك غير السلوك العادي يصح أن تنتج لنا شخصا منكمشا، راكدا، متباعداً، منزويا، غير ميـــال للنشاط، أو شخصا ناقما، ثائرا، يتجه في كثير من الأحيان بنقمته وثورته ضد المجتمع وأنظمته وآدابه وتقاليده. وهذا كله من ناحية الشعور بالنقص المتكون من الضعف الجسمي، وأهم ما يراعى فيه أن حساسية الطفل لنقصه أو لموقف الــكبار نحو نقصه الجسمي، حساسية كبيرة للغاية، فليكن موقفنا الوقائي إزاء الصحة النفسية للطفل أن نضمن أولا صحة الطفل الجسمانية، وأن نساعده على أن يشعر بقوته وصحته شعورا معقولا معتدلا.

وهناك نوع آخر من الشعور بالنقص، وهو الشعور بالنقص العقلي أو الضعف العقلي، فمن الجائز أن يتأخر الولد عن زملائه في المرحــلة الدراسية كأن يجد نفسه في سنة دراسية كل أطفالها أصغر سناً.

ووجوده في هذه البيئة قد يشعره بالبؤس ويفقده احترام نفسه وتقديره اياها ومن الجائز أن يكون سبب التأخر هو كثرة تنقلات الوالدين من جهة إلى أخرى، وبالتالي كثرة تنقل الطفل من مدرسة إلى أخرى، وارتباكه في تحصيله العقلي تبعا لذلك. فاذا حدث هذا التأخير.

وكان أن ذكاء الطفل يسمح له بالتقدم فيحسن مساعدته حتى يصل إلى المستوى المناسب له، ثم يترك بعد ذلك ليشق طريقة بنفسه. ويحسن أن يقف الطفل على الأسباب التي أدت إلى تأخره، فكثيرا ما تغيب هذه الأسباب عن ذهن الطفل بل عن ذهن الوالدين. ووقوف الطفل والوالدين والمعلمين على عوامل تأخر الطفل يجعلهم أقدر على التحكم فيها ومن الجائز أن يتصف الطفل بقصور حقيقي في استعداده الادراكي. وفي هذه الحالة لا يجوز وضع الطفل في عمل دراسي أكثر ممـــا يتحمله مستواه الادراكي، لأنه سيشعر دائما ازاءه بضعفه وعجزه وعدم مقدرته.

ومن أحسن مـــا يقوي في الطفل بنفسه نجاحه وشعوره بالنجاح، فاذا قام

بعمل ونجح فيه فهذا هو أحسن حافز له على مواصلة العمـــل والنشاط، فاذا كنت تكلفه عملا ما فمن الجائز أن يكون العمل صعباً جداً وييأس أمامه، ويظن أنه ضعيف ومن الجائز أن يكون العمل سهلا جدا لا يشعر الطفل معه ببذل المجهود، أو بلذة النجاح، فينشأ عنده احتقار للعمل أو شعور بالغرور. فيحسن أن يكون العمل الذي يكلف به عملا أعلى من مستواه بحيث يتحدى قواه العقلية ونشاطها، وبحيث يهيئ له فرصة للنجاح، وبالتالي فرصة احترام نفسه لنجاحه. وهذا نوع النشاط الذي يحفز إلى الاستمرار في النشاط بعد ذلك.

أثر الموازنات

ومما يثبط همة الطفل أن نحط من قيمته بالموازنة. فـكثيرا ما يوازن الآباء بين طفل وطفل آخر بقصد تحميس الطفل المتأخر إلى العمل والنشاط وهذا النوع من الموازنات يأتي غالباً بأسوأ النتائج.

ومن بين الحالات التي عرضت لنا حالة ولد متوسط الذكاء وله أخت تصغره سنا وتفوقه ذكاء، وكان الوالدان يوازنان علانية بينهما موازنة تشعر البنت بأنها قد بلغت الذروة وتشعر الولد بأنه قد هبط إلى الحضيض وهكذا ثبطت همة الولد، وانكمش على نفسه، وتراخى في عمله، وتشجعت البنت، وتقدمت في عملها، وكلما ازدادت الموازنة زاد الولد تألما، وزاد انحرافا عن عمله، وزادت البنت نشاطا وتحمسا في عملها.

فإذا نظرنا لهذا الولد وجدنا أن كل ما حوله يفقده شعوره بالقوة فهناك توبيخ الوالدين، وهناك رسوبه ونجاح أخته. وهذا كله يترك في الطفل آثاراً يترتب عليها شعوره بعدم الجدارة وبنقص الـــكفاءة، وبعدم القدرة علـــى العمـــل.

وكان الولد يعمل في الظاهر أحيانا ويستذكر؛ ولكنه يقول انه يستذكر ولا يفهم، وانه إذا جلس يستذكر يشتت فكره، ويطير عقله، ويشرد انتباهه مما أمامه. وعقل الولد في هذه الحالة مقسم بين قوتين: إحداهما الرغبة في النجاح والتفوق،

والأخرى شعور خفي يستولي عليه، ويمزق جهوده، ويشعره بأن الإخفاق أمر لابد منه. والولد في كل هذا مخلوق يائس يرغب ويعجز عن تحقيق رغبته، ويعقد النية ولا يقوى على تنفيذها.

وهو لا يدرك سر القوى الخفية التي تعمل بداخله، والتي هي من غرس الجو المنزلي المحيط به، والتي تجعله غير قادر على العمل. وبالإضافة إلى هذا فان الأب والأم لا يسمحان له بالاشتراك مع بقية الأسرة في الحديث أو الفسحة، أو المجالسة، أو غير ذلك. وكل هذا بالطبع يزيد من شعوره بنقصه وعدم جدارته.

وطفل آخر له أخ أصغر وأذكى منه بكثير. ذكاء الأكبر أقل من العادي بدرجة ضئيلة. بدأت الموازنة بين الأخوين بتشجيع الوالدين للأصغـــر وتقريبه منهما، والعطف عليه، وإقصاء الأكبر والاكثار من توبيخه وضربه وحرمانه من كل امتياز.

كل هذا إذا أضيف إلى شعور الطفل بإخفاقه الدراسي، لا يربى فيه شعور بالقوة، بل يهدم فيه كل ما يمت للشعور بالقوة بصلة. وخير لوالد هذين الطفلين وأمثالهما أن يدركوا أن الاخوة يختلفون في قواهم العقلية، وأن الواجب توجيه كل للتعليم الذي يلائم قواه العقلية. فاذا اتجه الأصغر للتعليم الثانوي المعروف يصح أن يتجه الأكبر للتعليم الصناعي، مع احترام نوعي التعليم في نظر كل من الطفلين.

ويجب أن تكون القاعدة هي للموازنة، وأن يستبدل بالنقد والتوبيخ والزجر وما إلى ذلك، وتشجيع الطفل واشعاره بما فيه من النواحي الطيبة وإبراز هذه النواحي بصورة عملية محسوسة.

وليس من المعتاد أن تكون الموازنة دائما صريحة؛ فقد تكون ضمنية، إذ يهـــيأ جو الـــمنزل أحيانا بحيث يشعر بالمحاباه، وتقريب طفل وإبـــعاد الآخر،

وإظهار علامات الحب وعلامات الاستلطاف لطفل دون الآخر. فالمساواة في المعاملة قدر الامكان شرط أساسي لإعادة الثقة في البيئة المحيطة، وإعادة الثقة في الذات.

ويحدث أحيانا أن يكون هناك طفل يعادل مستوى ذكائه مستوى ذكاء طفل آخر أكبر منه في السن بكثير. هذا الطفل يجد نفسه غير قادر على التعامل مع من يساوونه ذكاء لأنهم عادة أكبر منه جسما وأقوى بأسا.

ويجد نفسه كذلك غير قادر على التعامل مع من يساوونه سنا، لأنهم أقل منه ذكاء ولهذا تضعف ثقته بالنفس - خصوصا في هذه السن الصغيرة - تكون مبنية على المقدرة الجسمية. وهذا ما يؤدي إلى شعور المتفوقين في ذكائهم بالحساسية وضعف الثقة بالنفس رغم التفوق العلمي. وتعالج هذه الحالة في الخارج أحيانا بإفراد فصول خاصة للمتفوقين في ذكائهم.

اعتماد الطفل على نفسه وعلى غيره

ولعل من أكبر أخطاء الآباء أنهم لا يتركون الأطفال يفكرون لأنفسهم، أو يعملون لأنفسهم. فبعض الآباء يتدخلون في تفكير الطفل وحديثه وعمله ولعبه بمناسبة وبغير مناسبة. وواجبنا أن نترك الطفل يكسب كثيرا من خبراته بنفسه، فنتركه يلعب، ويتسلق، ويجري ويقفز، ويبحث عن الأشياء، ويجرب.. إلى غير ذلك. ولكن الآباء كثيرا ما يخافون على الطفل، ويمنعونه من عمل هذا ولمس ذاك بقصد حمايته. ولكنهم بهذه الحماية التافهة يفقدونه صفات استقلالية هامة. لنأخذ مثلا عاديا وهو رغبة الطفل في الدق، أو في القصص. ومعروف أن الطفل تشتاق نفسه لمثل هذا النوع من النشاط، فيعمد الآباء إلى ابعاد (الشاكوش) أو المقص عن الطفل، ومنعه من اجراء تجاربه، وكسب خبراته، خوفا عليه من أن يجرح أصبعه. ولكن حتى إذا جرح الطفل نفسه، فهذا يكون مدعاة لتعليمه الطرق الصحيحة لاستعمال هذه الأدوات. وجرح صغير في الأصبع يستمر أثره

يومين أو ثلاثة أقل أثرا في تكوين الطفل من جرح كبير دائم يتناول ثقته بنفسه، ويضعف أهم ركن من أركان شخصيته.

وبعض الآباء لا يتركون الطفل الصغير يطعم نفسه، أو يلبس نفسه. وحجتهم في ذلك أنهم إذا أطعموه فانهم يوفرون على أنفسهم بعثرة الطعام، واتساخ الملابس، ولكن الطفل إذا أُطعم نفسه، أو ألبس نفسه فانه يكسب مهارات يدوية بسرعة كبيرة، ويكسب عادات الأكل الصحيحة في زمن قصير. ويشعر بالاضافة إلى ذلك بمقدرته وقوته التي زادت عنها في أيام الطفولة الأولى، ويوفر كثيرا من وقت أمه في المستقبل.

وبعض الأمهات يذهبن في مساعدة أبنائهن إلى حد بعيد جدا، فإلى سن السابعة أو الثامنة يلبسن أطفالهن الملابس. وأعرف أما من هذا النوع كانت لا تترك لابنها (وكان في سن السابعة) شيئا يعمله قط، فهي تبرعت بالاجابة عنه. هذا الطفل يشعر شعورا خفيا بضعفه الشديد، ويشعر بحاجته دائما إلى المعونة، وبالإضافة إلى ما تقدم فان الولد له أخت تجد من الأم معاملة حسنة جدا، فالأم تقول: ان البنت حسنة، وإنها تسمع الـكلام، إلى غير ذلك.

وأما الولد فانها تصفه بجميع الصفات السيئة؛ فإلى جانب أنها تشعره بضعفه بعدم تركه يعمل شيئا لنفسه، تشعره أيضا بعدم جدارته بموازنته بأخته موازنات سيئة. فالنتيجة أن الولد شذ في سلوكه من نواح عدة، بحيث أصبح من الصعب علاجه إلا إذا أقلعت الأم عن خطتها في كثرة المساعدات وفي التفرقة في المعاملة بينه وبين أخته.

ومن نوع المساعدة التي تفقد الطفل ثقته بنفسه ارسال خادم أو غيره لحراسة الأولاد عند ذهابهم للمدرسة وإيابهم منها إلى سن متقدمة، وكذلك الدروس الخصوصية في بعض الحالات، وإعطاء النقود ثم الاشراف على انفاق كل مليم منها، والتفكير للطفل في نوع التعليم الذي يجب أن يتعلمه ولون الحلة

التي يلبسها، والصديق الذي يختاره لنفسه.. إلى غير ذلك مما يبالغ فيه الآباء أحيانا مبالغة كبيرة، ويترتب عليه اما تكوين أفراد ضعفاء جبناء مترددين، أو تكوين أشخاص ثائرين متمردين ميالين للتحكم والاستبداد، أو تكوين أفراد يجمعون بين هذين الاتجاهين المتناقضين.

وتأخذ ثورة الفرد ضد هذا النوع من المعاملة أبرز صورها عادة في دور المراهقة والسنوات الأولى من البلوغ.

السلطة الوالدية :

يفرض الآباء على الأبناء أحيانا سلطة جائرة. والشغف بالسلطة يكون في الغالب مظهرا من مظاهر الضعف المستتر. فيتحكم الكثير من الآباء في الطفل ويشعرونه بأنه لا حول له ولا قوة بجانب سلطتهم وقوتهم، ويرغم الطفل إذ ذلك على إطاعة الوالد دون أن يفكر أو يتردد، أو يتأمل. فيطلب الوالد من الطفل إطاعته من أجل مجرد الطاعة؛ لا لغاية أخرى أهم منها.

وكذلك ترى الكبار يسخرون من الصغار ويستهزئون بهم وبقوتهم العاجزة وتفكيرهم القاصر، ويجعلون من ضعف الطفل عدم اكتمال نموه مصدرا لسرورهم وتسليتهم. كل هذه الأمور – من احساس بالضعف الطبيعي ومن سلطة جائرة، وطلب للطاعة العمياء، وتهكم واستهزاء – تفقد الطفل أهم سلاح يجب أن نسلحه به وهو الثقة بالنفس. وإلى كل ما تقدم نضيف جفاء الكبار، وعدم إظهارهم عطفهم.

ويبالغ بعض الآباء في مخاصمة الأبناء ومقاطعتهم، أو ابداء إهمالهم، فيحدث أحيانا أن نجد الوالد مثلا يتحدث إلى شخص آخر، ثم يجئ الصغير يطلب من الوالد شيئا، فيهمله إهمالا تاما، وربما لا يدرك وجوده. ويحدث غالبا أنه ينهره ويبعده ويزجره ولا يستمع له.

ليس معنى هذا أننا نريد أن ينشأ الطفل على مقاطعة الناس في أحاديثهم،

وانما معناه ألا نهمله باستمرار، فيشعر على الاقل أننا نحس وجوده. أما تكرار اهماله وعدم اقامة أي اعتبار لوجوده فانه يشعره بأنه ليس جديرا بالالتفات اليه، ويشعره بأنه مخلوق حقير أو على الأقل بأنه ضعيف عديم القوة. هذا النوع من المعاملة لا يسهل على الطفل تكوين احترام الذات، وهي المركز الذي تنمو حوله الشخصية نموا متزنا.

ومن أخطر مظاهر السلطة الوالدية تذبذبها، ممـــا يزعزع ثقة الطفل بها وقد يترتب على هذا اضطراب ثقة الطفل بنفسه.

العلاقات بين الوالدين:

ومن أهم العوامل التي تجب الاشارة إليها الجو المنزلي نفسه. فاذا كان الجو المنزلي مليئا بالمحبة والعطف والهدوء والثبات كان الطفل في الغالب مطمئنا على نفسه. ويلاحظ أن شعور الطفل بقوته وثقته بنفسه وظهوره بمظهر الاستقرار والثبات يعكس صورة منزل تسوده العلاقات الطيبة.

أما الاضطراب المنزلي والمشاجرات والمنازعات بين الأباء فانها من أقوى العوامل التي تؤدي إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه. نتيجة لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي.

وقد يقول قائل: ومن يدري الطفل بما بين والديه من نزاع ؟ ولـــكن الطفل حساس للغاية فهو يلتقط ما في جو المنزل بنوع غريب من الالهام يطلق عليه المشاركة الوجدانية والايحاء. فليكن جو المنزل متصفاً بالطمأنينه. والثبات والاتزان. ولتكن سلطتنا مع الطفل مشبعة بروح الحرية والصداقة[1] دون أن نفقد شيئا من الحزم في التوجيه.

وقد تصل العلاقات بين الوالدين إلى درجة أن يتعلق كل منهما بالآخر تعلقا يهمل معه الأولاد. وينسى بعض الآباء واجبهم إلى حد أنهم يتغازلون أحيانا

---

(١) راجع الباب الثاني : فصل ((الطفل ووالداه)) .

أمام أطفالهم. وكثير من الاضطرابات العصبية ينشأ بسبب هذا النوع من المواقف.

التربية والروح الاستقلالية :

لا يقصد بوجود الطفل في حضانة والديه مدة طويلة أو قصيرة الا أمر واحد، وهو وجوده في جو آمن يحميه في أثناء مراحل النمو الأولي، ولكن لا يجوز أن تصل الحماية إلى الحد الذي يجعله غير قادر على الاستقلال بنفسه. ويمكن النظر إلى نمو الطفل على أنه سلسلة من الانفصالات أو الاستقلالات. فالطفل يقضي شهوره الأولى شديد الالتصاق بأمه، ثم ينفصل عنها انفصالا جزئيا ليتصل ببقية أفراد الأسرة، ويساعده في ذلك المشي والــكلام، ثم ينفصل عن أفراد الأسرة انفصالا جزئيا ليتصل برفاقه اتصالا جزئيا، وتزداد صلته برفاقه تدريجيا إلى دور المراهقة، حيث تبلغ هذه الصلة أعلاها، ويصبح شديد الولاء لمجموعة معينة من الناس، ثم ينفصل عن هؤلاء انفصالا جزئيا ليتصل بالمجتمع الأكبر. فيكون معنى التربية الاستقلالية هو تكوين شخص يعتمد على نفسه في الفكرة والعمل، ويتصل بالمجتمع ويشعر بمسؤولية نحوه وبحقوقه عليه، وينسجم مع المجتمع بحيث لا يتلاشى فيه، بل يحتفظ بفرديته، ويشعر بالأمن الشخصي، ويتصف بروح الاقدام، والمخاطرة، والشعور بالثقة بالنفس. والثقة بالنفس لا يقصد بها الغرور، فالغرور هو تقدير المرء لنفسه تقديرا أعلى من الحقيقة، ونقيضها احتقار الذات، وهو تقدير المرء لها تقديرا أقل من الحقيقة.

وأهم أسلوب يساعد على تقدير المرء لذاته حق قدرها هو التفاعل الكافي مع العالمين المادي والاجتماعي تفاعلا عمليا يترتب عليه وضعه في المكان اللائق باستعداده، ويترتب عليه اقتناعه بصحة هذا الوضع.

ويلاحظ أن ما يصدر من الاباء من مظاهر الحب، والافتخار، والخوف،

والغضب والنقد والموازنة، والتشجيع والتثبيط وغير ذلك، يمكن أن تكون كلها مظاهر طبيعية إذا بدت بدرجات معقولة. ولكنها قد تصل كلها أو بعضها إلى درجة من القوة بحيث تهزم معها الأغراض التي ترمي إليها.

وهذه الأغراض هي أن يكون الطفل مسلحا من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية أو الاجتماعية حتى يصير مؤهلا للنضال مع زملائه في الحياة بحيث لا يقبل محاباة ولا يخاف فشلا؛ أي أن الغايات التي يجب العمل على تحقيقها هي التحرر من الوالدين أو يشابههما. وبعض الأطفال لا يتحررون من آبائهم مدة الحياة. وقد سبق أن أعطينا من ذلك أمثلة عديدة (راجع فصل (الطفل ووالده)).

مظاهر ضعف الثقة بالنفس:

من مظاهر ضعف الثقة بالنفس الجبن والانكماش، والتردد، وتوقع الشر، وعدم الاهتمام بالعمل، والخوف منه، واتهام الظروف عند الاخفاق فيه. وأحيانا يكون من مظاهر التشدد، والمبالغة في الرغبة في الاتقان للوصول إلى درجة الكمال.

وهذا الاندفاع للكمال يدل عادة على ما تحته من خوف من نقد الآخرين. ومن مظاهره أحلام اليقظة، وسوء السلوك، والمبالغة في التظاهر بطيب الخلق، والحالات العصبية، والمرضية كالتهتهة، والتبول، وبعض حالات الشلل، وغير ذلك. ومعنى هذا أن ضعف الثقة بالنفس ــ مع اختلاف العوامل التي تؤدي إلى ظهوره ــ قد يؤدي إلى أساليب انسحابية أو سلبية كالكسل أو الانزواء أو الجبن وما إلى ذلك.

وقد يؤدي إلى أساليب تعويضية كالنقد والسخرية والتحكم والتقنع بالوقار المصطنع وما إلى ذلك. وقد تظهر هذه الأساليب السلوكية بنوعيها في صور مرضية.

خامساً الكذب

من المشكلات التي تتصل بالخوف اتصالا وثيقاً مشكلة الكذب، ويرى بعض الباحثين أن الكذب الحقيقي عند الأطفال لا ينشأ إلا عن خوف، والغرض الأساسي منه حماية النفس. ونظرا لشيوع الـكذب وأهميته البالغة نتجه لدراسته قائما بذاته. ويرجع الاهتمام بهذا الموضوع إلى أسباب عدة أولها: أن الكذب يستغل في العادة لتغطية الذنوب والجرائم الأخرى، وثانيهما: وجود علاقة كبيرة بين خصلة الـكذب وخصلتي السرقة والغش.

وقد وجد الباحثون في جرائم الأحداث بنوع خاص أن من اتصف بالـكذب يتصف عادة بالسرقة والغش. ولا غرابة في هذا إذا علمنا أن هذه الخصال الثلاث تشترك في صفة واحدة وهي عدم الأمانة، فعلى حين أن الـكذب هو عدم الأمانة في وصف الحقائق، نجد أن السرقة هي عدم الأمانة نحو ممتلكات الآخرين، وأن الغش هو عدم الأمانة في القول أو الفعل بشكل عام.

ولنبدأ أولا بتحديد معنى الصدق ومعنى الكذب. فكثيرا ما يشكل علينا الأمر فيما إذا كنا نعتبر الشخص كاذبا أم صدقا. ويخيل الينا لأول وهلة أن الصدق هو مطابقة القول للواقع ولـكن كثيرا ما يحدث ألا يكون القول مطابقا للواقع، ومع ذلك نعتبر الشخص صادقا، كقول القدماء مثلا بأن الأرض مسطحة، وكقولهم أحيانا: ان الشمس تدور حولها وغير ذلك.

وكثيرا ما يحدث أن يكون القول مطابقا للأصل، لكننا نعتبر أن الشخص كاذب، كقول بعضهم: ويل للمصلين، ثم الوقوف عند ذلك.

ويهمنا في الصدق أن تكون النية متوفرة لمطابقة القول للواقع مطابقة تامة. ويلاحظ في الكذب توفر النية لعدم المطابقة والتضليل. ولا ضرورة للتوسع في هذا فهو بحث طويل، ويحسن أن نترك الكلام فيه إلى أكاذيب الأطفال. ونحن نعلم أن الأطفال كثيرا ما يكذبون. فليس بغريب على الطفل أن ينكر أمام والديه

فعلة قد أتاها، إذا كسر آنيه أو خرب شيئا ثمينا مثلا. ولـــكن الغريب أن يتألم الآباء لهذا أشد الألم، يقلقون له وينزعجون، معتبرين أن الـــكذب فاتحة لعهد تشرد واجرام في تاريخ حياة أطفالهم.

وقد جرت العادة أن ينصب الآباء على الأبناء بالتقريع والإذلال والتشهير والضرب اعتقادا منهم أنهم بذلك يصلحون أبناءهم، ويقطعون دابر الـــكذب منهم. ولـــكن أغرب من هذا تأتي هذه المعاملة بعكس ما يتوقع منها من نتائج، فيصر الأطفال عادة على صحة كلامهم، ويتفننون في اخفاء الحقائق وتزييفها.

الاستعداد للكذب:

وقبل التوغل في الموضوع يجب أن نتذكر أن الأمانة في القول أو في غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية، وهي صلة تتكون في المرء عن طريق التقليد والتمرين وغير ذلك من طرق التعليم المختلفة. ويجب أن نتذكر أيضا أن الـــكذب ما هو إلا عرض ظاهري، والأعراض لا تهمنا كثيرا في ذاتها، وإنمـــا الذي يهمنا هو العوامل والدوافع النفسية والقوى التي تؤدي إلى ظهور هذا العرض.

وهناك استعدادان يهيئان الطفل للكذب: أولهما قدرة اللسان ولباقته، ولعل هذا يوافق ما كانت جداتنا يقلنه عن بعض الأطفال على سبيل المزاح، فـــكن يعتبرن أن الطفل الذي يخرج في الأسابيع الأولى لسانه ويحركه يمنه ويسرة سيكون في مستقبل حياته قوالا كذابا. وثاني هذين الاستعدادين خصوبة الخيال ونشاطه.

فخصوبة الخيال هي التي دفعت طفلا صغيرا لم يتجاوز الثالثة من عمره لأن يقول بأن برغوثا كبيرا خرج من كتاب أخته وطار إليه ليلسعه، وذلك بعد أن كان قد رأى صورة مكبرة لبرغوث في كتاب للمطالعة كانت اخته تقرؤه. وما ذكره الطفل نفسه عن أنه رأى قطة ذات قرون، وكان هذا بعد احضار أهله خروف العيد فانتزعت مخيلته قرون الخروف وركبتها على رأس قطته، وصار يقول باسما منشرحا بأنه رأى قطة ذات قرون. وادعى طفل آخر بأنه رأى رجلا

ذا أنفين، وأنه رأى فانوس الشارع يطرح موزا، إلى غير ذلك من الأمثلة المتعددة المألوفة التي تظهر في ألعاب الأطفال المصحوبة بالخيال، والتي تسمى باللعب الإيهامي، والتي يمثلون فيها آباء وأمهات وعرائس وفرسانا ولصوصا وغير ذلك.

الكذب الخيالي (١) Imaginative ore playful

يسمى هذا النوع من الكذب بالـكذب الخيالي، وإذا حكمنا على الطفل الذي يصدر منه هذا النوع من الـكلام بأنه كاذب، كان ذلك كحكمنا على الشاعر، أو الروائي أو المسافر بأنه كاذب في المادة التي يأتينا بها بمساعدة خياله الخصب ولسانه الذلق.

ومما يريح نفوس الآباء والمدرسين أن يعلموا أن هذا ليس إلا نوعا من أنواع اللعب يتسلى به الأطفال. وعند كشف هذه القوة الخيالية الرائعة يحسن توجيهها، والاستفادة منها ولتوضيح ذلك نأتي بالمثال الآتي:

كانت هناك بنت صغيرة اعتادت أن تجلس إلى والديها، تقص عليهما حكايات عجيبة وتدعي بأنها حقيقة. وكانت تسترسل في حديثها استرسالا مشوقا جذابا يملك تفكير المستمعين وانتباههم، فأخذها والدها إلى إحدى العيادات النفسية الشهيرة في لندن لمعالجتها من هذا النوع من الكذب.

ولما درس المتخصص النفسي حالة هذه البنت وجد أنها على قدر عظيم من الذكاء، وأنها رائعة الخيال. طلقة اللســان، فأشار على والديها بأن لها مجال التأليف والتمثيل، وبعد مدة قصيرة نبغت في التمثيل والأدب نبوغاً ظاهرا، فألفت عددا من الروايات وقامت بإخراجها على مسرح المدرسة وكانت هذه فاتحة لمستقبل باهر لها.

---

(١) التقسيم الذي في هذه الدراسة هو في أساسه تقسيم الأستاذ (سل نيرت). وقد أدخلنا عليه تعديلا طفيفا، وقد نشره (بيرت) في كتابه: C.Burt;The Young Delinquent.

وإذا لم تتح للطفل فرصة توجيه هذه الملكة وانمائها، فلا داعي للقلق والاهتمام بعلاج هذا النوع من الكذب، فالزمن وحده كفيل بذلك ولكن قد يفيد إذا نحن سألناه بطريقة لطيفة بين حين وآخر إن كان متأكدا من صحة ما يقول، وإذا نحن جعلناه يحس من نبرات صوتنا، بأننا نحب هذا النوع من اللعب، ونشاركه فيه مشاركة فعلية فنبادله قصة بقصة، وخيالا بخيال. ونشعره أيضا بأن هذه القصص مسلية، ولـــكنها مخالفة للواقع.

ويقرب من هذا النوع إلى حد كبير نوع آخر يلتبس فيه على الطفل الخيال بالحقيقة ولذلك فهو يسمى الكذب الالتباسى.

الكذب الالتباسي: (Confessional Lie)

وسببه أن الطفل لا يمكنه التمييز عادة بين ما يراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحا في مخيلته. فكثيراً ما يسمع الطفل حكاية خرافية، أو قصة واقعية، فسرعان ما تملك عليه مشاعره، وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها كأنها وقعت له بالفعل.

ومن هذا النوع أن طفلا شديد الخيال في الرابعة من عمره في غرفة الزائرين تخيل شيخا معمما مستدير الوجه، واسع العينين، عريض الجبهة فذهب إلى جده وأبلغه أن الشيخ (محمد عبده) ينتظره في غرفة الزائرين. واتضح أن جد الولد كان قبل ذلك بأيام قليلة يصف الشيخ في مجلس من مجالسه لبعض زائريه وكان الطفل يستمع فارتسمت في ذهنه بعض الأوصاف؛ فلما جاء الزائر قال الولد إن هذا هو الشيخ (محمد عبده).

وكثيرا ما يحدث أن يقص الطفل قصة عجيبة، ولو تحقق الوالدان الأمر، لعرفا أنها وقعت للطفل في حلم. ومن هذا النوع أن بنتا في الرابعة قامت من نومها تبكي، وتقول؛ إن بائع الثلج المقيم في آخر الشارع ذبح خادمتها في منتصف الطريق، ووصفت بشيء من التطويل كل ما رأته في الحلم. ولم تفرق

الطفلة بين الحقيقة والحلم فقصت كل هذا على أنه حقيقة، وكان ضروريا إذ ذاك توضيح ما جرى للطفلة.

الكذب الانتقامي

وفي أحيان كثيرة يكذب الأطفال ليتهموا غيرهم باتهامات يترتب عليها عقابهم أو سوء سمعتهم، أو ما يشابه ذلك من أنواع الانتقام. ويحدث هذا كثيرا عند الطفل الذي يشعر بالغيرة من طفل آخر مثلا، أو عند الطفل الذي يعيش في جو لا يشعر فيه بالمساواة في المعاملة بينه وبين غيره. وكثيرا ما يحدث هذا النوع من الكذب من فتيات في دور المراهقة، فتكذب الواحدة منهن متهمة فتى بمحاولة التقرب منها والتودد إليها.

وقد تدل أمثال هذه الحوادث على أن الفتاة تقوم بعملية لا شعورية من النوع الذي سميناه اسقاطا (Projection) والذي يترتب عليه سرورها لأن لديها — حسب ما ترى — من الجاذبية الجنسية ما يحرك الشبان نحوها.

وقد تكذب الواحدة منهن لأنها ترغب في الانتقام من الفتى لعدم قيامه ازاءها بما كانت تتمناه منه. وقد يحدث مثل هذا من البنين.

ويجب أن يكون الآباء والمعلمون في غاية الحرص ازاء هذا النوع من الاتهامات، إذ أنها تكون في كثير من الأحيان على غير أساس كاف من الحقيقة.

الكذب الدفاعي

ومن أكثر أنواع الكذب شيوعا الكذب الدفاعي، أو الكذب الوقائي، فيكذب الطفل خوفا مما قد يقع عليه من عقوبة. وظاهر أن سبب الكذب هنا هو أن معاملتنا للطفل ازاء بعض ذنوبه تكون خارجة عن حد المعقول وقد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز خاص لأنه إن قال الصدق ضاع منه هذا الامتياز مثال هذا الطفل الذي يسأل عما بيده فيقول: انه شيء حريق (يح) والواقع

أن معه حلوى. وكالطفل الانجليزى الذي سئل مرة عما إذا كان يعتقد في (بابا نويل) (Father Christmas)، فقال انه بالطبع لا يعتقد في هذه الخرافة، فقيل له: ولم لا تجاهر بهذا أمام أمك وأبيك ؟ فقال أنه يخشى أن يفقد شيئا من عطفهما عليه ويحرم من هداياهما له في عيد الميلاد. ومن أمثلة هذا أيضا ما حدث معي منذ زمن، ذلك أني كنت خارجا للتنزه، فطلبت من أبن أخي وكان إذ ذاك في سن الثالثة أن يستعد ليخرج معي، فذهب ليستعد، وما مرت دقيقتان حتى عاد إلي قائلا: (المشمش ايه اللي طلع؟) فقال. (المشمش، علشان أروح وياك) وحتى بعد هذا لم أفهم ما يقصده، ولكن بعد الاستفهام وجدت أنه كان قد قال للخادم في فرح وسرور: (أنا رايح أتفسح مع عمي) فقال له الخادم: (ايه.. ؟ ده لما يطلع المشمش)، فتركه وأسرع إلي قائلا: ان المشمش قد ظهر، وانه رآه بالفعل. فهنا كذب الطفل ؟لأنه يخشى أن يحرم من الخروج معي إن قال الحق. ولكن مثل هذه الحوادث لا توقفنا على صلة الكذب ببقية الشخصية. ولبيان هذه الصلة يجب القيام بدراسة تفصيلية لإحدى الحالات.

لنأخذ حالة لولد عمره (١٤) سنة، وهو متأخر جدا في فصله بالسنة الثالثة الابتدائية ويتبول ليلا في فراشه وهو كثير الـكذب، إذ أنه لا يصرح لوالديه بكل ما يفعل فبعد انصراف المدرسة يذهب إلى المنزل في ساعة متأخرة، ويقدم اعذارا يتضح من البحث أنها غير صحيحة.

والولد ثاني اخوته، وهو كسلان في أداء واجبه، يميل إلى الافراط في اللعب، ولـكنه هادئ مطيع مسالم ويقبل في الظاهر كل ما يفرض عليه.

أخوه الأكبر لم يواصل تعليمه، ويتحدث عنه الجميع في المنزل حديثا مشينا، ولو أنه يتمتع بقسط كبير من الحرية فهو يخرج للفسحة وللخيالة دون أي تقيد. وأما صاحب الحالة فانه يحرم من الخروج للنزهة، ويقضي الإجازة الأسبوعية في المنزل خوفا عليه من الترام والعربات والبحر وغير ذلك. ولا

يسمح له بالذهاب مع أخيه الأكبر إلى الخيالة التي لا يذهب إليها في نظر والديه إلا المفسدون الأشرار.

والوالد رجل عادي في الظاهر، ولكن الأم متشددة جدا. وبلغ تشددها أن كوت ابنها بالنار في جانبه لتبوله في أثناء الليل في فراشه.

والحالة الصحية للولد في حاجة إلى بعض العناية. والذي يعنينا - فيما نحن بصدده من هذه الحالة أحد أعراضها وهو الكذب. سببه - كما يبدو - الشعور بالنقص، والرغبة في وقاية النفس من السلطة الجائرة في المنزل. ويلاحظ أن الولد كان يكذب في المنزل على حين لا يكذب قط في المدرسة. ويلاحظ أن العوامل التي أدت مع أحـد الأولاد إلى الكذب والمخادعة، أدت هي نفسها مع أخيه إلى التمرد والخروج على الطاعة ويمكن القول بأن الأول تكيف بالضعف والثاني تكيف بالقوة.

وقد عولجت الحالة من الناحية الصحية وعدلت علاقة الولد بوالديه، وأرشدت الأم إلى ما كانت تحتاج إليه كتحديد النسل، إذ أن من بين أسباب تشددها وعصبيتها إرهاقها بكثرة الأولاد.

وأرشدت الأسرة كذلك إلى اختيار مسكن تتوافر فيه الاضاءة، والتهوية، ودورة المياه، ودورة المياه الخاصة به والقرب من المدرسة ومن عمل الوالد في الوقت نفسه، وأرشدت الأسرة كذلك الولد إلى ما يعمل إزاء التبول، والفسحة، والتغذية وإزاء المذاكرة من حيث تنظيمها وطرق أدائها. وقد نجحت الحالة نجاحا باهرا لحسن استعداد الوالدين، وشغفهما باصلاح الولد، وإصلاح نفسيهما ولم تتكرر شكوى الوالدين بعد ذلك من كذبه، ولا من مشكلاته الأخرى.

ومن أنواع الكذب الوقائي كذلك كذب الإخلاص أو الكذب الوقائي (Lie of Loyalty) وفي هذه الحالة يكذب الطفل عادة على أصحاب السلطة عليه

كالآباء أو المدرسين، ليحمي أخاه أو زميلة من عقوبة قد توقع عليه، ويلاحظ هذا في مدارس البنين أكثر منه في مدارس البنات، وفي المدارس الثانوية أكثر منه في المدارس الابتدائية. ذلك لأن الكذب الوقائي مظهر من مظاهر الولاء للجماعة؛ والولاء للجماعة يقوى في دور المراهقة، ويكون عادة عند البنين أكثر تبكيرا منه عند البنات.

كذب التقليد

وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه، ولمن حوله. إذ يلاحظ في حالات كثيرة أن الوالدين نفسيهما يكذب الواحد منهما على الآخر مثلا فتتكون في الأولاد خصلة الكذب. وفي احدى الحالات كان من شكاوى الوالدين كذب الطفل، واتضح أن أمه كانت توهمه بأنها تريد أن تصحبه للنزهة، ثم يكتشف أنه يؤخذ للطبيب. وأن والديه يخرجان ليلا ويتركانه بعد أن يوهماه بانهما ناما معه في المنزل.

الكذب العنادي:

وأحيانا يكذب الطفل لمجرد السرور الناشئ من تحدى السلطة، خصوصا إن كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة الحنو.

وقد أشار (توم)[1] إلى حالة تبول لا إرادى وكانت الأم من النوع الشديد الجاف، فكانت تقول للطفل أنه لا يجوز له أن يشرب قبل النوم، ولكن الولد رغبة في المعاندة فكر في أن يقول إنه لا بد أن يغسل وجهه قبل النوم. وعند غسله وجهه يشرب كميات من الماء، وأمه واقفه إلى جانبه دون أن تتمكن من ملاحظة ذلك. وكان الولد يشتق لذة كبيرة من استغلال غفلة أمه على الرغم من تشددها في الرقابة.

---

(1) Thom : Everyday Problems of The Everyday Child ; Ch . XVL

الكذب المرضي أو المزمن (Pathological Lie or Mythomania)

وأحيانا يصل الكذب عند الشخص إلى حد أنه يكثر منه، ويصدر عنه أحيانا على الرغم من إرادته. وهذا نلاحظه في حالة الكذب الادعائي، لأن الشعور بالنقص يكون مكبوتا، ويصبح الدافع للكذب دافعا لا شعوريا، خارجا عن إرادة الشخص. وحالات الـــكذب المزمن معروفة في كل زمان ومكان.

لنأخذ حالة توضح هذا النوع وهي حالة لولد أرسل بتهمة التشرد، وجمع أعقاب اللفائف. والولد عمره ١١ سنة، وقال إن والدته ماتت وهو في الثانية من عمره، وأبوه مات وهو في التاسعة والنصف، وأن والده كان مزارعا صغيرا في (شبين الـــكوم) وليس له إخوة، ذكور أو أناث.

وقال إنه هو ووالده كانا يعيشان بعد وفاة الأم في كوخ صغير، وكثيرا ما كان والده يتركه بمفرده في الـــكوخ ليلا. وقد مات أبوه منتحرا بإحراق نفسه في الحقل، ولم يترك سوى (قفطان) به ١٧٨ قرشا.

ووجده صاحب سيارات اسمه (حسن عويضه) فأخذه وعطف عليه، وكان يستصحبه معه من (شبين الـــكوم) إلى (الإسكندرية) ليعمل لكسب رزقه وبالفعل أمكنه أن يعمل كصبي كواء للجمرك، ثم نزح من الاسكندرية إلى القاهرة ماشيا على الأقدام، يستريح قليلا في كل بلدة. وسبب حضوره إلى القاهرة أنه يبحث عن عمه (سالم محمد سالم) الذي يعمل صانع أحذية في (عزبة الورد) في جهة (الشرابية). وعند وصوله إلى القاهرة نام الليلة الأولى في صندوق التليفونات العامة أمام قسم الأزبكية، واشتغل حمالا في ميدان المحطة إلى أن قبض عليه وأحيل علينا لدراسته.

وضع الولد في أحد الملاجئ، وكان يطلب التصريح له بزيارة عمه، فبعد أول مرة خرج فيها للزيارة جاء شاب إلى الملجأ، وقال إنه يريد أن يرى أخاه. واتضح. أنه أخ الولد الذي نحن بصدده، واتضح أن الولد ليس يتيماً كما ادعى، واتضح أن والده ووالدته على قيد الحياة، وأن له أخوة كثيرين، وأن شيئا مما قصه علينا لم يحدث.

واتضح كذلك أنه قبض عليه ثلاث مرات قبل ذلك، وكان يفلت في كل مرة بحيلة. ويشكو أهله مر الشكوى من أكاذيبه التي لا تنقطع، وقد تبين كذلك أن الولد هرب من المنزل عدة مرات واتضح من البحث أن الوالدة مريضة من مدة كبيرة، وهي مقيمة مع أهلها ببلدتهم بسبب مرضها، وأن الوالد نجار عادي يكد طول يومه ليكسب قروشا قليلة.

وللولد أخ أكبر عمره يزيد على عشرين سنة ويعمل عند أحد صانعى الأحذية، وهو ناجح في عمله ويتقاضى عليه أجرا طيبا. ويلي الأخ الأكبر أخت تقيم مع والدتها ببلدة أهلها، ثم أخ يزيد على الولد الذي نحن بصدده بسنة واحدة فقط، وهو في عمله ناجح يكسب منه رزقه. وأما الولد نفسه فلم ينجح كثيرا، وكان أخوه الأكبر يضربه ضربا مبرحا.

ويلاحظ أن الوالد مشغول جدا، والوالدة مريضة وبعيدة عن المنزل، والأخ الأكبر في غاية القسوة على الولد، ثم ان الولد أقل نجاحا في حياته من أخيه الأكبر منه مباشرة.

ويلاحظ أن الولد بعده بنتان ثم ولد يصغره بتسع سنوات، ولذا فقد شغل مركز الذكر الأخير مدة طويلة. وما زالت بادية عليه آثار التدليل من أمه في حديثه. يضاف إلى كل ذلك أنه فقد عطف أمه بمرضها وبعدها عنه.

لهذا كله يسهل تفسير هربه وكذبه، ويسهل تفسير أنه في كذبه كان كمن يحقق رغباته في حلم، فقضى على اخوته جميعا، وعلى والده ثم سافر وخاطر

وعمل ونجح، وتتصل من والديه ومن دينهم ومن دينه، ومن إخوته ولو أنه حاول أن يبرر مسلكه بعد ذلك بأن تغيير دينه كان لأجل ألا يضطهد في الملجأ وتدل الدلائل على أن هذا غير صحيح تماما. لأنه إذا كان صحيحا فكيف نفسر تكرار كذبه طول حياته تحت ظروف غير التي ذكرناها ؟ فالغلام مدفوع للكذب دفعا قويا بعوامل لا شعورية خارجة عن إرادته.

وقد نصحنا بتوجيهه إلى ما يلائمه، واعطائه فرصة إثبات نفسه في ألعاب الملجأ، وإشعاره بعطف شخص معين عليه. وقد تقدمت حالته كثيرا جدا.

بعض القواعد العامة

انتهينا من شرح أهم أنواع الكذب، ويتبين في كل نوع ما يدفع عادة إليه، ويلاحظ أن النوع الواحد لا يظهر غالبا قائما بذاته. فالخبر الكاذب قد يؤدي وظيفة وقائية عنادية في الوقت نفسه.

ويلاحظ كذلك أنه لا ترسل للعيادة في الغالب حالة تكون الشكوى فيها من الكذب وحده، وانما يكون الكذب عادة إلى جانب الأعراض الأخرى كالسرقة أو شدة الحساسية أو الخوف أو ما يشبه ذلك والقاعدة الأولى للآباء والمدرسين هي أن يتبينوا إذا ما كذب الطفل إن كان كذبه نادراً أم متكررا، وإن كان متكررا فما نوعه وما الدافع إليه ؟

وأن يحجموا عن علاج الكذب في ذاته بالضرب، أو الانتهار أو السخرية أو التشهير أو غير ذلك. وإنما يعالجون الدوافع الأساسية التي دفعت إليه. ويغلب أن يكون العامل المهم في تكوينها هو بيئة الطفل، كالوالدين أو المدرسين أو اصحاب السلطة على وجه العموم.

ويجب كذلك أن نتجنب الظروف التي تشجع على الكذب، فمثلا إذا كان لدينا طالب نعهد فيه هذه الخصلة، فلا نجعله المصدر الوحيد للشهادة في حادثة ما لأن هذا يعطيه فرصة لانطلاق عادة الكذب، وتثبيتها بالتكرار والتمرن.

وزيادة على ذلك يصح أن يعطى الـكاذب فرصة الافلات بكذبه دون أن نكتشفه؛ لأن النجاح في الافلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى، بل تشجع أيضا على الاسترسال في سلسلة من الأكاذيب المقصودة التي تصدر عن نفس هادئة مطمئنة، وإن أردت ألا يفلت الـكاذب بكذبه فسلح نفسك أولا بالأدلة القاطعة ولا تلصق به التهمة وأنت في شك، لمجرد أنه تعثر في حديثه مثلا أو ظهرت عليه علامات أخرى للاضطراب في أثناء مناقشته. وعليك أن تأخذ أقواله بشيء من الثقة والتقدير، وحاذر أن تظهر أمامه بمظهر الشك أو التردد سواء في حديثك أو حركاتك. يلاحظ كذلك أنه لا يجوز في الأحوال العادية ايقاع العقوبة على الطفل بعد اعترافه بذنبه، فالاعتراف له قدسيته، وله حرمته.

ومن شأن إيقاع العقاب على الطفل – بعد أن نحمله على قول الصدق والاعتراف ضد نفسه – أن يقلل من قيمة الصدق ومكانته في نظر الطفل.

وعلى العموم من الخطأ الفاحش أن نعمد إلى إرغام الطفل على الاعتراف، لأن الطفل الذي يأتي ذنبا، كأن يسرق، أو يخرب، ينتظر منه عادة أن يكذب. والواقع أن الـكذب – أسهل الذنوب اقترانا وأولها حضورا إلى ذهن الطفل، والـكذب كما نعلم – يساعد على تغطيه كثير من العيوب والذنوب.

من هذا نشعر أن الطفل الذي يعترف بذنبه يمكن إصلاحه، وأما من يصر على الانكار فلا يجوز أن نبدأ باستجوابه، لأن هذا نتيجة الاسترسال في الكذب، والتفنن فيه ومما يجب على الآباء والمدرسين تذكره باستمرار أن الطفل لا يسر بما عنده من اسرار إلا لأصدقائه ومحبيه. وأما أصحاب السلطة كأبيه وناظره ومدرسيه فإنه يخاطبهم عادة بشيء من الحرص والخوف. فالاعتراف والصدق والصراحة كلها امتيازات خاصة لا يحبها الطفل الا لإخلائه وخلصائه، ولا يتقدم بها إلا لمن تطمئن إليهم نفسه، ونرى أنه لضمان الصدق والصراحة، يجب أن يحل التفاهم والأخذ والعطاء مقام القانون، والعطف والمحبة محل

السلطة والشدة، وأن نجمهم عن العقوبات التي لا تتناسب مع الذنوب، وألا نوقع بعضها إلا إذا أدرك الطفل إدراكا تاما أنه أذنب، وإذا اقتنع بأنه يستحق العقاب. فالعقوبات التي تجري على غير هذا المنوال تهدم الأغراض التي ترمي إليها، فهي تفقد الطفل توازنه، وشعوره بأمنه وسلامته في بيئته وتدفعه إلى تغليف نفسه بأغلفة الـكذب والغش لوقاية نفسه من أصحاب السلطة، ومن البيئة المستبدة القاسية. فليفهم المهيمنون على تربية الأطفال أن الـكذب نوع من التكيف لبعض الخصائص في بعض البيئات، وأهمهـا خصـائص هؤلاء المهيمنين.

وإذا كان الأطفال يكذبون- كما قلنافي أحيان كثيرة لتغطية نقص يشعرون به، فعلينا أن نكثر لهم من الأسفار والرحلات ونواحي الميول والنشاط والهوايات، فكل هذه تعطي الطفل نواحي حقيقة يظهر فيهـا ويتحدث عنها. وفي حالة الخياليين البالغين ليس هناك ما يمنع من تشجيع الخيال عن طريق دراسة الشعر والأدب.

وأما في حالة الخياليين قبل سن المراهقة فلا ننصح - وفقا لرأي (بيروت Burt)[1] - بالقصص الخيالية الخرافية ولا برؤية غالب أشرطة الخيالة، وإنما بالاستزادة من الانشاء الشفهي المبني على المشاهدات الدقيقة والتفكير المنظم، وإذا علمنا أن قول الصدق يتطلب مقدرتين هما صحة الادراك، ودقة التعبير، رأينا أنه في الامكان تدريب الطفل في هاتين الناحيتين، وهذا يكون عن طريق اتباع المشاهدات، والقياس، والقيام بعمل التجارب، وتدوين نتائج كل هذا بمنتهى الدراسة هذه الفرصة لتعويد تلاميذه الدقة في الملاحظة والدقة في التعبير في جميع ضروب الحياة، وبهذه الطرق يتعود التلميذ الصدق في صورة بسيطة، وهي جعل القول مطابقا للواقع مع توفر النية.

ومثل هذا يمكن أن يقوم الوالد بتدريب ولده عليه بسهولة. يضاف إلى كل

(١) C. Burt ; The Young Delinquent .

ما تقدم وجوب اتصاف الكبار المحيطين بالطفل بالصدق بأنواعه فلا غش، ولا كذب، ولا تجسس، ولا اختلاق أعذار ولا نفاد للمواقف وكذلك يتحتم وجوب احترام الصدق وتقديره. ويجب ألا تلفظ بوعد للطفل إلا إذا كنت قادرا على تنفيذه بالفعل – متى وعدت – مهما كلفك ذلك.

السرقة

حالة في السرقة

ولد عمره أربع عشرة سنة قام بسرقة كتب زملائه فضبط وقام ناظر المدرسة–بخلاف ما يتوقع منه – بتسليمه لرجل الشرطة، وهذا حوله إلى نيابة الأحداث، التي رأت أن تستأنس برأي مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة أحداث القـــاهرة. وقام المتخصص النفسي بالمكتب بدراسة الولد دراسة وافيه اتضح له منها أن ذكاءه عادي ومستواه الدراسي يتفق مع كل من عمره ومستوى ذكائه، إذ كان في السنة الثانية الثانوية [1] أما الوالد فان دخله لا يزيد على ثلاثمئة جنيه في الشهر، والرجل شغوف إلى حد بعيد جدا بأن يعلم أولاده. والولد هو الابن الأكبر، والذكر الوحيد، وله أخت واحدة تتعلم مجانا في مدرسة أميرية مثل أخيها.

وقد بلغ من شدة قلق الوالد على تعليم أولاده، أنه يشرف بنفسه على مذاكرتهم ويضرب ابنه ضربا مبرحا، ويأتي له بالإضافة إلى ذلك بالمدرسين الخصوصيين غير الأكفاء للقيام بضربه وتعليمه، ووصل شغف الوالد بالتعليم إلى أنه علم زوجته القراءة والكتابة إلى أن أتقنتهما، وقد كانت أمية عندما تزوج بها. والرجل يندب حظه لأن تعليمه اقتصر على نيل الشهادة الابتدائية فقط. ويتحدث دائما عن كفايته ورجاحة عقله، ومقدرته، وأنه لو كان قد تعلم لـــكانت حالته غير ما هي الآن. فالرجل مدفوع بعنف، ليحقق في ابنه ما لم يتحقق له في

---

(١) تقابل الرابعة الإعدادية في النظام الحالي .

نفســه[٢]والولد يكره والده من غير شك لمعاملته الشديدة له، والأم ضعيفة لا حول لها ولا قوة.

لما وصل الولد إلى سن الرابعة عشرة وبدأ في دور البلوغ أخذ يتفتح ذهنه للمستوى الاجتماعي الذى يتعلم فيه. ووجد أنه لا يأخذ مصروفا كافيا يجعله يظهر أمام اخوانه كما يظهرون، فهم يلبسون الملابس الأنيقة ويدخنون اللفائف الفاخرة إلى غير ذلك. فبدأت يده تمتد إلى كتب زملائه فيسرقها، ويبيعها في محلات بيع الــكتب القديمة، ويستغل ثمنها في الظهور مثل اخوانه. ومن الغريب أنه شكا لادارة المدرسة غير مرة من أن كتبه تسرق منه. ولعله كان يبيعها ثم يشكو ليبعد الشبهة عن نفسه. ولــكنه ضبط في هذه المرة متلبسا بفعلته. وقد يكون واضحا أن الولد يسرق مندفعا إلى التعويض عن شعور بالنقص ناتج من موازنة نفسه بزملائه. وهذا الشعور بالنقص كان من الممكن تعويضه بالتفوق الدراسي، كما يحدث عادة من الأولاد الفقراء، العاديين منهم والأذكياء. ولــكن الولد كان متأخرا جدا في الفصل بين زملائه، فكأنه لم يجد لما عنده من النقص الا هذا المخرج، وهو السرقة من زملائه.

ولكن الشعور بالنقص الاجتماعي مع عدم التفوق الدراسي، وعدم التفوق الرياضي لا يكفي لتفسير السرقة. وإذا رجعنا لتاريخ حياته وجدنا أنه الولد الأول، وأنه كان مدللا جدا في أول حيــاته، فكانت كل طلباته تجاب. فلم يتعلم إذ ذاك كيف يقاوم رغباته الخاصة. وكان المستوى الاقتصادي للأسرة لا بأس فيه، فكان هناك بعض الرخاء، وكان دخــل الوالد لأمر ما أكبر مما هو عليه الآن،

---

(٢) وربما كانت هنا في نفس الوالد عوامل لا شعورية أخرى أكثر خفاء واشد عمقا مما ذكرنا . فالوالد لمــا أصابه ناقم على الحياة. وقد يحول بحيلة عقلية لا شعورية، نقمته إلى ابنه وكثيرون من الآباء يعاملون أبناءهم عامة والابن الأكبر –بنوع خاص كما لو كانوا سبب اخفاقهم وشقائهم ومحنتهم . وإلى غير ذلك . وتجد في هذه الحالة مظاهر الاسقاط والتحويل والتبرير وما إلى ذلك . وهناك احتمالات أخرى كالنزوع إلى تعذيب الذات النابع من احساس مكبوت بالخطيئة (Repressed Sense of Guilt) . وهذا الاحساس المــكبوت بالخطيئة بدوره له تفسيره في طريقة تــكونه .

وكان الولد هو الطفل الوحيد.

أما الآن – وقد زاد عدد الأطفال، وكبروا، وزادت مطالبهم، وفي الوقت نفسه انخفض الدخل، وارتفعت تكاليف المعيشة ارتفاعا باهظا (بسبب الحرب التي نشبت عام ١٩٣٩). وبدأ الوالد يشتد على ابنه لتوتر في نفسه من حالة الغلاء، ولتوتر في نفسه من تراخي ابنه – فالولد ينتقل تدريجيا من حالة تمتع ذاتي وتقدير ممن حوله إلى حرمان وعدم تقدير وتضييق وعقاب وإيلام. وقد جاءت هذه التغيرات كلها في وقت تنزع فيه النفس نزوعا شديدا إلى التقدير الاجتماعي، ولاتساع الأفق، والسيطرة، وهو وقت المراهقة والبلوغ.

وبعد كشف حوادث السرقة أدى الولد امتحانا آخر العام ورسب فيه.وما كاد يعلم بالنتيجة، حتى وقع تحت سلسلة من التعذيبات أجراها عليه الوالد، فهرب ولم يظهر مدة تزيد على شهرين.

وله في أثناء ذلك، وبعد ذلك، عدد من التصرفات العنيفة، والمخاطرات التي تدل على كراهيته لوالده وميله الشديد إلى البعد عنه، مما لا تهمنا تفاصيله في هذا المقام.

حالة أخرى في السرقة

فتاة عمرها اثنتا عشرة سنة تشتغل بالخدمة في أحد المنازل، واتهمت بحق بسرقة ملابس ومصوغات ممن تعمل معهم، وبدراسة الحالة اتضح أن ذكاء البنت أقل من العادي. ولكنها لا تعتبر ضعيفة العقل. فمستوى ذكائها يعادل مستوى ذكاء شخص عادي عمره يقع بين ثمان وتسع سنوات.

وتتصف البنت بشيء من عدم الثقة، والجبن، وشدة الحساسية، وسرعة التأثر، إذ أنها تبكي لأقل سبب، واتضح بالدراسة أن الأسرة التي تعمل البنت في خدمتها مكونة من سيدة وزوجها، وليس لديهما أولاد ولا خدم آخرون.

وهما سكيران ويشربان الخمر معا في منزلهما إلى أن يفقد كل منهما صوابه. وفي الحالة يصير البيت بخزاناته وصواوينه المفتوحة تحت تصرف البنت، إذ تصير الرقابة عليها قليلة جدا. ونظرا لجبن الفتاة، ضعت ذكائها، فانه يسهل وقوعها تحت تأثير شخص آخر.

يلاحظ كذلك أن والدي الفتاة منفصلان بالطلاق، وأن الأب تزوج بغير الأم وليس له بالبنت أية علاقة. والأم كذلك -وهي في الخمسين من عمرها- تزوجت برجل أصغر منها سنا بعشرة أعوام، وهو رجل عاطل كسلان كان يطمع في بعض ما لديها من النقود، وهي ضعيفة أمامه، فهي تعمل وتكسب وهو لا يعمل شيئا، ويصرف كثيرا من وقته في التنزة والجلوس على المقاهي، وتدل الدلائل على أن الأم تستغل البنت للسرقة حتى تغدق على زوجها وترضيه، وللبنت -على غير ما كان ينتظر-مكانة لا بأس بها عند زوج الأم.

خلاصة الحالة أن الفتاة نظرا لقلة ذكائها، ولجبنها، يسهل إغراؤها. وهي مكروهة من أبيها ومقربة من أمها بقصد استغلالها. وترغب البنت في المحافظة على الصلة بينها وبين أمها، وهي الصلة الوحيدة الباقية بالنسبة إليها. ويهم الصغار بنوع خاص أن يكون هناك من يشعرون بالانتماء إليهم وقد نجحت الفتاة في تحقيق هذا عن طريق السرقة.

السرقة والاستعداد لها

يتبين من دراسة الحالتين الســـابقتين أن السرقة ليست حدثا منفصلا قائما بذاته وإنما هي سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ويمكن فهم هذا السلوك في ضوء دراسة شخصية الطفل وطريق تكونها. والوظيفة التي تؤديها السرقة لهـــا. فبينما نجد السرقة في الحالة الأولى وسيلة لاثبات الذات، نجدها في الحالة الثانية وسيلة لحماية الذات.

ولابد من فهم وظيفة السرقة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها، والسرقة وما يضادها وهي الأمانة ليست صفات فطرية طبيعية وإنما هي صفات مكتسبة. وللسرقة اسسها الطبيعية في الانسان، وهي الميل للتملك والاستمتاع بالقوة، إذ أن السرقة هي الاستحواذ على ما يملكه الأخرون بدون وجه حق. نظرا لأن السرقة ذنب اجتماعي فإن المجتمع يعطيها أهمية كبرى. بخلاف الصفات الشخصية السيئة كالتدخين أو العادة السرية، فإنها لا تهم المجتمع كثيرا لأنها لا تتناول فيما ينسب إليها من ضرر أشخاصا آخرين بطريقة مباشرة. أما السرقة والكذب والاعتداء والتشنيع، وما إلى ذلك فانها تعتبر صفات سيئة للغاية لأن الضرر الذي تتضمنه يؤثر في الآخرين تأثيرا مباشرا.

وهناك مهارات عقلية وجسمية تساعد على السرقة، إذا توافرت لدى الشخص الرغبة فيها. ومن هذه المهارات، سرعة حركة الأصابع، وخفة الحركة عامة، ودقة الحواس من سمع وبصر، والقوة الميكانيكية، ووفرة الذكاء العـام، ودقة الاستنتاج والملاحظة.. وما إلى ذلك. ففي كثير من الحالات كان صاحب الحالة يفتح أقفالا معقدة بقطعة من سلك، ويقطع جيبا لمسافر بموس دون أن يحس المجني عليه، أو يخطف سلعة معينة ويفر هاربا جريا، أو راكبا دراجة، أو غير ذلك من مئات الحيل والمهارات التي يلجأ إليها السارق. وكثيرا ما تجتمع لباقة الحديث، وبشاشة الوجه وحسن التسلية والتظاهر بالأدب الجم والميل للمساعدة مع هذه المهارات فتجعل عملية السرقة تتم بسهولة كبيرة للغاية. ويهمنا الوقوف على هذه المهارات العقلية والحركية حتى يمكننا توجيهها في اتجاهات لصالح صاحبها وصالح المجتمع نفسه.

الشعور بالملكية وانماؤه

وهناك اتجاه عقلي يبدأ من سنوات الطفل الأولى وهـو عدم التمييز أو

عدم الاهتمام بالتمييز بين ما يملكه وما لا يملكه. وفكرة التمييز بين ما للفرد فيه حق، وما ليس له فيه سهلة. فالطفل يعيش عادة في منزل كل ما فيه ملك للكبار، فما فليس له يعده ملكا له. وأحيانا يغلق الأمر عليه، فلا يعرف إن كانت لعبة معينة ملكا له أو لأخته. والآباء بشرائهم لعبة واحدة لجميع الأطفال أو ألعابا مختلفة يلعب بها كل الأطفال، دون تمييز، يظنون أنهم يعلمونهم الإيثار بدلا من الأثرة. والواقع أنهم يربكون تفكيرهم فالطفل يشعر بالحاجة للملكية شعورا تلقائيا في سن مبكرة جدا، إذ يبدأ يشعر بها أحيانا في الفترة الأخيرة من السنة الأولى.

ويجب أن يشجع الشعور بالملكية من وقت ظهوره، ولكن لا يجوز أن يبالغ في تشجيعه إلى أن تتكون الأنانية والجشع للتملك، ولا يجوز أن يهدم بحيث لا يجد الطفل فرصة لفهم حقوقه وحقوق غيره.

وإذا اردنا أن يحترم الطفل ملكية غيره وجب أن نبدأ نحن باحترام ملكيته. فيجب ــ بقدر الإمكان ــ أن يكون للطفل ملابسه الخاصة فلا يجوز أن يستعمل ما له وما لغيره بدون تمييز، ويكون له مكان خاص بالنوم، وكرسي خاص يجلس عليه حين يأكل، وإذا أمكن فليكن له أطباقة، وملاعقة، ومنشفته وغير ذلك. ويسهل إحضار هذه الاشياء بألوان مختلفة بحيث يسهل التفريق بين متعلقاته ومتعلقات غيره. ويحسن أن يكون للطفل أدوات مختلفة، وبعض الـكتب والمجلات القديمة ذات الصور الجذابة.

وفي الأسر التي بها أطفال ذوو أعمار متقاربة، تحدث أحيانا مشاحنات يحسن ترك الأطفال للفصل فيها بأنفسهم، وإذا تدخلت الأم فلتفصل بالعدل، فكل طفل يستعمل حقه، ولكن يصح أن يعطى الخيار في أن يترك لعبته لأخيه أحيانا، ولابد من حدوث هذه المنازعات قبل أن يتعلم الطفل الأخذ والعطاء. والتعاون يجئ متأخرا عن تعلمه الملكية واعتزازه بها.

فلا يجوز أن نتسرع في تعليم الطفل التعاون خوفا من تعوده الأنانية، اذا

ترك الطفل ليعطى - من تلقاء نفسه وبدون تدخل خارجي- لعبته الخاصة به لأخيه أو لصديقه مدة من الزمن فإنه يشتق من هذا التطوع لذة كبرى لا يجوز أن نحرمه من التمتع بها.

وانما الشعور بالملكية ثم اتباعها في الوقت المناسب بانماء روح التعاون والأخذ والعطاء في تكوين الذات (Ego Formation) وفي التكوين الخلقي الاجتماعي على وجه العموم.

ويلاحظ أن تمييز الفرد بين حقوقه وحقوق غيره، أو اهتمامه بهـذا التمييز، يبدا في المنزل مع الطفل إلى المدرسة، ثم إلى المجتمع الأكبر. ففكرة الأمانة أو عدم الأمانة يمكن تكوينها بحيث تصبح فكرة عامة تبدا بدورها في السنوات الأولى من حياة الطفل.

ويجب أن يقوم الوالدان بافهام الطفل ما يجب عمله في المناسبات التي يمكن أن تسمى اعتداء على ملكية الآخرين. افرض مثلا أن شخصا له مكتبة جذابة أو ساعة، أو غير ذلك، واراد الطفل أن يتناول الـكتب أو الساعة ليلعب بها فليكن هناك اتجاهان: الأول أن تفهم الطفل بمنتهى الهدوء والحزم أن هذه أشياء ليست ملكا له، ولا يجوز له اللعب بها.

والاتجاه الثاني الذي يؤخذ في الوقت نفسه هو مراعاة أن للطفل متعلقات خاصة به، شبيهة إلى حد ما بالتي ينزع إلى اللعب بها، فيكون له -كما قلنا- بعض الكتب التي لا يحتاجها الوالدان والتي يكون بها بعض الصور لكي يلعب بها، وقد تتمزق منه فيعلم كيف يحافظ عليها.

وفي إحدى الحالات، وجدنا أن الولد عنده حقيقة أشياء كثيرة جدا منها مجموعة طوابع بريد منسقة تنسيقا جميلا.

ولكن يحفظها الوالد في صيوانه الخـاص به خوفا من ألا يحافظ عليها

الولد رغم أن سنه اثنتا عشرة سنة. وهذا هو موقف الوالد من سائر ممتلكات الولد من طوابع وكتب وصور وهدايا وغير ذلك.

وفي حالة اخرى اخذ الوالد كمية من النقود كان الولد قد ادخرها، ولم يردها اليه. فلا عجب ان كان الولد لا يحترم ملكية والده بنوع خاص، وقد ينتقل عدم احترام الملكية في مثل هذه الحالات إلى خارج المنزل.

ففكره الامانة كفكرة الصدق تكتسب عن طريق الممارسة الشخصية، والاقتداء بالمثال، والتعلم عن طريق الفهم والموازنة عن طريق الفهم والموازنة والارشاد. والمنزل هو البيئة الأولى لتعلم فكرة الامانة. ولكن ليس معنى غرسها في المنزل ان تضمن فاعليتها بعد ذلك في محيط المدرسة أو المجتمع. فهذه الفـــاعلية تتوقف على ظروف المدرسة وظروف المجتمع، من تحقق الامانة في قادتهما والقائمين بالأمر فيهما، ومن مبلغ شعور الفرد بالأمن والعدالة الاجتماعية، والاطمئنان على تحقق الحاجات الأولية.

الدوافع للسرقة

في كثير من الحالات تكون الدوافع للسرقة دوافع مباشرة ظـــاهرة.فكثيرا ما يسرق الطفل لسد رمق. ويلاحظ أن اطفالا كثيرين جدا يعيشون عيشة الـــكفاف، أو يعملون باجور زهيدة لا تكفي الحيوان الصغير بله الانسان، فيسرقون. ومن هؤلاء من يسرق نقودا أو ادوات أو سلعا، ومن هؤلاء من يخطف الأطعمه المعروضة على العربات، وفي المحـــال التجارية، وغير ذلك. وقد وجدنا في بعض الحالات أولادا يسرقون لسد رمق ام مقعدة عاجزة عن أي عمل، وعدد من الاخوه الصغار، وذلك يكون مثلا بعد وفاة الأب وتشغيل الولد باجر لا يزيد يوميا على قروش لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة، وكنا نجد عادة ان هذا النوع من الحالات اسهلها علاجا.

وفي بعض الحالات تحدث السرقة لاشباع ميل، أو عاطفة، أو هواية كميل بعض الامور لركوب الدراجة، أو للخيالة، أو لفتاة معينة، أو لمجرد الصلاف على هواية معينة، كالتصوير وتربية الحمام، وغير ذلك. وهذه ايضا حالات لا يعسر عادة علاجها.

وتحدث السرقة كذلك ليستعين المرء بما يسرق على التخلص من مازق معين. مثال ذلك: الولد الذي كان يذهب للمكتب ليحفظ القرآن، ولم يكن له أي ميل لحفظه، فاغراه العريف بانه اذا سرق له بعض كتب والده فانه يعفيه من التسميع، ولا يبلغ شيخ المكتب، وبذلك ينجو من عقاب صارم فلم يتأخر الولد عن سرقة الــكتب وتقديمها رشوة للعريف.

وقد يسرق الطفل من منزله ليعطي زملاءه بالمدرسة مثلا، لأنه كشف ان سياسة اعطاء الحاجيات المادية هي الوسيلة الوحيدة التي تجعله مقبولا في جماعة زملائه.ولــكن يلاحظ ان هذه الدوافع ظاهرية فقط. فالولد الذي يسرق الــكتب ليعطيها رشوة للعريف كان متاخرا في دراسته من أول الامر، وكان والده يقسو عليه بعد تدليل، وكان يوازن بينه وبين اخوته موازنة تحط من قدره.

ففقدانه عطف والديه بعد ان كان يتمتع بعطف كبير كان العامل الهام في تكوين الاستعداد للسرقة. نرى من هذا انه يجب البحث عن عوامل اخرى غير الدوافع الظاهرية للسرقة. وفي العادة نجد بعض العوامل اللاشعورية المتكونة نتيجة علاقة الطفل ببيئته، ونتيجة التغيرات الطارئة علــى هذه العلاقات.

وهناك سرقة للانتقام، وسرقة لتعويض شعــوره بالنقص، وسرقة بسبب فقد العطف. ففي كثير من الحالات نجد الطفل يسرق من شخص معين كوالده أو والدته. ويمكن تفسير السرقة في بعض هذه الحالات بان الطفل كان حائزا عطف الوالد مثلا ثم فقد هذا العطف، فالسرقة منه تشعره بانه يستحوذ على شئ بدل هذا العطف. نجد طفلا – مثل هذا – يسرق من والده نقوده وكتبه ويضع يده في

جيوبه ليطلع على ما في جيبه ويعرف ما فيه من اسرار ويقرا خطاباته.. إلى غير ذلك. كذلك المحب الذى يتشكك في انه ربما لا يحصل على كل عطف معشوقته، كثيرا ما يسرق منها شيئا يكون بمثابة رمز الحب المفقود [1].

وفي هذا النوع من الحالات نجد ان الشخص لا يسرق الا من شخص معين، واحيانا يسرق نوعا معينا من الممتلكات،ويمكن في العادة تفسير هذا الشخص اما على اساس -الرمزية (symbolism) أو على اساس الوظيفة، ففي غالب الحالات التي درسناها، ووجدنا ان الطفل يسرق من والده، ووجدنا ايضا لدى الولد كراهية مستترة للوالد. فتفسير السرقة هنا على انها انتقام، أو على انها تعويض للعطف المفقود، أو على الدافعين مجتمعين.

ولاذا كان الدافع للسرقة متجها نحو شخص معين فقد ينتقل إلى اشخاص اخرين، فالسرقة من الاب قد تنتقل إلى سرقة من اصحاب السلطة على وجه العموم. والسرقة من الأخ قد تنتقل إلى سرقة من الزملاء، وذلك بتحويل الدوافع نفسها من الموضوع الأصلي إلى موضوعات مشابهة له.

ويمكن ان يكون التحويل أوسع انتشارا واقل تخصصا ممـــا ذكرنا، فبعد ان كان الطفل يسرق من والده فقط صار يسرق من أي انسان.

لناخذ حالة تبين السرقة من شخص معين، وهي حالة ولد كان يساعد والده في عمله التجاري. ذهب الولد إلى احد عملاء والده، وكان جالسا في احد المقاهي وقال له ان والده يطلب منه ثمن بضاعة اخذها في ذلك الوقت إلى المنزل. وكان الثمن خمسة وعشرين قرشا الا قليلا. اخذ الولد النقود واختفى، وانكشفت حقيقة المسالة بعد ان رجع الرجل إلى منزله. ثم ابلغ الوالد الذي طلب منه ابلاغ الشرطة. واتضح ان الولد هو اكبر ابناء الاسرة، وان الرجل في منتهى القسوة والشدة. وهو متعسف في تمسكه بالدين حتى خرج بذلك على

---

[1] هذا ما يسمى بالفيتيشية Fetichisme

المعقول خروجا كبيرا. وقد احاط نفسه بكل الرموز التقليدية للتدين، واتخذ (السينة)، مذهبا له، وكان يشغل وظيفة يكتسب منها، فاستقال منها لأنه كان يشعر أنها لا تطابق الدين واتخذ التجارة في ابسط صورها وسيلة للرزق. ومن شدة قسوته ان الولد اذا أتى ذنبا صغيرا فانه يربطه بالحبال ربطا وثيقا، ويتركه ملقى على الارض، ثم ينهال عليه ضربا، ويترك في جسمه آثارا واضحة ــ كما يتبين في الصورة المقابلة ــ وكان في بعض الأحيان يتركه موثوقا بالاغلال ثلاثة ايام متتاليات، ويقذف له برغيف من العيش وكوب مـــاء فـــي مواعيد الأكل.

بعد ان قابلنا الولد، ودرسنا الحالة جيدا من كل نواحيها، اتضح ان السرقة لم تكن الأولى، فقد كان كثيرا ما يسرق من والده. وظهر عند مقابلتنا لكل منهما على انفراد شدة التجافي، فيما ما بينهما، وافهمنا الوالد خطأه، واتفقنا مع الولد على حسن السلوك، ونظمنا علاقة الولد بوالده من حيث الاتفاق، ومن حيث الثقة التي يجب ان يضعها الوالد في ولده إلى غير ذلك وقد نجحت الحالة نجاحا كبيرا بموالاة توجيه الولد والوالد واخذهما بالنصيحة والتوجيه والاشراف والمتابعة.

وقد يكون العامل الاصلي لتكوين الدافع للسرقة هو ما يطرأ على الشعور بالامن والشعور بالاستقرار من نقص ناشئ من تغيير فجائي في معاملة الوالدين، أو من تفكك روابط الاسرة، أو ما يشابه ذلك.

لناخذ مثالا لهذا حالة تلميذ في سن الرابعة عشرة يهرب من المدرسة يوميا تقريبا، ويسرق كل ما يمكن ان تصل اليه يده مما خف حمله وغلا ثمنه. هذا على الرغم من وفرة ما يصل إلى يديه من نقود، وعلى الرغم من حسن استعداده للعمل الدراسي. بمتابعة تاريخ هذه الحالة وجدنا ان والديه انفصلا بالطلاق وهو صغير السن جدا. ثم تزوج كل من والديه بعد ذلك وانجب كل

منهما له اخوة غير اشقاء. وقامت الجدة منذ طلاق الوالدين باحتضان الولد، ولم تدخر وسعا في اجابة جميع مطالبه، وبالغت في العطف عليه عطفا كبيرا في شئ غير قليل من الضعف والتساهل والقلق.

ولما وصل الولد إلى دور المراهقة لم يكن يعرف بالطبع كيف يقاوم كل ما يطرأ على ذهنه من نزوات. واتصل به أولاد اخرون وفتحوا له آفاقا جديدة للاستمتاع بالهروب والفسحة والتدخين وللذهاب للخيالة وغير ذلك.

واغروه بالسرقة، بل علموه اساليبها، حتى برع فيها وصار الولد يشعر الآن بعدم القدرة على الاستقرار عند جدته أو والدته أو والده. ولا يشعر ان واحدا من هؤلاء يمكنه ان يطمئن معه إلى الجو الذي يعيش فيه.

اما المدرسة فلم تكن من التشويق بحيث تصرفه عما يطرا على ذهنه من نزعات، ولم تكن بحيث تشبع فيهـــا نواحي القوة التي تتوق اليها نفس المراهق، نتيجة كل هذا هروب من المنزل والمدرسة وعدم استقرار وبحث عن اللذة والسرور وسرقة لتحقيق كل هذا.

ويحدث احيانا ان تبدا السرقة بصورة مصغرة كسرقة الحلوى، أو سرقة السكر أو سرقة النقود. وقد يكون الدافع بسيطا وهو الحاجة إلى الحلوى أو الحاجة إلى تخريب عمليات البيع والشراء أو غير ذلك.

وقد يكون لموقف الوالدين نحو الطفل في السرقة الأولى اثر في تثبيتها. فيتفنن الوالدان في تخبئة ما يخافان عليه مثلا، ويتفنن الطفل في اساليب الوصول إلى هذه الاشياء ويلاحظ ان المبالغة في تخبئة الاشياء تغري الطفل بمحاولة الوصول اليها، واذا نجح الطفل في ذلك، فانه يشتق لذة كبرى من انتصاره على الكبار المحيطين به ثم تتكرر سرقاته، ويتكرر تكوينه لميول وعادات يشبعها عن طريق السرقة كالتدخين، أو الظهور الاجتماعي، أو الاشباع الجنسي، أو غير ذلك. وبهذا تثبت السرقة وتصير عادة راسخة، كما نراها بعض الاشخاص،

وسبب رسوخها انها طريق سهل تتحقق به شهوات ورغبات لا يقوى الفرد على مقاومتها، ولا سيما بعد تعود اشباعها.

دراسة حالة السرقة

عند دراسة أية حالة من حالات السرقة يجب أن نعرف : أهذه السرقة عارضه أم متكررة ؟ أصاحب الحالة يسرق أشياء معينة أم كل الأشياء ؟ فبعض الأولاد يسرق مصابيح الترام ؟، بعضهم يسرق مصابيح الإشارات الأرضية في الشوارع،وبعضهم الآخر يسرق الملابس المنشورة للتجفيف في حدائق المنازل أو فوق سطوحها، وبعضهم يسرق مواقد (الغاز) فقط. ويدلنا نوع السرقة – إن كان موحدا بمثل هذه الصورة – على اتجاه عقلي منظم، إما من تلقاء نفسه، واما تحت تأثير زعيم لعصابة مثلا، أو يدل على اتصاف السارق بمهارة معينة في اتجاه خاص. وعلينا كذلك أن نعرف أهذه السرقة فردية أم جمعية. فنحن نجد في كثير من الحالات أن الولد يسرق ضمن عصبة من الأولاد الآخرين، فثلاثة تلاميذ بإحدى المدارس نظموا أنفسهم تنظيما محكما لسرقة بعض الأدوات التي يمكن خلعها من عربات السكة الحديدية. وكانوا يبيعون ما يسرقون لتاجر معين كان يمدهم بالنقود لهذا الغرض. وعلينا أن نعرف كذلك في السرقة الجمعية، ما إذا كان السارق تابعا أم متبوعا. وفي كثير من الحالات كنا نجد أن شخصا من الأقوياء العاطلين (البلطجية) يدفع بعض الأولاد للسرقة تحت إغراء. وبعد مرة أو مرتين يستمر يدفع الأولاد تحت التهديد.

وكثيرا ما يحدث هذا مع خادمات المنازل الصغيرات السن، الساذجات العقل. فأحد الباعة المتجولين هدد خادمة بالقتل إذا لم تسرق له من سيدتها بعض النقود، ووصل ما سرقته في إحدى المرات إلى عشرة جنيهات. وأحد باعة الثلج كان يهدد خادمة في سن الحادية عشرة بالاعتداء الجنسي عليها إذا لم تسرق ما يريده. وعلينا أن نتبين كذلك المادة المسروقة، وطريقة السرقة وما يدل عليه كل

هذا من ذكاء أو غباء. فبعض الناس يسرقون أشياء ظاهرة، ذات ألوان براقة، يتحتم ضبطهم بها. وبعضهم يسرقون ما خف حمله وغلا ثمنه في ظروف لا يمكن ضبطهم فيها إطلاقا.

وعند دراسة حالة السرقة لابد من محاولة الوصول للوظيفة التي تؤديها السرقة، أي انه لابد من دراسة الدوافع الظاهرة والعوامل المستترة التي تؤدي إلى السرقة. بالاضافة إلى كل من دراسة أنواع المهارة الجسمية كسرعة اليدين، وخفة الحركة، وسرعتها، والقدرات العقلية كالذكاء العام والقدرة الميكانيكية ودقة الحواس.

وكذلك المهارة الاجتماعية كالقدرة على الزعامة وخفة الروح ولباقة الحديث وترتيب المواقف وغير ذلك. وتساعدنا هذه المهارة على حسن دراسة الشخص وحسن توجيهه توجيها صالحا.

بعض القواعد العامة

اذا امتدت يد الطفل الصغير إلى شئ لا يحق له ان يأخذه فعلمه بغاية الهدوء انه يجب عليه ان يستأذن قبل اخذ شئ ليس له، ثم عليه بهدوء أيضا ما له فيه حق وما ليس فيه حق، ولا تنفعل، أو تسخط، أو تعاقبه، أو تؤنبه، أو تصفه بانه لص - ولو عن طريق المزاج - فانك بذلك قد تعلمه لأول مرة في حياته معنى كلمة لص. ومن الجائز انه يجد بعض اللذة في هذا العمل فيستمر فيه لأن فيه بعض الجرأة، أو لان فيه انتصارا على الكبار، أو لأن فيه وسيلة سهلة لاشباع لذاته الاخرى التي لا يجد سبيلا لخر لاشباعها. لهذا يجب ان تتامل لتعرف الرغبة التي دفعته إلى السرقة لتشبعها بالطريق السري ـ قدر الامكان ـ ولتعلمه شيئا عن ضبط رغباته وتحكمه فيها.

وعليك ان تبذل جهدك لخلق شعور بالملكية عند الطفل ثم عوده كيف يحافظ على ما يمتلكه، وكيف ينظمه ويهتم به. فيكون للطفل (دولاب) صغير

مثلا يجمع فيه ممتلكاته ومقتنياته من صور إلى طوابع بريد إلى اقلام إلى غير ذلك. ويمكن ان يعلم كيف ينظم هذه المقتنيات ويحسن عرضها، ويفخر بها. كذلك يصح ان يعطى الطفل عندما يصل إلى العمر المناسب مصروفا منظما، ويعلم بين آن وآخر كيف ينفق وكيف يدخر.

وأما الخدم ومن يشابههم فيجب ألا نوضع في طريقهم المغريات التي هم محرومون منها كالحلوى والنقود وما يشبههما.

ويراعى فوق ما تقدم ان الطفل لا يسرق قط ممن يشعر بصداقته له وعطفه عليه. فلتكن معاملتنا للأطفال ــ كما بينا مرارا وتكرارا ــ متجهة نحو العطف في غير ضعف، والحزم في غير عنف.

الميل إلى الاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب

مقدمة:

يدخل الـــكثير من أنواع الحالات التي درسناها - تفصيلا أو إيجازا - تحت نوع يمكن أن نسميه النوع السلبي أو الانسحاب، أو كما يسميه (بيرت)[1] النوع الضعيف، ومن هذه التهتهة والانزواء والحركات العصبية.. وما إلى ذلك. ويدخل الـــكثير مما ذكرناه ايضا تحت نوع يمكن ان نسميه النوع الاعتدائي أو الإيجابي، أو كما يسميه (بيرت) النوع القوي، ومن قرض الأظافر وبعض انواع السرقة وبعض انواع الكذب الادعائي وجنون العظمه.. وما إلى ذلك. وتتميز هذه الانواع الايجابية عادة بطابع معين تستحق ان تدرس من اجله خاصة قائمة بذاتها.

---

(١) يقسم بيرت في كتابه (The Young Delinquent) جميع الحالات العصبية إلى قسمين : أحدهما يمكن أن يسمى عصاب الضعف (Asthenic neurosis) والثاني يمكن أن يسمى عصاب القوة (Sthenic Neurosis).

ويلاحظ هذا الطابع المعين في الميل للاعتداء والتشاجر والانتقام والمشاكسة والمعاندة، والميل للتحدي والتلذذ من نقد الآخرين وكشف أخطائهم واظهارهم بمظهر الضعف أو العجز،والاتجاه نحو التعذيب والتنغيص وتعكير الجو والتشهير واحداث الفتن والنوبات الغضبية بصورها المختلفة المعروفة. فــكل هذه الحالات ومشابهاتها يصاحبها في العادة الحالة الانفعالية المعروفة بالغضب بدرجاتها المختلفة. والغضب في صوره المتعدده ودرجاته المتفاوتة تظهر آثاره ومظاهره للأباء والمعلمين بكثرة في حياتهم اليومية. وليست المشكلة قاصرة على الاطفال وحدهم، وانما تظهر عادة في جميع الاعمار ولا سيما التي تحدث فيها تغيرات اساسية في حياة الفرد. فهي تظهر في السنة الأولى عند الفطام، وتظهر عند مجيء مولود جديد في الاسرة، وعند الانتقال من حياة الحضانة المنزلية إلى المدرسة، وعند المراهقة والبلوغ. وسواء ظهر الاستعداد البارز للغضب في الادوار الأولى أم المتاخرة، فبذوره توجد عادة من سني الطفولة الأولى.

والغضب حالة نفسية يشعر بها كل انسان، ولــكن الفرق بين فرد وآخر هو ان المواقف المثيرة للغضب تختلف من فرد إلى اخر. وكذلك تختلف اساليب التعبير عن الغضب من فرد إلى اخر اختلافات بينة – سواء في نوعها أم في درجتها– وكذلك تختلف في ترددها وشدتها من شخص إلى اخر اختلافات واسعة المدى. فالمواقف التي تثير الغضب عند تلميذ ما قد تكون تقدم زميل عليه في الدراسة، وقد تكون عند آخر الازدراء بملبسه، وعند ثالث اظهار الاحتقار لقوته الجسمية.. إلى غير ذلك. واما اساليب التعبير عن الغضب فقد تكون بتهشيم السبب نفسه بالاعتداء عليه بالاساليب البدائية من ضرب وعض، وقد تكون بالاعتداء على ممتلكاته أو ما يتصل به وذلك بالتدمير والاحراق والسلب، وقد تكون كذلك باظهار الغضب دون اعتداء ملموس على الشخص المقصود

بالاعتداء، وإنما باللجوء إلى التهديدات والشتائم والنقد وما إلى ذلك. هذه كلها اساليب مباشرة للاعتداء وهناك اساليب غير مباشرة معظمها تعود إلى اساليب الضعف التي سبق ان اشرنا اليها، ومن هذه السرقة والكذب والهروب والاستغراق في النوم.. وما إلى ذلك.

وحيث ان استعداد الانسان للغضب في مواقف معينة استعداد فطري الاصل - أي انه موجود بالطبيعة - فموقفنا نحو الغضب يجب ان يكون موقف تعهد وتوجيه وانماء في الاتجاه الصالح، ولا يصح ان يكون موقف استئصال بحال من الاحوال. فالنزوع للغضب والمقاتلة ليس امرا يغرس أو ينزع وانما هو ناشئ عن مصدر ثابت للطاقة لا يمكن القضاء عليه. ولا شك في ان لانفعال الغضب وعزيرة المقاتلة قيمة حيوية كبرى لحياة الفرد.

وغاية نشـــاط هذه الغريزة على ما في بيئة الـــكائن الحي من عوامل تقف دون تحقيق الغايات الحيوية الأخرى. ولها - كما لبعض الغرائز الأخرى- وسائلها وأسلحتها. ومن هذه القرون والفم والاسنان والعضلات والاطراف والاشواك والحمة.. وما إلى ذلك ولها عند الانسان بعض هذه الاسلحة، ولـــكن يضاف اليها ما ينتجه عن طريق الحيلة والاختراع. وقد وصل حتى الان إلى حرب الاعصاب والقنبلة الذرية واساليب المناورات السياسية الدولية، وصار عنده مدى واسع جدا من اساليب المقاتلة.

ونظرا لفطرية هذا الاستعداد فإنه يخضع غالب للوراثة المعروفة، ولكن نظرا لأنه صفة نفسية، فإنه يخضع أيضا لأثر البيئة خضوعا كبيرا.

لذا نجد ان اثر الوراثة يختفي في غالب الحالات - وان كان يتضح في بعضها- وقد عرفت بعض الامم والقبائل بميلها للمقاتلة اكثر من غيرها، ونعـــلم ان البنين على وجه العموم اشد ميلا للمقاتلة من البنات، ممـــا جعل البعض يميل إلى اعتبار المقاتلة صفة ذكرية. ويتضح الميل للمقاتلة كذلك في اصحاب مهنة

دون اخرى. وهذه الصورة المختلفة من اساليب توزيع المقاتلة بين مجاميع النـــاس تعطي ادلة في اتجاه اثر الوراثة، كما تعطي ادلة في اتجاه اثر البيئة. وقد دلت بعض الحالات الفردية الشاذة على ان اثر الوراثة بارز فيهـــا بصورة واضحة لا تحتمل الشك[1] ويتاثر الغضب بعوامل بيئة أو مادية مختلفة، كالتقاليد والمثل والمعاملة ودرجة الحرارة الجوية ونوع التغذية وبعض المشروبات.. وما إلى ذلك.

ويرجع الــكثير من قيمة هذه الغريزة إلى حدة الانفعال المصاحب، وإلى كمية النشاط العظيمة التي لا يمكن اطلاقها عن طريقها. وتشترك في هذا النشاط غالب اجزاء الجسم واجهزته وعضلاته.. وما إلى ذلك.

ولذا كانت غريزة المقاتلة عظيمة القيمة في خدمة اغراض الغرائز الاخرى كالجنسية والملكية والطعام والسيطرة.. وما إلى ذلك.

وهي تنشط لخدمة الحاجات والميول الفطرية والمكتسبة بمختلف انواعها، وبذلك تصير المقاتلة ضرورية احيانا لصون الشرف والسمعة والكرامة والمال.. وما إلى ذلك.

وحيث انها قوة ضرورية للتغلب على الصعاب فهي تفيد في نزعات التجريب والمخاطرة والتفوق وكسب الثقة بالذات. وهي قوة تستغل لتقدم المجتمعات ومحاربة ما فيها من امراض جسمانية وخلقية.

وهي من العوامل الهامة التي تعطي العلماء والمكتشفين قوة تغلبهم على ما يعترض أعمالهم من مصاعب ومقاومات. وهي من المصادر التي ساعدت على اخضاع الطبيعة بقواها وثرواتها للانسان.

نرى مما تقدم ان النزعات الاعتدائية بمختلف انواعها صادرة عن استعداد راسخ في طبيعة الانسان ويمكن ان يتجه نشاطها اتجاها هدميا ضارا.

---

[1] مثال ذلك حالة ايرين الواردة في كتاب C.Burt.CIT

ويمكن ان يتجه اتجـــاها مفيدا لكل من الفرد والمجتمع، وقد قال (مكدوجل)[1]: إن غريزة المقاتلة لعبت دورا اكبر مما لعبته أي غريزة اخرى في تطور التنظيم الاجتماعي.

دراسة حالات

ولكن نفهم اصل النزعات الاعتدائية الشاذة وصورها واساليب توجيهها ندرس بعض الحالات.

ومن الحالات التي يمكن اعتبارها كلاسكية حالة (جيرى Jerry)[2] وهو غلام في السابعة والنصف قتل زميلا له بإغراقه عمدا في النهر. كان (جيرى) يلعب مع زميله هــذا قرب النهر، وأراد ان ياخذ منه لعبة كانت في يده، فرفض هــذا الزميل، وأصر (جيرى) وعيره بانه لا اب له، فهاج (جيرى) وما كان منه الا ان دفعه في النهر فتشبث المجني عليه بحافة النهر، فركله برجله، وما زال به حتى اغرقه، واستراح منه. لا يكفي هذا الحادث وحده لتفسير الجريمة. فنحن اذا درسنا تاريخ الولد نجد انه ابن سيدة فقيرة ولدته سفاحا، وعاش الولد مع امه عيشة الــكفاف.

وكانت امة تعمل بالخدمة المتقطعة في المنازل، ولذا كانت تتركه بغير نظام بلا رقيب وبلا غذاء في غالب الايام. وكانت المدرسة التي كان يذهب اليها الولد بعيدة عن مسكنه. فبعد المدرسة وضعف رقابة امه عليه شجعاه على الهروب من المدرسة في كثير من الاحوال. بذلك صار متاخرا في دراسته عرضة للتشرد. وكان الأولاد يعرفون انه طفل غير شرعي مما كان يدفعهم إلى تعييره بذلك، ومما جعل الولد يحس بالنقص الشديد والنقمة البالغة على من حوله. تراكمت آثار هذه الظروف وظلــت مكبوتة في نــفسه إلى ان جاء حادث

(1) Wm. Mc. Dougall: Social Psychology.

(2) C.But : The Young Delinquent.

اللعبة مثيرا له فانفجر الحقد المتراكم من الماضي بالصورة التي ذكرناها.

لم يذكر (بيرت) ما تم لهذا الولد من علاج. لهذا نشرح احدى الحالات التي درسناها وعالجناها بنجاح، وهي حالة لولد في الثانية عشرة من عمره، يعيش في حي المذبح - احد احياء القاهرة - وكان مصدر الرعب لكل اهل الحي، فهو يخطف ويسرق ويضرب ولا يبالي. وبلغ من قوته انه كان يسرق اللحم من الجزارين - وهم قوم عتاة جبابرة - وبلغ من عنفه ان رجال الشرطة كانوا يعملون له الف حساب، فاذا قبض عليه خطأ وارسل إلى القسم فسرعان ما يطلق سراحه، ولا سيما انه يرشدهم احيانا إلى تجار الحشيش ومهربيه. ولـــكن حدث ذات مرة ان قبض عليه وهو يسرق صندوق زجاجات (غازوزة) من عربة في اثناء سيرها في شارع خيرت -احد شوارع القاهرة- ثم ارسل إلى القسم ومنه إلى النيابة ثم إلى مكتب لدراسة الأحداث. واتضح انه حوكم قبل ذلك مرتين: احداهما لسرقة والأخرى لسرقة موقد (غاز).

وعندما بدأنا بحث حالة الولد عانى الباحث الاجتماعي كثيرا جدا، فكان في الغالب لا يعثر عليه، وعندما يجده يعتدي عليه، أو يهرب منه، وعندما تمكن من استدراجه ليسير معه اشتبك في الطريق العام في عدة مشاجرات، وتكرر هذا مرات عدة حتى يئس من بحث حالته. واخيرا نجح في ان يصل به إلى المكتب، وما كاد يغفل عنه قليلا حتى فر الولد هاربا، ثم عاود المحاولة، وبعد مرات عدة تمكن الولد من ان يثق ان ضررا ما لن يلحقه، وبان المتخصص النفساني الاجتماعي سيعملان لصالحه. وفي احدى مقابلات الولد قال له الاختصاصي النفساني:(اننا لا نريد ان نضطرك لمقابلتنا فان اردت فلصالحك، وان لم ترد ذلك فلك كامل الاختيار في عدم الاتصال بنا)

مثل هذا الاتجاه السلبي (في الظاهر) جعل الولد لا ينظر إلى الاختصاصي النفـــساني نـــظرات عـــدائية، بـــل اطمـــان اليه واستـــمع لكلامه

وجلس بهدوء ليؤدي ما اجراه عليه من اختبارات.

وهكذا واصلنا العمل معه بهدوء وتدرج إلى ان ألحقناه بمؤسسة مع امثاله على اساس استعدادهم. وبالفعل صار من احسن أولاد المؤسسة، والتحق بالعمل، ونبغ في النواحي الرياضية نبوغا كبيرا وصار غيورا جدا على سمعة (الاسرة) التي ينتمي اليها في المؤسسة ومهتما بسمعة المؤسسة كلها وصار من قادة الأولاد في المؤسسة.

وبدراسة حياة الولد اتضح ان اباه رجل شرير مدمن لتعاطي المخدرات، وكان ينتهز فرصة الظلام في اثناء الغارات الجوية فيصطحب ابنه للسرقة من الجيران،وعلى الرغم من اعتدال مكاسبه فانه لم يكن يعطي ابنه نقودا، بل كان يشجعه على الخطف والسرقة ليحصل على قوته، وقد تركت الأم زوجها وابنها اشمئزازا من سلوكهما، وعاشت مع اهلها منذ مدة بعيدة.

وينام الرجل وابنه اما على طوار واما في مدخل منزل يملكه بالاشتراك مع اخيه . فالولد صار هو وابوه منبوذين من الأم. ووالده يقربه اليه بالقدر الذي يتمكن معه من استغلاله، ويشعر الولد بنقمة عامة على المجتمع، وهو متوثب دائما للانتقام والاعتداء.

ومن العجيب اننا بعد ان تولينا توجيه الولد إلى الحياة الجديدة وصار ميالا إلى حياة العمل والكسب الشريف، فقد الحقناه بعمل (ميكانيكي) وهو العمل الذي يلائم استعداده الجسمي والعقلي والخلقي، وصار كثير النقد لوالده الذي يسلك في نظره سلوكا سيئا للغاية، والذي يدخل السجن بسبب سرقاته.

نرى من هذه الحالة ان مصادر النزعات الاعتدائية يمكن تحويلها من المسالك السيئة المضادة للمجتمع إلى المسالك المقبولة في المجتمع. وذلك عن طريق وضع الولد في بيئة اجتماعية تعطيه التقدير والامن، وتزوده بنشاط اجتماعي صالح، وعن طريق اعطاء الفرصة لنزعاته القوية لظهور دون أنانية،

ومع مراعاة انماء الشعور بالمسؤولية الاجتماعية. وليس هنا مجال للتفصيل في هذه الناحية.

حالة في نوبات الغضب في سن الخامسة

هذا ولد في سن الخامسة شديد المعاندة والرغبة في الاتلاف، عنيف جدا في تصرفاته. اذا لم يجب إلى ما يطلب فانه يعبر عن غضبه بنوبات يصرخ فيها بشدة، ويرتمي على الارض، ويرفس إلى ان يجـــاب طلبه، وهو يعيش مع امه في بيت جده، لأن الوالدة انفصلت عن زوجها بالطلاق عندما كانت حاملا ذلك الابن. الولد يعيش في منزل متعدد السلطات، فهناك وسلطة الجـــد، وسلطة الجـــدة، وسلطة الاخوال، وسلطة الأم.

ولذلك انعدمت وحدة السلطة الضابطة أو الهيئة الموجهة، وعرف الولد كيف يستغل النواحي الكامنة في جو الأسرة لمصلحته. يضاف إلى ذلك ان الولد نفسه مرتبك، ولا يشعر بأنه ينتمي إلى والد كبقية الأولاد.

ويشعر في الوقت نفسه شعورا ضمنيا بان هناك غموضا كبيرا حوله وحول مستقبله من حيث اطمئنانه على استمرار بقائه مع امه، أو عدم بقائه معها.

فالولد يعيش في جو يشعر بانه لا يفهمه اطلاقا، ويمكنه مع ذلك ان يصل فيه إلى كل رغباته. وقد ساعد ارتفاع ذكاء الولد على سهولة كشفه لخصائص هذا الجو في سن مبكرة، إذ أن مستوى عقل الولد وهو في الخامسة يساوي عقل طفل في سن السادسة والنصف.

وللولد مشكلات اخرى عديدة تعتبر كلها نتائج لمركزه ممن حوله، حيث انه يعيش في جو غامض غير مفهوم، ولا يمكنه ان يطمئن اليه تمام الاطمئنان ومع ذلك فهو جو ضعيف في مجموعه بالنسبة اليه، يخضع من فيه لاجابة طلباته. فتهيج الطفل ونوبات غضبه في الجو تـــساعده على اجـــابة طلباته، ويتم

تهيجه فوق ذلك عن نقمته على هذا الجو وعدم اطمئنانه اليه.

حالة غضب ومعاندة لتلميذ في السادسة عشرة:

وتلميذ في سن السادسة عشرة تصيبه نوبات عصبية شبيهة بالصرع، ذكر عنه والده فوق ذلك أنه عنيد، لا يهتم برأي والديه، كثير الزجر والمشاكسة لاخوته، منصرف عن مذاكرة دروسه مما أدى إلى تأخره الدراسي تأخرا كبيرا. وقد اتضح بدراسة الحالة ان هذه الاتجاهات وغيرها ظهرت كلها في مرحلة التعليم الثانوي، أي في دور المراهقة. ويلاحظ ان الولد يريد ان يثبت وجوده بالاسباب التي يؤدي غالبها في الوقت نفسه إلى اثارة الغيظ في والده، وبذلك تصير وسائل اعتدائية غير مباشرة بجانب وظيفتها في اثبات الذات وهذه الاساليب هي:

١- عصيانه لوالديه.
٢- التدخين.
٣- المشاجرة وتقديم الشكوى لرجال الشرطة ممن يخطئون نحوه مهما كان الخطأ تافها.
٤- بطاقته التي وضعها بجانب بطاقة والده على صندوق البريد.
٥- الخروج مع اصدقائه إلى ساعة متاخرة جدا من الليل.
٦- استقبال ضيوفه واصدقائه ايا كانوا في المنزل في أي وقت يشاء بغض النظر عن رأي بقية من في المنزل في ذلك.
٧- رغبته في ان يكون له في حركة المنزل صوت مسموع لا يقل عن صوت والده.
٨- كتابته مذكرات خاصة عن نفسه.
٩- خروجه من المدرسة في أي وقت شاء بغير استئذان.

ويلاحظ ان والده رجل عنده بعض العصبية، وهو كثير النقد لابنه ولا سيما انه ابنه الاكبر وكان يعلق عليه كل آماله.

يفرض الوالد بعض القيود على ابنه ولو ان بعضها قيود معقولة، ولكنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياته، ويهمه ان يكون رأيه هو المتغلب في النهاية، والوالد فوق كل ذلك يتهيج على ابنه لدرجة تخرجه احيانا على حدود صوابه. وهو يخشى الا يكون هناك امل في اصلاح حال ابنه، اذ انه يرى انها لابد ان تكون وراثية، ويستند في ذلك إلى بعض الادلة غير القوية.

هذه الحالة تعتبر حالة ثوران أو عدم استقرار، وهي وان كانت لا تتميز بنزعاتها الاعتدائية المباشرة، غير ان ما بها من النواحي الاعتـدائية يظهر مـــع غيرها من النواحي الاخرى.

وبذلك نرى ان النزعة الاعتدائية في الحالة والحالات السابقة لا تخرج عن كونها عرضا واحدا من مجموعة اعراض للشخصية كلها. مثلها في ذلك مثل أي سلوك مشكل.

أسباب الغضب في الحالات الشاذة

ومما يكثر ظهوره عند الاطفال ما يسمى بنوبات الغضب، وهي تظهر بأسلوبين: اسلوب إيجابي مصحوب بالثورة أو الصراخ، أو الضرب، أو الرفس، أو الرجم بالحجارة، أو دفع الابواب، أو اتلاف الاشياء، أو ما يشبـــه ذلك. واسلوب سلبي مصحوب بالانسحاب أو الانزواء أو التهجم، أو الاضراب عن الكلام، أو ما يشبه ذلك.

اما الاسلوب الأول فهو اسلوب الظاهريين أو المنبسطين (Extriverts) واما الثاني فهو اسلوب الباطنيين أو المنطوين (Introverts) وهذا النوع الثاني الهادئ في ظاهره -وان كان مريحا للآخرين- اضر بالشخص من النوع الأول، اذ انه يصحبه كبت لانفعال الغضب، قد يتبعه -بعد مدة قصيرة أو طويلة-

اغراق في احلام اليقظة التي قد يتصور فيها نفسه منتصرا أو مظلوما مقصودا بالظلم من غيره، أو غير ذلك،أو قد يتبعه انفجار أو تحويل (Transfer) ولما للنوع الأول فمن مميزاته على الاقل انه يعطينا فرصة لفهم الشخص، ودراسة سلوكه الظاهر غير المكبوت. ومن مميزاته ايضا شعور الشخص بشيء من الراحة، بعد تعبيره عن انفعاله بصورة ظاهرة.

وتظهر نوبات الغضب احيانا اذا كانت السلطة الضابطة متغيرة، فاذا طلب طفل من امه مثلا امرا وامتنعت، ثم صرخ فأجابت طلبه، فانه يغلب ان امتناعها بعد ذلك في فرصة اخرى يؤدي إلى صراخه.

وكثيرا ما يحدث ان تنتبه الام إلى ان الولد قد يتغلب عليها اذا لم تصمد فتصر على الامتناع، ويصر هو على رفع صوته في الصراخ. وقد يستمر الحال إلى ان تجيب الام طلبه. وهذه طريقة من الطرق التي تنشا بها نوبات الغضب. فالطفل يدرك حدود السلطة في بيئته. لذا نجده قد يصرخ مع امه، ولا يصرخ مع ابيه. أو يصرخ مع امه في حضور جدته، أو خالته، لأنه يضمن اذ ذاك شفيعا له به خبرة سابقة. بذلك تصير نوبات الغضب بدرجاتها المختلفة سلاحا يستعمله الطفل بالمقدار الـكافي في الظرف المناسب.

وتصل احيانا نوبات الغضب إلى درجة شديدة كاحتقان الوجه، واحتباس الكلام، أو الاغماء، أو القيء، أو كثرة البكاء، وغير ذلك. والاغماء في مثل هذه الحالة يكون اسلوبا عقليا لاشعوريا يصدر من الطفل للحصول على حاجة مادية أو معنوية فما يترتب عادة على الاغماء ان الاسرة كلها تجتمع ذعرا حول الطفل، وكل فرد منهـا يقوم بنصيبه في مساعدته وينظر اليه نظرة ملؤها الخوف والحنان والتأثر. وهكذا يصير الاغماء وسيلة تؤدي غالبا إلى اهتمام الاسرة به ووضعه في مركز عناية كل فرد منها.

هذا النوع من الاغماء نعرفه في الحالات التي تشبع حاجاتها كلها، وتدلل في أول الأمر ثم تعامل بالشدة في المراحل المتأخرة. ولذا فاننا نجدها عادة في الطفل الأول، أو الحالات التي يعيش اصحابها في جو تتذبذب فيه المعاملة بين اساليب الشدة واساليب التراخي الصادرة من شخص واحد أو في الجو الذي تتعود فيه اساليب مختلفة السلطات متعددة كسلطة الأم والاب، أو سلطة هذين مضافا اليها سلطة الاجداد والخالات ومن يشابههم.

ومن اسباب نوبات الغضب والعنف في السلوك الشعــور بالخيبة الاجتماعية، كتأخر التلميذ في دراسته أو اخفاقه في التقرب من والديه أو معلميه، لذا نجد ان الشعور بالغيظ والحنق والتعبير عنهما كثيرا ما يكون حادا واضحا في حالات الغيرة.

كذلك يؤدي إلى النتائج نفسها شعور الطفل بظلم يقع عليه من المحيطين بع من مدرسين أو اباء أو اخوة.

واشد حالات الشعور بالظلم ما كان بجانبها شعور الشخص بمحاباة ذوي السلطة لغيره، اذ ان جزءا كبيرا من الشعور بالظلم هو في الواقع شعور نسبي. ويضاف إلى ما تقدم الشعور بفقد الاطمئنان إلى البيئة المحيطة.

ومن اهم اسباب الغضب ايضا تقييد الحرية سواء في كذلك حرية الحركة الجسمية أم اللعب الحر عند الصغير. ويخطئ بعض الآباء في انهم يتدخلون كثيرا في العاب الاطفال ليحلوا لهم مثلا لغزا استعصى عليهم حله أو غير ذلك ممــا يحرمهم لذة المحاولة الذاتية والنجاح الذاتي. ومن اسباب الغضب كذلك تقييد حرية التعبير عن الرأي، وتقييد اثبات الذات ولا سيما عند المراهقين والــكبار، ويدهش كثيرا من الآباء ميل اطفالهم إلى المعاكسة والمشاكسة بعد بدئهم حياتهم الدراسية، والسبب في ذلك هو ان جو المدرسة – بكل اسف – جو مقيد في العادة لحرية الحركة، وحرية التعبير عن الفــكرة ولا يسمح فيه بإثبات

الذات اثباتا كافيا.

والطفل لا يمكنه في الغيرة ان يثور مباشرة على السلطة القائمة في هذا الجو، فيقوم دون ان يقصد أو يشعر بعملية تحويل للثورة أو الغضب إلى اشخاص أو اشياء لها بمصدر السلطة بعض العلاقة، وتكون قائمة على وجه شبه بعيد، واحيانا لا تكون هناك علاقة ظاهرة اطلاقا. فعند عودة الطفل إلى المنزل يغضب على امه أو على اخوته ويكون كثير المطالب قليل الصبر كثير النقد شديد التدقيق لغير سبب جوهري شديد الغضب. ومثل هذا ينطبق على كل جو يسوده الضغط والتقييد سواء اكان جوا اجتماعيا عاما أم مجالا اجتماعيا محدودا.

ولا يجوز الخلط هنا بين تقييد الحرية ووجود المقاييس الضابطة، فالطفل في حاجة إلى توجيه لمعرفة الحسن والرديء مع عدم تقييد حريته بإرغامه على اتباع نظام معين محدود التفاصيل.

وليس من الضروري ان يتم دائما تقييد الحرية بالطرق العنيفة من جانب السلطة، فقد يتم بطرق تبدو غاية في الضعف. وقد شوهد هذا في عدد غير قليل من الحالات. ومن امثلته ان شابا، وهو في سن السابعة عشرة أو اكثر، كان اذا خرج مع اصدقائه للتنزه بكت امه، وبدا عليها الشقاء.

وذات مرة مرضت الام اسبوعا لان ابنها خالفها، وسهر في الخارج مع اصدقائه إلى ما بعد التاسعة مساء. وكانت النتيجة في هذه الحالة بالذات ان الولد كره البقاء بالمنزل كرها شديدا، وخشي الخروج منه خوفا على امه التي يقول انه يحبها حبا جما.

وبهذا وقع في صراع عقلي عنيف بين نزعتين متناقضتين هما: تشوقه لاثبات ذاته، وحرصه على ارضائه لامه نتيجة هذا انه كان ينفجر احيانا في امه واحيانا يدخل غرفته ويحبس نفسه فيها، ويصرخ بصوت مرتفع. وقد صار قليل الاستقرار، يفكر احيانا في الانتحار، قليل القدرة على تركيز جهده في اعماله

الدراسية.

وحالات كثيرة من المرض العصبي والعقلي منشؤهما السيطرة بالضعف من جانب الامهات والاباء [١].

وقد يكون الغضب عند الاطفال صورة من الغضب عند الاباء. وذلك يحدث اما عن طريق التقليد والنقل، أو يكون كرد فعل على غضب الوالدين لأتفه الاسباب وما ينتج عنه. فبعض الاباء يغضب ان لم يجد طعامه معدا في اللحظة التي يريده فيها، أو ان فقد زر قميصه في اثناء لبسه في الصباح أو ان قطع رباط حذائه في اثناء شده له.

هكذا تجد بعض الاباء متوثبين للغضب في كل لحظة. كذلك الاطفال مع اخواتهم أو مع الخدم قد يكون صورة ظهرت عن طريق التقليد أو الرغبة في الانتقام منشؤها غضب الاباء معهم.

وفي الحالة الثانية يكون الغضب متسببا من كثرة مشاجرات الوالدين انفسهم مما يهز ثقة الطفل بالجو المنزلي، ويجعل الطفل متحيزاً لاحد الوالدين ضد الاخر[٢] وبذلك يصير ناقما على الجو المنزلي كله، أو على جزء منه، وقد تنتقل معه هذه النقمة إلى الجو الخارجي في علاقته بالمجتمع عامة أو ببعض اجزائه كالزملاء أو المرؤوسين أو الرؤساء أو السلطة الحاكمة أو القانون نفسه.

ومن العوامل التي تساعد على تهيج الاشخاص وتعرضهم لنوبات الغضب حالتهم الجسمية، فأي نقص عام أو محلي يؤدي إلى اضعاف قدرة

---

(١) هذه هى نفس الحالة (ص ٢٩٠) ، ويلاحظ ان النزعات الاعتدائية تتجه نحو امه فلا تجد منفذا فتزيد عليه، ومثل هذه الحالات كثير في حالات الانتحار وما هو اخف من ذلك من حالات عقاب الذات (Self Punishment) ومجاهدة النفس (Asceticism)

(٢) يتحزب الطفل عادة للشخص الذي يميل اليه موقد يعتقد ان هذا الشخص مظلوم أو ضعيف . ويكون للطفل غالبا في جانب الام ، ويترتب على انقسام جو الاسرة بهذه الصورة مشكلات عديدة

الشخص على السيطرة على موقف ما قد يجعل الشخص هائجـا متوثبـا فبعض الاطفال، لعدم قدرتهم على الشيء أو الكلام أو الرؤية أو اللعب أو إلى ذلك قد تجدهم في حالة توثب واستعداد للغضب والهيجان.

مشاجرات الاخوة

لا نكون مبالغين ان قلنا: ان كل اسرة بها اكثر من طفل واحد لابد من ان يحدث فيها شيء من النزاع والتشاجر. فمن الامور العادية ان يقوم اخ بتعيير اخته مثلا بلون شعرها أو ضخامة قوامها أو غير ذلك، كذلك يحدث ان تعير الاخت اخاها بامور مختلفة. ويتشاجر الاخوة مثلا عند تسابقهم لعمل، أو لعب، أو الحصول على امتياز معين من أي نوع كان. كما يجوز ان ينال طفل ما عقابا سببه له طفل آخر مثلا، فيقوم هذا الطفل الاخر بإثارة المعاقب. فيثير غيظه بكلمات معينة أو بتغيرات معينة يرسمها على وجهه، ممـا يهيئ الجو لشجار من النوع العنيف. كذلك يحدث احيانا ان يرغب الاخ الاكبر في فرض سلطة على الاصغر لهذا، ويلجا لوالديه.

وكما جرت العادة قد يكون الاصغر معززا من الوالدين. يحدث بعد ذلك مثلا ان يخرج الاخوان معا -اصغرهما في حراسة الاكبر - لقضاء مهمة معينة، يريد الاكبر ان يسير حسب هواه، والاصغر يمانع، فيستعمل الاكبر سلطته،وينهر اخاه ويدفعه، ولكنه يفعل ذلك بشيء من الخوف وعدم الاسترسال فيه، لأن الاصغر مسنود من الوالدين.

فتجد اذ ذاك ان الاصغر يتشاجر بعنف وشدة للسبب نفسه - وهو انه معزز من الوالدين - ولذا تتجدد المشاجرات بين الاخوة، ويكون لموقف الوالدين بعض الاثم في اتجاه المشاجرات ودرجة عنفها.

ويحدث احيانا ان يشعر الاخ الأول والثاني ان الثالث مدلل من الوالدين

فيتحدان ضده ويكثران من التشاجر معه. واحيانا يتفق الأول والثالث ضد الثاني مثلا لان الثاني ممتاز عنهما لخفته أو لجمال شكله، أو لشدة ذكائه، أو لرقة صحته التي جعلت الوالدين يغدقان عليه عناية لم يشعر الاخران بمثلها وهكذا من التشكيلات الاخرى العديدة.

ويتشاجر الاخوة اذا اعتدى احدهم على ما يعتبره الاخر ملكا له، أو على ما يعتبره غير مملوك للمعتدي. فالطفل يتشاجر مع اخيه اذا لعب هذا بكتبه أو ادواته، أو ملابسه، أو اذا لعب بكتب والده مثلا، إلى غير ذلك.

ونجد على وجه العموم ان الاخوة الذين لا يتشاجرون قل ان نسمع عنهم. ومجرد اجتماع طفلين أو اكثر في مكان واحد يقيم في العادة مسرحا لمنازعات تختلف في نوعها وموضعها، ودرجة عنفهـــا اختلافات كبيرة. وهذه المنازعات قد تطول وقد تقصر، وتتخللها عادة معاهدات للصلح لا يراعى في تنفيذها أي نوع من الدقة.

ويتألم الاباء عادة من مشاجرات ابنائهم،وسبب ذلك أن صوت هذه المشاجرات قد يصل إلى مسمع الجيران، وبذلك يتولاهم الخجل، اذ يظنون ان الجيران ربما يرمونهم بالخيبة في تربية ابنائهم. ومما يزيد الاباء تألما عنف الابناء احيانا في هذه المنازعات، اذ ان المشاجرات بين الاخوة تصل احيانا إلى درجات يخيل إلى الوالدين معها انه لو اتيحت الفرصة لاحدهم، فلا مانع عنده من ان يفتك بالاخر. ويعتقد الاباء اذ ذلك ان مثل هؤلاء سيشبون على كراهية بعضهم بعضاً، وسينشؤون غير قادرين على حسن معاملة الناس. ولـــكن الأمر أهون من هذا بكثير، فكل الاخوة ــ ولا سيما المتقاربين منهم في العمر ــ لابد من ان يتشاجروا. وتقل عادة هذه المشاجرات كلما تقدم الاطفال في السن. وليس معنى هذه المنازعات كراهية الاخوة بعضهم بعضاً، فكثيرا ما يحدث ان يتشاجر اخوان، فاذا تدخل غريب للاصلاح بينهما، فغالبا ما يتضامنان ضـــد هذا التدخل

ولا يرضيان به مهما نبل غرضه وحسنت نيته.

ومن البحوث التي اجريت في الخارج على الاطفال فيما دون الثامنة من العمر بحيث خلص منه القائم به إلى النتائج الاتية:

١- استعداد الذكور للتشاجر اكثر من استعداد الاناث له.

٢- الاستعداد للتشاجر يقل عادة بالتقدم في السن.

٣- الاستعداد للتشاجر يكثر بين الاطفال الذين تربط بعضهم ببعض روابط الصداقة.

ولذا اخذنا بهذه النتائج، وتذكرنا ان البنين عموما يفوقون البنات في الميل إلى النشاط والعنف والشدة والسيطرة واثبات الذات، وجدنا ان الشجار قد يدل على الميل إلى التمسك بالحق والمثابرة والشدة، وغير ذلك من الصفات اللازمة لنجاح المرء في الحياة. ويمكن ان يكون الشجار مع حسن التوجيه مقدمة لأمر آخر يكسبه المرء بالخبرة الشخصية وهو القدرة على ضبط النفس ومجاهدتها ومكافحة الصعاب.

وطبيعي جدا ان الاطفال باجتماعاتهم تختلف رغباتهم، وتختلف طرقهم في الحصول عليها، وتتعارض هذه الرغبات. وهذا يؤدي إلى الاحتكاك الدال على النشاط والحيوية، ويمكن ان يترتب على كل هذا ان يتعلم الطفل كثيرا من اساليب التعامل، ومعنى الحق، ومعنى الواجب، واساليب الاخذ والعطاء. ولهذا يكون التشاجر احيانا دليلا على عدم اكتمال النمو الاجتماعي، ولكنه يصح ان يؤدي اليه اذا احسن توجيهه.

يضاف إلى كل هذا ما سبق ان قلناه في اسباب الغضب، فمن الجائز ان يكون التشاجر بين الاخوه دالا على غيره، أو اخفاق اجتماعي، أو شعور بظلم الكبار، أو غير ذلك مما يجب على الاباء ان يبحثوا عنه ليزيلوا اسبابه بادئ ذي بدء.

بحث حالات الغضب والتشاجر

أول ما يجب الاتجاه اليه -اذا كثر الشجار وظهرت ثورات الغضب- دراسة الحالة الجسمانية، فقد يكون التوثب وسرعة الغضب ناشئين عن اختلال في مصادر النشاط في الجسم، كازدياد في افرازات الغدة الدرقية أو الغدتين فوق الكلويتين، أو الغدة التناسلية، أو ما يشبه ذلك، مما قد يحدث والشخص غير مهيأ للقيام بالنشاط الكافي لتصريف الطاقة المتدفقة فيه. وقد يكون السبب هو تسمم الجسم عن طريق مباشر أو غير مباشر، بسبب الامساك، أو التعب الشديد، أو الاصابة بالبرد العادي، أو قلة النوم، أو سوء التغذية، أو غير ذلك من الاسباب الجسمانية العديدة [1].

ويمكن في بعض الحالات ارجاع التعرض للغضب إلى عاهة أو نقص جسمي يتسبب عنه عجز في القدرة أو تعيير من الاخرين، أو عطف زائد منهم، مما قد يجعل صاحب العاهة بعاهته ناقما على نفسه وناقما على من حوله.

ويلاحظ عادة ان اطفال المدارس يرهقون احيانا بالعمل؛ سواء كانت المدرسة تسميه عملا دراسيا ام رياضة بدنية.

ثم يذهب الطفل إلى منزله محملا بواجبات منزلية، وقد تضاف إلى هذا دروس خصوصية، وبذلك يحرم الطفل من الاستجمام، ومن اللعب الحر، ومن التنزه الضروري لكل انسان.

فعلينا اذن ان نبحث حياة الطفل المدرسية، وعمله الدراسي من حيث نوعه وكميته ودرجة ملاءمته لقواه العقلية والجسمية، وان نعرف علاقة الطفل في المدرسة بزملائه ومعلميه.

وعلينا ان نبحث كذلك في علاقة الطفل بوالديه وعلاقة كل منهما بالاخر. وان ندرس اصدقاء الطفل خارج المدرسة، ونوعهم، ودرجة ملاءمتهم له، وكيف

---

[1] في الكبار يكون الاستعداد لسرعة الغضب متأثرا أحيانا بتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .

يقضي وقته معهم، وان نعرف كيف يشغل وقت فراغه، ونوع هواياته. وذلك لان الطفل كلما كان مشغولا بهوايات، وبعمل لذيذ، كان اقرب إلى الهدوء منه إلى الغضب.

ويجب ان نعرف الكثير عن حياته الانفعالية فربما يكون هناك ما يدعو إلى الغيرة، أو القلق، أو ضعف الثقة بالنفس، أو الانشغال بمسائل جنسية أو غير ذلك، وعلينا ان ندرس نظرته إلى مستقبله فالمستقبل المظلم غير الآمن قد يكون صاحبه بسببه قليل الصبر كثير الغضب.

يضاف إلى كل هذا وجوب النظر إلى احتمال وجود عوامل وراثية، فغزيرة المقاتلة وما يصاحبها من نشاط الغدد اللازمة لها، قد تكون موروثة بنسبة عالية من جيل سابق، ويصير معها اقل قدرة على تكييف نفسه للمشكلات التي تقابله. وعلينا بالجملة ان ندرس نوع المشكلات التي نحن بصددها، كل ما يمكن ان يقلل من شعور الفرد بالسعادة في الحاضر والماضي والمستقبل من عوامل جسمية وعقلية واجتماعية مختلفة.

بعض القواعد العامة:

١- لا يجوز الإكثار من التدخل في أعمال الأطفال، أو تحديد حركتهم أو ارغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة، وانما يكون التدخل بمقدار ما سبق ان اشرنا اليه.

٢- لا يجوز اظهار الاطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم، والسخرية منهم، أو اذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة. فالسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة احيانا امر صحي.

٣- لا يجوز اغتصاب ممتلكات الاطفال، أو تخريب ادواتهم خصوصا في ساعة غضب.

٤- لا يجوز الظهور امام الاطفال بمـظهر الضعف، والقلـق، ولا بمظهر

الاهمال لهم، وعدم الاهتمام بهم

٥- لا يجوز ان يسمح للطفل ان يحصل على ما يريده بالصراخ ولا يجوز محايلته أو تدليله في هذه الحالة.

٦- يحسن عدم لفت انتباه للطفل اذا قام بثورة غضب لسبب غير معقول.

٧- يجب ان نضبط انفسنا قدر الامكان امام الاطفال، بل يجب ان يتعود الاباء الانشراح لا سيما عند عودتهم من العمل.

٨- لا تجوز استثارة الاطفال لتسلية انفسنا. ولا تجوز اثارة غضبهم بمنع امتياز معين عنهم ثم التنازل لهم خوفا منهم أو عليهم.

٩- لا تجوز مناقشة سلوك الطفل مع غيره على مسمع منه.

١٠- لا تجوز اثارة الغيرة بين الاطفال ولا يجوز الاكثار من الموازنات العلنية بينهم ولا خلق جو يشعر بالفرق بينهم.

١١- يجب ان يكون الطفل مشغولا في وقت فراغه بنشاط لذيذ منتج كلعب أو هواية أو عمل أو غير ذلك. وان تعطى له فرصة اللعب العنيف احيانا، ويجب ان تكون التربية لوقت الفراغ - بمعنى التوجيه لاستغلال وقت الفراغ استغلالا حسنا- غرضا هاما من اغراض التربية.

١٢- يجب ان يكون جو المنزل جو عطف وهدوء وتقدير وعدل وثبات في المعاملة.

١٣- يجب ان يوجه نشاط الناشئ لخدمة المجموعة التي ينتمي إليها وللنواحي الخلقية وللنواحي الابتداعية الايجابية.

التخريب

ميل الأطفال إلى الفحص والتخريب والحركة

لاجل أن نفهم ميل غالب الأطفال إلى إتلاف الأشياء يـــجب أن نبحث بعض القوى الفطرية التي تهيئ الطفل لذلك. وسبق أن عرفنا أن من بين هذه

القوى ما نسميه غريزة الاستطلاع وغريزة الحل والتركيب. وهذه الغرائز تظهر في ميل الأطفال إلى العمل والتخريب والـكشف وسؤال الـكبار ويقوى ظهور هذا الميل أن الطفل حديث العهد بهذا العالم، ومحتوياته غريبة بالنسبة إليه، ولابد له من معرفتها حتى يشعر نحوها بأمنه وسلامته، لا سيما إذا اضطر للتعامل معها.

وأول ما يشعر الطفل بالشوق إلى معرفته وإدراكه هو العالم المادي.فهو يريد أن يلمس الأشياء، ويحملها، ويقذفها، ويعضها، ويمر بيده عليها إلى غير ذلك فإذا أعطيت طفلا في السنة الأولى من حياته كرة صغيرة ملونة، فأنه- كما قلنا- يتاملها ثم يقذفها، فتعطيها له، فيقذفها مرة أخرى، ومرة ثالثة، وهكذا. وهذا تحقيق لنزعة التجريب أوإدراك خواص الكرة عن طريق القيام بالتجارب والملاحظات. فالطفل يدرك بطريقته هذه وزن الكرة وشكلها وألوأنها ويدرك ارتدادها في الأرض، ويدرك المسافة التي يلقيها فيها وهكذاءوفوق كل هذا يشعره بقوته ومقدرته على العمل.

لهذا يكرر القيام بتجاربه مرات عدة. ويذكرنا تكراره لتجاربه نوعا ما بما يفعله العالم الذي يتبع المناهج الصحيحة للبحث العلمي، والذي لا يقطع بنتيجة إلا بعد أن يكرر تجاربه ومشاهداته مئات المرات.

وإذا أردنا أن نصف الطفل في هذه الحالة - وهو في معمله الصغير- قلنا: أنه يلعب. وعنصر اللعب -أو بعبارة أخرى عنصر الشعور باللذة والسعادة- ضروري لاستمرار الطفل في هذه التجارب وانهماكه فيها.

هذا اللعب هو الذي يكسب الطفل خبرة سريعة واسعة المدى يدرك بها خواص العالم المادي. فسرعان ما يدرك الفرق بين الساخن والبارد والـكبير والصغير. والناعم والخشن، والأسود والأبيض والحاد وغير الحاد، وغير ذلك من الصفات الظاهرة بالنسبة إلينا، والتي لا يكـسبها إلا عن طـريق المحاولات

الحسية العديدة والتجارب الشخصية الطويلة.

ومما نلاحظه من هذا النوع ميل الأطفال إلى اللعب بالماء مثلا، فما مصدر هذا الميل ؟ مصدره أن العناصر المألوفة التي يتعامل معها الطفل هي الأجسام الصلبة، فهو يمسك تفاحة أو كرة أو مفتاحا، فيجد أنه يستقر في يده. ويمسك بالماء فيجد أنه يزول من يده. وهذه خبرة جديدة أو موضوع جديد يستحق البحث والفحص. ماذا يفعل ؟ يلعب بالماء، فإذا وجد إناء ماء فإنه يضع يده فيه ويحركها، وإذا وجد الماء نازلا من صنبور فأنه يحاول أن يمسك به، والطفل كله مرح وسعادة وضحك وهو يحاول أن يمسك بالماء والماء يفلت من يده. فهو في هذا المعمل الخاص يدرك الفرق بين الأجسام السائلة والأجسام الصلبة. وكأن طفلاً صغيراً في الثالثة من عمره يلعب بالرمل والماء وكأن كوز من الماء ويصبه فيسيل الماء في كل مكان، ثم يملأ أكواز الرمل ويصبها فتتكون في شكل قوالب، ثم سأل أمه عن سر تكوم الرمل وعدم تكوم الماء وهو سؤال بديع جدا في الفرق بين الأجسام السائلة أو الصلبة، أوفي مبادئ الطبيعة. وهذا بعينه يحدث عند استعمال الطفل للصابون، وملاحظته لفقاقيعه، واستعمال أنبوبة مفتوحة من طرفها لنفخ هذه الفقاقيع وتكبيرها وتصغيرها وتطييرها - أحيانا في الظل واحيانا في الشمس - ومشاهدة الألوان المتعددة الناتجة عن انكسارات الضوء فيها. فالطفل إذن يميل بطبيعته إلى اللعب والتجريب الحسي، وبهذه الطريقة يكسب كثيرا من الخبرة الحسية والمهارة الحركية.

يرى الطفل ساعة والده مثلا، وهذه في نظره جسم مستدير براق غريب لا تتاح له فرصة لمسه إلا لحظات صغيرة من وقت لاخر. وفي هذه اللحظات التي يسمح له فيها بذلك يلعب بها لعبا مقيدا محدودا لا يكفي لإشباع نفسه. وعقل الطفل وحواسه تتعطش لكسب الخبرة وهضمها كما يتعطش جسمه لتناول

الطعام وهضمه [1]، فيمسك الساعة ويقلبها بين يديه، وإتماما للتجربة فقد يقذفها على الأرض، فإن تهشمت صاح فرحا لنجاح التجربة (في نظره على الأقل).

ولكن سلوك والده إزاء ذلك يكون في العادة سلوكا غريبا في نظره. ففي الحال يقطب الوالد جبينه، وقد يصيح صيحة الغاضب، فينهره أو يضربه. هذا السلوك يثير دهشة الطفل، ويشعره بأن هذا العالم كله ظلم وقسوة وجور. الطفل أراد أن يمسك الساعة ليفحصها ويفهمها، وقد قذف بها وتكسرت، فأدرك خبرة جديدة، وشعر بقوته، واشتق من كل هذا لذة كبيرة. فلماذا الانتهار ولماذا الضرب؟

في طبيعة الحال يضرب الوالد ابنه لأن الساعة ثمينة، ولـــكن الطفل لا يدرك شيئا من هذا. وقيمة الساعة في نظره قد تساوي، أولا تساوي قيمة أتفه لعبة من لعبه. وما فعل الطفل هذا إلا بسبب الدوافع الطبيعية المتدفقة عنده التي تنشط للتعبير عن نفسها، وترمي إلى الاتصال بالعالم الخارجي وفهمه فإذا بهذه الدوافع من البيئة بالعقبات الشديدة القاسية. ولكن هذه العقبات لا تقتل ما عند الطفل من دوافع ونزعات، فرغبة الطفل في لمس الأشياء واللعب بها لا تختفي، وإنما ينفذها متسترا خائفا، ويكون سلوكه إذ ذاك مصحوبا بشيء من الرعونة، ومن سوء فهم الأشياء وقيمتها، فيتلف الطفل بذلك أشياء كثيرة.

ومن تحليل هذه الأمثلة ندرك أن ما يسمى في العادة إتلافا أو تخريبا، أساسه غالبا حب استطلاع طبيعي ينفذه الطفل بطريقة تجريبية حسية، ويصحبه غالبا سوء تقدير لقيم الأشياء وبعض الرعونة لعدم اكتمال النمو، وشئ من الخوف والتستر نتيجة سوء معاملة الوالدين.

وتلك القوة التي تدفع الطفل للبحث والتجريب، والاستطلاع، والتي يريد أن يخمدها -ولن يقوى على إخمادها- هي من اكبر الوسائل التي خلقها الله

---

(1) ذلك لإشباع الحاجة للنمو العقلي والحاجة للنمو الجسمي - راجع موضوع الحاجات النفسية .

لصالح الإنسان من حيث نموه وتعلمه وكسبه القدرة على فهم البيئة والتأثير فيها وحسن التكيف لها.

وكذلك الطفل يرى والده يقوم بحركات بسيطة حين يكتب مثلا، فيترك آثارا سوداء على ورق أبيض. وهذه تجربة غريبة بالنسبة للطفل، فتشتاق نفسه للامساك بالقلم وإجراء الحركة والنظر إلى النتيجة. إذا تنبه الوالدان لهذا الشوق وادركا قيمته فأنهما قد يعطيانه ورقا وقلما ليخط ما يشاء، ولإن لم يكن هذا فلوح (إردواز) أو سبورة. أما إذا لم يعط الولد هذه الفرصة فإنه قد يخطط خفية في كتب والده، وكراساته، ويتلفها اشد إتلاف، أوقد يحدث منه ما حدث من طفل اعرفه اخذ قطع الفحم، وشوه بها الحيطان والأبواب والأثاث.

وطفل آخر يرى والدته تستعمل المقص، وتقوم بحركات بسيطة تؤدي إلى قطع الأشياء وتمزيقها وهذه أيضا عملية جذابة للغاية، فماذا يفعل الطفل ؟ تشتاق نفسه لإجراء التجربة بنفسه، فيمسك بالمقص، فإذا لم يلاحظ ويوجه فقد يقص كتابا ثمينا أو مجلة محفوظة أو مفرشا أو ما يشابه ذلك.

واما إذا لوحظ ومنع، فهو في الغالب يقوم بالعملية سرا. والنتيجة في الحالتين وبال على الوالدين لما سيحدث من إتلاف، ووبال على الطفل لما سيلاقيه من عذاب وعقاب. أما إذا عرف الوالدان قيمة هذا الشوق إلى القص، وقيمة التجربة الحسية والتجربة التي يكسبها الطفل من قيامه به، فإنهما قد يوجهانه إلى قص الجرائد القديمة، أو الخرق البالية إلى أن تشبع نفسه من هذه التجربة الجديدة ويتجه لغيرها من التجارب الطبيعية.

نرى مما تقدم أن ما يسمى في العادة تخريبا لا يكون مقصودا لذاته، وإنما يحدث عرضا في أثناء النشاط الطبيعي للطفل وهذا النشاط الطبيعي – الذي نسميه لعبا، أوحلا وتركيبا أو استطلاعا- يشبع حاجات نفسية، ملحة ويحقق غايات حيوية للطفل وهي نموه وتعلمه بمعانيهما الواسعة.

غير أن الطفل في أثناء هذا النشاط، لا يكون في العادة قد استكمل التناسق الحركي أو التوافق العضلي الذي يساعده على تناول الأشياء وفحصها دون إتلافها، ولا يكون كذلك قد أدرك قيم الأشياء على نفس المستوى الذي يدركها عليه الـــكبار المحيطون به. إذا أدركنا هذا علمنا أن واجبنا هو أن نعطي الأطفال الفرص الكافية لكسب هذا النوع من الخبرة دون أن تظهر مشكلة تعارض القيم التي أشرنا إليها.

بعض الظروف التي تعارض ميل الطفل إلى اللعب

يلاحظ أن سكان المدن الكبيرة صارت أغلب بيوتهم وشوارعهم غير صالحة للعب الأطفال، فقد حدث في البيوت - بخاصة في المدن - تطور كبير أساء إلى الأطفال اكثر مما أساء إلى الكبار. فالمنازل - كما عهدناها قديما - كانت متسعة، كبيرة الغرف، كبيرة الأفنية، قليلة الأثاث. وكأن الأطفال يشعرون في هذه المنازل بالحرية والمرح. وكانت تكثر في المنازل الحيوانات والطيور التي يلعب معها الطفل، ويكسب من اتصاله بها خبرات عدة كلها على جانب كبير من الأهمية. وإذا لم يكن بالمنزل فناء فقد كان في أعلى المنزل سطح متسع تربى فيه الحيوانات وتكثر فيه أدوات اللعب.

وكأن في كل ذلك فرصاً لتوجيه النزعات الغريزية المختلفة توجيها سليما بعيدا عن مواقف التحرج التي يخشاها الأباء عادة، وخاصة فيما يتعلق بالثقافة الجنسية. أما في الوقت الحاضر فقد حلت العمارات في المدن الكبيرة محل البيوت المعروفة. وصار المسكن الحديث عبارة عن أربع غرف تقريبا، وكل غرفة منها مزدحمة بالأثاث القابل للكسر، وغير القابل للمس أو النقل.

وتوجد فوق ذلك عشرات الأدوات البراقة الجذابة التي يسهل كسرها ولا يجوز للطفل لمسها، وليس للطفل عادة مكان للعب أو الحركة، فإن دخل غرفة ما فهو مقيد مراقب، وإذا تسلق كرسيا ضرب، وإذا امسك بزهرية منع. وهكذا

صار الطفل غريبا في منزله، وصار ثقيلا على أمه وابيه وزيادة على ما تقدم فالطفل لا يمكنه أن ينزل إلى الشارع لأنه صاخب بالحركة ملئ بالخطر، ولا يمكنه أن يذهب إلى أعلى العمارة لأنه ملئ بالخدم ولا يؤمن عليه معهم.

فيجب على الأقل أن تخصص كل أسرة غرفة للطفل، أو على الأقل ركنا للأطفال يفعلون فيه ما يشاؤن من لعب وحركة وتجريب وتخريب وتمثيل.. وغير ذلك أن يتعود الأطفال أن يستعملوا لهذه الأغراض غرفتهم دون أي جزء آخر من المنزل، ويزود الأطفال في غرفتهم هذه بما يناسب سنهم من أدوات النشاط، فيعطون الجرائد والمجلات القديمة، ليقصوها في شكل زخارف، أولقص صورها ولصقها في شكل مجموعات ويعطون سبورة و(طباشير) وصلصالا، وصندوقا خشبيا مملوءا بالرمل النظيف وبضعة مكعبات وبعض العلب الفارغة، وغير ذلك مما لا يكلف كثيرا ويساعد على خلق مجال كبير لنشاط لذيذ منتج واسع المدى. وإذا انشغل الأطفال بنشاط لذيذ يلائم سنهم وقواهم العقلية والجسمية كانوا اقرب إلى الهدوء منهم إلى القلق والغوغائية، وامكن الأباء إذ ذاك أن يتحملوهم، بل يشاركوهم نشاطهم.

إزاء هذا التغير في طرق المعيشة يتحتم العمل الجدي على إقامة منشآت للأطفال - بل مدن للأطفال، كما يحدث في سويسرا نتيجة للحرب العالمية الثانية- حيث يتمكنون من تصريف نشاطهم تصريفا مفيدا لنموهم وشعورهم بالسعادة. ولهذا قطعت الأمم الأوربية أشواطا بعيدة في تنظيم الحدائق العامة وللأطفال وتزويدها بكل ما يهيئ للنشاط المفيد(١).

وقطع بعضها أشواطا بعيدة كذلك في إنشاء أندية خاصة للأطفال ودور للحضانة.

---

(١) لثبت الأستاذ (بيرت) في كتابه (The Young Delinquent) أن جرائم الأحداث في لندن تزيد حيث تقل مساحات الحدائق العامة التي يسمح للأطفال فيها باللعب، وتكثر حيث تقل مساحات هذه الحدائق .

ومما يجعل إنشاء مثل هذه المؤسسات ضروريا قلة عدد أطفال في الأسرة الواحدة وشعور الأطفال بالحاجة الملحة للعب والتعامل مع أطفال آخرين وكذلك لانشغال الأمم الحديثة بالعمل إما داخل المنزل أو خارجه، وعدم صلاحية المساكن الحديثة لنشاط الأطفال بحال من الأحوال.

عوامل التخريب:

عرفنا مما تقدم الأسباب العادية المباشرة والظروف العامة التي يمكن أن يعزى إليها الإتلاف على وجه العموم، وتفيدنا معرفتها في دراسة الحالات الفردية. ولكن عند دراستنا لطفل مخرب، كثيرا ما نجد أن التخريب ناشئ من زيادة النشاط الجسمي زيادة بارزة، مع عدم توافر المسالك المنظمة لتصريف هذا النشاط. ففي بعض الحـــالات نجد اختلالا في الغدة الدرقية أوفي الغدة النخامية. مثال ذلك حالة كان الولد فيها ناميا جدا وعنده جميع أعراض زيادة النشاط في بعض إفرازات الغدة النخامية. بالإضافة إلى هذا كأن متاخر الذكاء جدا. والواقع أن جسمه ونشاطه كانا في مستوى جسم ونشاط ولد كبير السن لا يقل عمره عن عشرين سنة بينما عقله في مستوى عقل طفل عمره عشر سنوات. فلم يكن له من الذكاء ما يعينه على توجيه نشاطه توجيها يتفق ومظهره. كان مخربا جدا، إذ أتلف كثيرا من أثاث المنزل الفاخر.

وكان كثير التخريب والتكسير للأدوات الدقيقة الموجودة في المنزل. وفي حالة أخرى كان الولد متأخرا في ذكائه، إذ أنه كان في الثانية عشرة من العمر، وذكاؤه كان في مستوى ذكاء ولد عادي عمره أربع سنوات وكان الولد موفور النشاط نحيف الجسم حاد التقاطيع. له عينان براقتان غير مستقرتين في محجريهما، ولما أجري عليه اختبار Basl Metabolism Test وجد ما يدل على ازدياد نشاط غدته الدرقية وكان الولد شديد التخريب إلى حد يصعب تصوره. وسبب ذلك أن لديه نشاطا كبيرا لا يتمكن مع ضعف عقله مـــن حســـن

استغلاله. ومما زاد الحالة سوءا أن الأسرة تعيش في مسكن ضيق مملوء بالأثاث الفاخر في جهة مزدحمة جدا بالمباني المتراصة بعضها بجوار بعض. والجهة خالية من الحدائق العامة التي يصرف فيها الأطفال عادة كثيرا من نشاطهم. وقد لاحظنا أن غالب المتأخرين جدا في الذكاء إذا كانوا نشطين فأنهم يكونون عادة مخربين، ولا سيما إذا كانوا من أسرة متوسطة أو غنية، وإذا كانوا يعيشون معهم في المدينة.

نلاحظ كذلك في بعض الأحيان كثرة حوادث الإتلاف من الخدم، وهم في دور المراهقة، حيث يزداد نشاطهم العـــام بنشاط غددهم الجنسية، ويزداد نموهم. ويتميز دور المراهقة كما قلنا، ببعض الرعونة في الحركة وبعض النقص في التناسق الحركي. وتكثر الحوادث في المراهقين بنوع خاص إذا كانوا اقل ذكاء من العاديين.

فمن الواجبات الأولى عند فحصنا حالات التخريب الشاذة أن ندرس ما يمكن أن يكون هناك من الأسباب الجسمية التي يصح أن يترتب عليها تهيج عام. هذا التهيج أو العصبية أو نفاد الصبر.

أما ما إلى ذلك قد يكون نتيجة مباشرة للحالة الجسمية أو نتيجة غير مباشرة لها. فضعف الحيلة للناشئ عن قصور جسمي قد تنشا عنه نزعات هدميه تخريبية.

وقد يظهر التخريب نتيجة لعوامل انفعالية مكبوتة، كما تظهر الأعراض العصبية المعروفة، كقضم الأظافر، أوالتبول اللا إرادي، أو ما إلى ذلك. فأحيانا نجد واحدا أو اكثر من العوامل الآتية وهي: الغيرة أو كراهية السلطة الضاغطة غير المعقولة، أو الشعور بالنقص أو غير ذلك. وبذلك يصير التخريب مظهرا من مظاهر الانتقام أو إثبات الذات.

ومن أمثلة ذلك حالة البنت في سن السابعة كانت مخربة جدا، فكانت تفتح صنابير الحديقة حتى تغرقها إغــراقا. وكانت أحيانا تقطع الأزهار فـــي الحديقة

-وهي كبيرة - من أولها إلى آخرها. وتتلف الزرع إتلافا واضحا. وقد خدشت ظاهر (البيانو) بقطعة من الصفيح. هذه كلها لا تخرج عن كونها نماذج قليلة لسلوكها. وكانت لها فوق ذلك مشكلات أخرى سبق أن أشرنا إليها.

والبنت تعيش في منزل خالتها التي تزوجت بجدها لأبيها، وليس للجد والخالة أطفال. فتعلقت الخالة بالبنت وأحبتها وأخذتها من أمها. فيحتمل أن يكون التخريب أسلوبا لا شعوريا للانتقام من الخالة بإتلاف ممتلكاتها، ويحتمل أن يكون مظهرا لعصبيتها وتضايقها لفصلها عن إخوانها، ولأنها تعيش في جو غير طبيعي بالنسبة لها، إذ هو خال من الأطفال، بعيد عن والديها. ويحتمل أن يكون السببان مجتمعين هما اللذان يرجع إليهما هذا السلوك.

وكثيرا ما يحدث التخريب بصورة عامة فيتجه لممتلكات الشخص أو ممتلكات غيره بدون أي تفرقة، أو يحدث بعد تحويل الانفعال المصاحب له أن تجد تلميذا يخرب ممتلكات إخوانه في البيت بعد عودته من المدرسة التي كانت تضيق عليه طول النهار. وكثيرا ما نجد تلاميذ يخربون في المدرسة مثلا، وبالبحث نجد أنهم تعساء في المنزل إما لعدم التوافق بين الوالدين أو لعدم وجود الأم بسبب الوفاة أو الطلاق، أو لسوء المعاملة التي يلقاها في المنزل، أو ما يشبه ذلك.

ولتوضيح ما تقدم نلخص إحدى حالات الدكتور (توم)[١] ، وهي لبنت كانت في العاشرة من عمرها. حالتها الصحية جيدة ومستوى ذكائها وتحصيلها فوق المتوسط، وسلوكها في المدرسة حميد. وقد أرسلت له بسبب ميلها الشديد إلى التخريب والعناد، ففي أثناء الشتاء تفتح صنابير المياه الباردة في خزان المياه الساخنة، أو تفرغ الخزان مما به من مياه ساخنة، كما أنها أتلفت (البيانو)، وكسرت ألواحا (أسطوانات) موسيقية ثمينة ثم أخفتها، وكانت تعبث بكل ما في

D. Thom : Everyday Problems of the Everyday Child (١)

المنزل من أثاث، وتعبث بالمنزل نفسه فتتلف حيطانه وأنابيب مياهه.. إلى غير ذلك. وبدراستها وجد أنها البنت الـكبرى لخمسة اخوة ولم يظهر سلوكها بهذه الصورة إلا بعد وفاة أمها.

والوالد رجل مشغول جدا في عمله، وقد حاول بكل ما في وسعه أن يهيئ أسباب الراحة لأولاده بعد وفاة زوجته ولمن يلاحظ أن الزوجة كانت قد بذلت جهدا كبيرا حتى تمكن الوالد من توفير المال اللازم لبناء البيت وتأثيثه فكانت تعمل بنفسها حتى تستغني عن الخدم، وكانت تحرم نفسها من الغذاء والملبس، ومن شراء الدواء حتى تدخر شيئا من المال لبناء البيت. وبعد أن بني البيت كانت قد مرضت واشتد عليها المرض، وبعد أن أنتهى الوالدان من تأثيثه ماتت الأم.

وكانت الأم تبالغ في تضحيتها لدرجة جعلت الأولاد يشعرون بجسامة هذه التضحية، وصار البيت بعد وفاة الأم مرتبطا في ذهن البنت بفقد والدتها. فكأن البنت بسلوكها كانت تنتقم من البيت الذي تكرهه كراهية مكبوتة، ويدعم ذلك الاستنتاج اقتصار سوء سلوكها على المنزل دون المدرسة.

كانت هذه إحدى الحالات التي بذل فيها المعالج جهدا كبيرا، ولكنه لم ينجح لعدم تمكن الوالد من تنفيذ جميع التعليمات التي أعطيت له.

ونعتقد أن نجاح الحالة كان ممكنا لو أن الدكتور (توم) لجأ إلى طريقة التحليل النفسي، وهي طريقة لا تتفق مع مبادئ المـدرسة التـي ينتمي هو إليها.

ومن حالات محكمة الأحداث التي قمت بدراستها بضع حالات من هذا النوع نجد فيها مثلا أن الأم قد ماتت أو مرضت فتزوج الأب بغيرها، فيقوم الحدث بمحاولة إحراق المنزل، أو بإتلاف بعض الأشياء لا سيما ما تملكه زوجة الأب. وهذا النوع من السلوك كان يصدر غالبا من الفتيات في حالة الدكتور (توم) السابقة الذكر. ولعل الانفعال الأساسي غيرة مكبوتة.

التدمير وعقاب الذات

رأينا فيما تقدم أن التخريب يمكن أن يكون عرضيا في أثناء لعب الأطفال وحركتهم وكشفهم للعالم المادي وكسبهم للمهارات الحركية المختلفة، ويمكن كذلك أن يكون مقصودا للتخريب أو للانتقام. وتكون دوافعه احيانا شعورية وأحيانا لا شعورية. ويلخص بعض علمــاء النفس هذه الاتجاهات في أن التخريب يكون للمخاطرة والبحث عن الخبرة، ويحدث أحيانا أن يكون التخريب بدافع لا شعوري نحو الانتقام، وفي هذه الحالة يترتب عليه شعور باللذة والارتياح.

وهناك اتجاه ثالث لم نشر إليه وهو التدمير الذي يتجه للذات أو لممتلكاتها أو ما يشبه ذلك. فلاحظ أن بعض الناس يقطعون كراساتهم، ويتلفون ملابسهم، كأنهم يفعلون ذلك عمدا، ويصل بعضهم في عض اصابعهم لدرجة الإدماء، وبعضهم يأكلون المواد الحريفة بكثرة كأنما يعذبون أنفسهم. فهناك ميل عند بعض الأشخاص إلى تعذيب الذات أو عقابها يبدو في مظاهر متعددة منها ما ذكرناه، ومنها تبديد الممتلــكات وتبديد النقود والإسراف الشديد. ومنها ركوب المخاطرات بصورة لا يمكن أن ينجو الواحد منها إلا عن طريق الصـــدفة، كالإسراع الشديد في قيادة العربات والدراجات، وفي عبـــور الشوارع وما إلى ذلك، ومنها تعذيب الجسم ومجاهدة النفس، ومنها الانتحار نفسه أحيانا.

هذا الميل إلى تعذيب الذات يكون- كما قلنا- من بين أعراضه إتلاف الممتلكات. ومنشؤه إما شعور مكبوت بالخطيئة أو كراهية للذات.

وتنشأ الكراهية للذات عادة من كراهية السلطة. وهذه الـــكراهية للسلطة لا يمكن عادة مواجهتها والتعبير عنها، فيعكسها الشخص على نفسه فيكرهه نفسه ويقضي عليها أما قضاء جزئيا أو قضاء تاما.

لهذا نرى أن التخريب يـــكون أحيانا من مظاهر النزعات الاعتـــدائية

الموجهة ضد الغير أو ضد الذات ويكون خارجا عن إرادة الشخص خروجا يكاد أحيانا يكون تاما.

ونلخص كل ما تقدم في أن التخريب في حالاته العرضية والمقصودة قد يكون لكسب المهارة وكسب الخبرة المصحوبين بسوء تقدير القيم وبانعدام التوافق الحركي، وقد يكون لكسب اللذة، وقد يكون للبحث عن الألم.

وهذا البحث عن الألم لا شعوري خارج عن تحـــكم الإرادة. ويلاحظ أن العنصر اللاشعوري ليس هو الألم نفسه، وإنما هو الرغبة في إيلام الذات.

ونرى بذلك أيضا أن كثيرا مما قيل في التدمير يمكن أن يضم إلى الفصل السابق الذي يبحث في النزعة للاعتداء.

الغيرة

معنى الغيرة

سبق أن اشرنا إلى الغيرة كاحد العوامل الهامة في كثير من المشكلات، فذكرناها عند الـــكلام عن التخريب ونوبات الغضب والنزعات الاعتدائية والتبول اللاإرادي وضعف الثقة بالنفس... وغير ذلك. والغيرة كما نعلم ليست سلوكا ظاهريا، وإنما هي حالة انفعالية يشعر بها الفرد، ولها مظاهر خارجية يمكن الاستدلال منها أحيانا على الشعور الداخلي، وفي غالب الأحيان لا يكون هـــذا سهلا، لأن الشخص في العادة يحاول أن يخفي الغيرة بإخفاء مظاهرها قدر جهده.

ولعل كل واحد قد شعر في وقت ما بالغيرة شعورا خفيفا أو حادا. وهناك أناس يتعرضون لهذا الشعور اكثر من غيرهم. وهو شعور مؤلم ينتج عادة من خيبة الشخص في الحصول على امر محبوب - كشخص أو مركز أو قوة أو مال - ونجاح شخص اخر في الحصول عليه. لهذا نجد أن انفعال الغيرة مركب

من حب تملك، وشعور بالغضب لأن عائقا ما وقف دون تحقيق غاية هامة. ولا يعترف الفرد عادة بالغيرة، وسبب هذا ما تتضمنه من الشعور بالنقص الناتج من الاخفاق. بل كثيرا ما تكبت الغيرة لأن النفس الشعورية لا تقبل ألم الخيبة ولا شعور النقص.

اذا طبقنا ما تقدم على الغيرة على ما كغيرة زميل من آخر تفوق عليه، نجد أن من يشعر بالغيرة بعدم حيازته، أو بعدم قدرته على حيازة المركز الذي ناله زميله، ويكون مع شعوره بالخيبة والضعة شاعرا بالغيظ من نفسه، أو من زميله، أو منهما معا. ويكون عنده شوق -وإن كان خفيا- للحصول على ما نال الزميل، ويقوم صاحب الغيرة عادة باتهام الزميل أو اتهام الظروف أو اتهام سوء الطالع... وما إلى ذلك.

والغيرة نشعر بها عادة دفعة واحدة، فهي انفعال مركب له خصائصه، وهو ليس مجموعا حسابيا للانفعالات الثلاثة التي ذكرناها، مثل الغيرة في ذلك مثل المثلث الذي لا يمــكن أن يوصف بأنه مجموع ثلاثة مستقيمات، ومجموع زاويتين قائمتين وإنما هو مثلث به صفة المثلثية، وهي صفة ليست موجودة في المستقيمات، ولا في الزوايا، ولا في رؤس المثلث.

كذلك انفعال الغيرة لا يعتبر أنه غضب مضاف اليه حب تملك ومضاف إلى هذين شعور بالنقص، وإنما هو اكثر من ذلك. هذا مع إمكان ذكر بعض عناصره كما في حالة المثلث.

ونظرا لتعقد الغيرة نجد أن مظاهرها متعددة يختلف بعضها عن بعض اختلافات بينة، ولكنها مع اختلافها هذا قد يفصح كل منها عن مركب من مركبات الغيرة. فمن الغيرة الغضب بمظاهره المختلفة من ضرب، أو سب، أو هجاء، أو تشهير، أو نقد، أو مضايقة، أو تخريب، أو ثورة، أو عصيان، أو ما يشبــه ذلك. ومن مظاهرها كذلك الميل للصمت، أو التهجم، أو الابتعاد، أو

الانزواء، أو الاضراب عن الأكل، أو فقد الشهية، أو التسليم، أو النكوص أو الشعور بالخجل، أو شدة الحساسية، إلى غير ذلك من مظاهر الشعور بالنقص. وقد تبدو الغيرة في محاولة الطفل الحصول على ما فقده بمختلف اساليب التحايل. ومن هذا النوع أن يقوم الأولاد احيانا بتقبيل المولود وملاطفته حتى يحتفظ الأكبر بمركزه عند أمه.

وبعض الأولاد يتخلقون بأحسن الخلق حتى يرضوا الكبار الذين بدؤوا ينصرفون عنهم أو يميلون لغيرهم. وقد يكون السلوك تعويضا للشعور بالنقص، وذلك بمحاولة الظهور بمختلف الأساليب.

وكثيرا ما يكون للغيرة مظاهر جسمانية، كنقص الوزن والصداع والشعور بالتعب. وهذا التنوع الكبير في اساليب الغيرة من سلوك سلبي إلى ايجابي، ومن سلوك رديء إلى سلوك طيب، يجعل كشف الغيرة امراً صعبا.

ومما يزيد في صعوبه كشف الغيرة كتمها أو تحويلها. فمظاهر الغيرة بدل أن تتجه نحو المولود، قد تتجه نحو أي شئ آخر في المنزل. ومن الحالات التي ذكرها الدكتور (توم) في كتابه الذي اشرنا اليه أن بنتا مرضت لها اخت فانصرفت الأم عن بقية من في المنزل إلى الاخت، فقامت البنت بعمليات تخريب عنيفة موجهة نحو حديقة المنزل واثاثه دون أن يشعر بها احد.

الغيرة والثقة

ويلاحظ أن كل حالة غيرة تتضمن درجة من ضعف ثقة المرء من حيث مركزه في البيئة. ويعبر عن هذا بطريقة اخرى وهي ضعف ثقة المرء بالبيئة.

لنأخذ غيرة الأزواج كمثال، فإن كان أحد الزوجين على ثقة تامة بالآخر، فأن احتمال ظهور الغيرة يكون قليلا. وكذلك الأمر اذا كان المرء شديد الثقة في نفسه. ونجد أن الموقف الواحد يؤدي مع بعض الازواج إلى غيرة شديدة ومع بعضهم الأخر إلى غيرة خفيفة، أو إلى لا شئ، فكأن نوعا من الخوف الاجتماعي

أو من ضعف الثقة بين الطفل ومن حوله يكون عاملا مساعدا على ظهور الغيرة في الموقف المناسب. وهذا بعينه ينطبق على جميع أنواع العلاقات بين الاطفال والكبار مثلا، أو بين الرؤساء ومرؤسيهم، أو بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، أو بين الأفراد والحكومات.. أو غير ذلك. فالنقص الناشئ من موقف الغير نحو الشخص وضعف الثقة بالنفس ــ الذي يمــكن ارجاعه آخر الأمر عادة لما لنقص ذاتي أو لخيبة متكررة أو لموقف الغير نحو الشخص ــ يجعله في العادة متهيئا للشعور بالغيرة عند اجتماع الظروف الكافية لذلك.

وأقسى أنواع الغيرة هو ما ينشأ عن شعور بالنقص مصحوب بشعور بعدم إمكان التغلب عليه، كنقص في الجمال أو نقص في القدرة الجسمية أو الحسية أو العقلية. لهــذا نجد أن المعرضين للغيرة معرضون للشعور بالنقص، كما أن المعرضين للشعور بالنقص معرضون ايضا للشعور الشديد بالغيرة. وتكون كل من الغيرة والشعور بالنقص حلقة متصلة الاجزاء يؤثر كل جزء منها في الآخر.

كيف تنشأ الغيرة؟

لعل أهم أسباب الغيرة أن يشعر الشخص بحقه في امتياز معين (اجتماعي في العادة)، أو أن يحصل عليه بالفعل، ثم يفقده كله، أو يفقد جزءا منه، ليحصل عليــه شخص آخر. فالذي يشعر بأنه يستحق شهرة معينــة، ولا يحصل هو عليهــا؛ وانما يتمتع بهــا شخص آخر، يشعر بالغيرة والاستعداد للغيرة في الكبار ينشأ في سني الطفولة الأولى. وتظهر الغيرة في حياة صغار الأطفال في سنواتهم الخمس الأولى عن طريق المصادفة، أو عن طريق التنشيط المقصود من الكبار المهيمنين عليهم.

ويلاحظ أن الطفل في أول حياته تجاب له عادة كل طلباته، ويسترعي في العادة انتباه الجميع، ويسلم بعد مدة قصيرة، بأن كل شئ له، وكل جهد له،

وكل انتباه له، ولكن الذي يحدث هو أن العناية التي كانت تستغرق كل جهد الـكبار قد تنحسر عنه فجأة أو بالتدريج كلما نما. وقد تتجه هذه العناية إلى مولود آخر أو إلى شخص اخر في الاسرة. هذا التغير قد يترتب عليه فقد الطفل ثقته في بيئته ولا سيما في امه، وفقده الثقة في نفسه تبعا لذلك، اذ يشعر بأنه غير مرغوب فيه. وبذلك يبدا شعوره بالقلق، وشعوره بالـكراهية لبيئته، والميل للانتقام منها أو الابتعاد عنها، أو شعوره بالنزوع إلى سلوك يترتب عليه جلب العناية اليه مرة اخرى، كالبكاء، أو التبول اللاإرادي، أو المرض.

وكلما كبرت الامتيازات التي تعطى لطفل ما، زادت الغيرة عند إنقاصها منه واعطائها لطفل آخر. ولذلك كأن الطفل الذي يتمتع بامتياز معين، هو اكثر الناس استعدادا للشعور بالغيرة، وذلك كالطفل الأول أو الاخير أو الوحيد، أو الذكر الأول أو من يشبه ذلك من الاطفال الذين يحتلون مركزا يعطيهم فرصة التمتع بامتياز واضح.

كذلك يغار الطفل أحيانا اذا وجهت الأم إلى والده عناية فائقة. وذلك لأن الطفل في سنواته الأولى كان يتمتع – كما يبدو له – بعناية أمه كلها، ثم يلحظ أن الوالد يأخذ كثيرا من هذه العناية، فتبدو عليه علامات الغيرة، واضحة أو غير واضحة. ويحدث أحيانا أن يتغيب الوالد عن المنزل مدة طويلة، وبمجرد عودته تنصرف الأم اليه انصرافا فيغار الطفل. والغيرة من الأب سببها أنه ينازع الطفل المركز الذي يرغب فيه لنفسه عند الأم. والسبب في أن غيرة الأخ من اخيه اكثر ظهورا من غيرته من ابيه يرجع إلى الكبت الناشئ عن التقاليد الاجتماعية، والصراع بين حب الوالد (الذي يطعم ويكسو) من ناحية، والغيرة من ناحية اخرى. ويمكن أن تدخل الغيرة من الوالد تحت النوع الناتج عن الشعور بالنقص المصحوب بشعوره بعدم إمكان التغلب عليه.

وتدل دراسة الحالات على أن كثيرا من الـحالات الشاذة الـتي تتصف

بالقلق والاضطراب الجنسي والتعرض للغيرة الحادة يرجع ما بها من اضطراب إلى الغيرة ممـــا يلمسونه من المواقف الجنسية بين الوالدين. وهذا يحدث بنوع خاص عند الاطفال الذين ينامون مع امهاتهم، والذين يلحظون أحيانا ما يحدث بين الوالدين من مغازلة أو اتصال جنسي يعتقد الوالدان أنهما غير ملحوظين فيه، لأن الأطفال عادة يتغافلون أو يتناومون في هذه المناسبات.

وتحدث الغيرة كذلك من الموازنة الصريحة أو الضمنية، ونقصد بالضمنية أن الجو نفسه يوحي بالموازنة، وبتفضيل واحد على الآخر.

فهذه الموازنات –سواء في المنزل أو في المدرسة – تؤدي إلى الاشعار بالنقص، واضعاف الثقة بالنفس لدرجة تجعل الشخص عرضة لهذا الشعور. وتقوم الموازنات عادة حول جمال الخلقة أو القدرة العقلية أو القدرة الاجتماعية، أو ما إلى ذلك مما قد لا يجد الطفل لنفسه حيلة في التغلب عليه.

بعض الحالات:

حالة طفل وحيد – سبق أن اشرنا اليها – كان واقفا بجانب امه وزارهم بعض الضيوف، فحملت الأم ابنتهم لتقبلها، فما كان منه الا أن صرخ، وشد ملابسها، فحملته فتبول عليها في الحال. والتبول هنا يحتمل أن يكون انتقاما للغيرة تم غالبا بحيلة لا شعورية.

وحالة اخرى لبنت في السادسة والنصف، بقيت وحيدة مدة خمس سنوات، ثم ولد لأبويها طفل ذكر. والأب رجل هادئ يدلل البنت تدليلا شديدا، واما الأم فأنها سيدة ضعيفة لا سلطة لها على أولادها، وهي تترك غالب العناية بأولادها للوالد، وحالتها العصبية سيئة. تتصف البنت بحساسية شديدة، وتشتت في الانتباه، وتأخر في الدراسة على الرغم من ارتفاع ذكائها وهي تحلم بالليل احلاما مزعجة بصوت مرتفع، يدور غالب احلامها حول اخيها، ويصفونها بالغيرة والحقد في المدرسة والمنزل.ومن المحتمل جدا أن يـــكون لساس مشكلة

البنت غيرتها من اخيها.

وحالة أخرى لطالب في الدراسة العليا عمره اربع وعشرون سنة لا ينجح في كل عام الا في امتحان الدور الثاني، شعر في احدى المرات بتوعك قبل الامتحان، فقرر الا يدخله. يلاحظ أن المرض هنا ربما كان حيلة دفاعية من حيل اللاشعور وظيفتها حمايته من دخول الامتحان. وقد نجح جميع من دخلوا الامتحان اذ ذاك فتألم الطالب جدا، ولم يقو على مقابلة من تقدموا عليه، وظهر عليه بعد ذلك عدم الاهتمام بالدراسة، ولم يذهب إلى كليته، وصار شغله الشاغل أن يردد (وما قيمة التعليم؟)، (أن زملائي اصبحوا احسن مني؟) وصار شديد التبرم والحنق، شديد الاحتقار للناس اجمعين، يعلن أن معاشرة الناس لا قيمة لها لسوء خلقهم، وانحطاط عقلياتهم. وخير له أن يبتعد عمن يعرفهم، ويعيش بمفرده بعيدا عن هذا العالم. ويلاحظ من هذا أنه يسقط شعوره بالخيبة على الناس، أما هو فأنه ارقى الناس جميعا، واحسن منهم عقلا وخلقا، وهم لا يستحقون معاشرته اياهم. وحتى التعليم نفسه لا قيمة له. فهو لا ينسب انعدام القيمة لنفسه، وأنما ينسبه للتعليم، وهذا ايضا اسقاط. ثم صار كثير التدين، يكثر من الذهاب إلى مسجد سيدنا الحسين، ويطلب أن تقرا عليه الأوراد المختلفة، ولعل في تدينه بحثا عن الشعور بالطمأنينة الذي لا يشعر به في حياته الواقعية وفي علاقته بعالم الناس والعمل. وهذا الطالب هو الابن الوحيد لوالديه، ويجب دائما أن يكون قريبا من أمه، إلى حد أنه يقضي وقته دائما معها، ولا يتركها الا قليلا. واذا جاءهم ضيوف فهو لا يجالسهم، وانما يلازم امه الا اذا اضطرت لمقابلة الضيوف، وفي هذه الحالة ينتظرها على مضض إلى أن تفرغ منهم.

وبعد حادثة الملحق التي اشرنا اليها ترك (البنسيون) الذي كان يسكنه في القاهرة، واستاجر (شقة) واستحضر معه امه واباه ليعيشا معه في القاهرة. وبذلك تركا مصالحهما وتكبدا نفقات اضافية باهظة، ومع كل ذلك لم يقو على الذهاب

إلى كليته. وفي مرة جلس معه ابوه يرجوه، ويتوسل اليه أن يذهب إلى الـــكلية، والولد رفض لأنه لا يقوى على مواجهة من نجحوا وكانوا معه، واخيرا بكى الولد وترك المنزل، وبـــكى الوالد وظل يبـــكي زمنا طويلا.

يعتقد أن (عين السوء) قد اصابت نجلهما. معنى ذلك أن ابنهما كامل من كل ناحية و (عين السوء) هي المسؤولية عما هو فيه، مما يترتب عليه أن الولد ينسج حول نفسه فكرة عظيمة جدا، ويتهم كل من حوله بسوء النية وسوء الخلق. وبلغ من شدة اعتقادهما في الخرافات أن وقعا في شباك محتال يدعي أنه يحول النحاس إلى ذهب، وباعا في هذا السبيل اربعة افدنة من عقارهما الذي لا يتجاوز اربعة وعشرين فدانا في مجموعه.

وهناك حالة اخرى شبيهة بالحالة السابقة كان الولد فيها شبيها بالوحيد، اذ أنه كان الذكر الأول، وبعده عدة بنات وعدة وفيات ثم ولد. وكان الوالد يشتغل بحرفة تدر مالا كثيرا، الا أن المجتمع لا ينظر اليها نظرته إلى حرفة راقية، وكانت الأم تشعر لهذا بالنقص. ثم ارادت تربي ابنها في المدارس العادية وكانت مشغوفة بأن يعوض لها في نظرها النقص الذي تراه في زوجها. صحب هذا احتقارها واحتقار الولد بعد نموه للوالد.

نشا الولد مدللا معظما محترما، وكان اذا رسب في امتحان بالمدرسة تعتقد الأم أن المدرسين يقصدون رسوبه، وكانت تعلن هذا وتعلن امثاله من التصريحات حول زملائه في اللعب، وزملائه في المدرسة، وبذلك نشا الولد وعنده فكرة عظيمة جدا عن نفسه. ولم يقطع في تعليمه الا سنتين من التعليم الثانوي، واشترك بعد ذلك اشتراكا مشرفا في عمل من الأعمال الوطنية. وعزا كل خيبته بعد ذلك إلى تضحيته في سبيل الوطن. وبذلك زادت فكرته عن نفسه عظمه على الرغم من خيبته في الدراسة التي لم يحاول اعادة مواصلتها. بعد ذلك شغل وظيفة حكومية ولكنه كان يقضي كل وقته في محاربة المؤامرات التي

يتوهم أن غالب زملائه يدبرونها ضده. وبقى طول حياته متألما اشد الالم؛ وخاصة كلما رأى غيره – ممن هم في نظره اقل منه – يتفوق.

الغيرة عند الطفل الوحيد

يتبين مما سبق أن الطفل الوحيد ينشا بين ابويه وليس معه اطفال آخرون يغتصبون امتيازاته، وينمو محاطا بـكل أنواع الرعاية، فينشأ بفـكرة أنه مركز كل انتباه، وينشا أنانيا اذ لم يتعود من الحياة أخذا وعطاء، وحقا وواجبا. فالحياة كما نشأ فيها أول الأمر كلها اخذ، وليس فيها عطاء، وكلها حقوق وليس فيها واجبات. فاذا خرج الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد عن دائرة والديه للعب مع الاخرين، فأنه يصدم، لأن الاطفال لا يدعونه يأخذ ولا يعطي، ويعتدي ولا يعتدى عليه. فيحدث مثلا أن يضرب أو تخطف لعبته عادة فيلجأ إلى امه باكيا وهذه تضمه اليها، وتسب الأولاد الاخرين، وتفهمه أنه رقيق الطبع، وحسن الخلق، وأنه من طينة راقية غير طينتهم. واما الآخرون فأنهم على درجة كبيرة من السراشة، وسوء التربية، وخير له الا يلعب معهم، وأن يمكث إلى جانبها.

بالطريقة نفسها يخرج الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد إلى المدرسة فيجد أن المعلمة لا تفرده بالتدليل، بل أنها تعامل الجميع معاملة واحدة تقريبا. واذا غلبه زملاؤه في لعب أو درس أو غير ذلك، فهو كما علمته امه له حسناته ونواحي رقته التي لا يعلمها احد غيره هو وامه.

وهذا يـكبر، ويخرج إلى الحياة ويجد أن مجال التمتع بامتيازاته معدوم، يقابل الخيبة بزيادة اعتقاده في عظمة ذاته، وزيادة اعتقاده في سوء حظه في الحيـاة ومؤامرات النـاس حوله، واثر عين السوء وما يشبه ذلك وهكذا تصـاحبه تلك الحال طوال حياته، وتخلق له من المشـكلات ما يظهر اثره في ميدان الحياة الزوجية ومع أولاده وفي مهنته.

وهذه الحالات كلها يصحبها الانفعال المركب المسمى بالغيرة، وهو – كما قلنا – مكبوت في غالب الأحيان، ولذا لا يسهل دائما تشخيصه.

وسلوك الطفل الاخير من هذه الناحية يشبه كثير سلوك الطفل الوحيد، أو الشبيه بالوحيد. ويلاحظ عند خروجه للمدرسة أو للحياة اقسى واشد من أي نوع من أنواع الغيرة التي تحدث داخل الاسرة.

الغيرة من المولود

يحسن بالوالدين تنظيم الحمل والولادة بحيث تـكون الفترات الـواقعة بين طفل وآخر لا هي بالقصيرة ولا بالطويلة، أي أنها لا تكون قصـيرة بحيث تحرم الطفل الموجود فعلا من النمو الـكافي، ولا تكون طويلة بـحيث يتمتع الطفل الموجود بامتيازات يصعب عليه التنازل عنهـا فيما بعد. ونعتقد أن فترة طولهـا من سنتين إلى ثلاث أو اربع سنوات وهي فترات معقـولة.

ويجب عند الحمل اعداد ذهن الطفل الموجود لما يتوقع حـدوثه، فقبل الولادة بمدة كبيرة، يجب أن يقل التصاقه بالأم. ويجب اعداد ذهنه لذلك بأن تفهمه الأم بأنه سيكون له اخ صغير يلعب معه، ويرعاه. وكثير من الاطفال يلاحظون ظاهرة الحمل، وقد ينزعجون للتغير الظاهر غير المفهوم.

ويظن الأباء اذ ذاك أن الغيرة بدأت قبل حادث الولادة، وبعض الاطفال يسألون الأم عن سبب هـذا التغيير الظاهر، فيجب على الأم أن تجيبه بهدوء بأنه يوجد بداخلها طفل صغير سيكبر ثم يولد بعد أن ينمو نموا كافيا.

ويكتفي الاطفال عادة بما يقال لهم اذا كان معقولا صريحا يلائم عقولهم. ويصح أن تكمل هذه المحادثات بمحادثات اخرى ومشاهدات عن التوالد عندالطير والحيوان، وتكون هذه المحـادثات جـزءا اساسيا من التربية الجنسية اللازمة

لصحة الفرد النفسية[1].

وبعد أن يولد الطفل لا يجوز إهمال الـــكبير واعطاء الصغير عناية لكثر مما يلزمه، فيجب الا يعطى المولود الا بقدر حاجته، وهو لا يحتـــاج إلى كثير. وللذي يضايق الطفل الاكبر عادة كثرة حمل المولود وكثرة الالتصاق الجسمي الذي يضر بالمولود اكثر مما يفيده.

فواجبنا لذن تهيئة عقل الطفل إلى حادث الولادة وكذلك يجب فطامه فطاما وجدانيا تدريجيا قدر الإمكان. فلا يحرم حرمانا فجائيا من الامتياز الذي سيغدق مثله على اخيه.

الغيرة بسبب الموازنة:

نعلم بطبيعة الحال أن الاطفال باستعدادات مختلفة من حيث الذكاء أو النواحي المزاجية. ينشؤون مختلفين اختلافات تكون أحيانا شاسعة. ويوازن الطفل نفســـه عادة بغيره من اخوته من حيث الجنس (ذكر أو أنثى) أو من حيث السن (كما بين الصغير والـــكبير، فالأصغر يغار أحيانا من الاكبر لمجرد أنه اكبر منه) أو من حيث المقدرة، أو من حيث الجمـــال الطبيعي، أو غير ذلك. ولـــكن الخطأ هو في اهتمام الأباء والمدرسين، وأصدقاء الأسرة والمجتمع عامة بإبراز هـــذه الفروق واشعار الأطفال بأنها مهمة في نظر غيرهم. ومختلف درجات ابراز هذه الفروق اختلافات كبيرة، وتختلف تبعا لهـــا النتائج المترتبة عليهـــا من غيرة، وحقد، وغرور وغير ذلك.

فيجب على الأباء أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة، وعن خلق الجو الذي يشعر بالموازنة ويجب اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لهـــا مزاياها واستعداداتها الخـــاصة بهـــا، فاذا نجح طفل في عمل ما فيكفي أن يشجع عرضا، ولا يوازن بغيره. وكل طفل – مهما خاب – له ناحية طيبة يمكن كشفها

---

(١) انظر كتاب ((لصحـــة الحياة في جمع الأحيـــاء)) للدكتور القوصي والدكتور طنطاوي .

وابرازها، والاعتزاز بها. وبذلك يمـكن أن يزول الشعور بالخيبة المؤدي إلى الشعور بالذلة والنقص.

ومنعا للموازنات بين الاخ واخيه أو التلميذ وزميله، يمكن الموازنة بين الطفل ونفسه في أوقات مختلفة. فإن تقدم في وقت ما عما كان عليه في وقت سابق، فهذا كاف لتشجيعه، ولذا كانت المدرسة أو الاسرة تعنى بالهوايات، فيحسن أن يـكون لدى الأولاد هوايات مختلفة كالموسيقى والتصوير، وجمع الطوابع، وجمع عجـائب الطبيعة من الحفريات، وأنواع البيض، وغير ذلك. وبذلك يتفوق كل في ناحيته، ويوازن نفسه بنفسه.

وإن اختار الأطفال هوايات متشابهة، فيجب الامتناع عن الموازنة التي تقلل من قيمة بعضهم، ممـا يجعلهم يـكفون عن نشاطهم، ويفقدون اهتمامهم به.

وتخطئ بعض الأسر بأن تعامل الابن معاملة تختلف اختلافا تاما عن معاملة البنت، مما يخلق الغرور في الأبناء، ويثير حفيظة البنات، وينمي عندهن غيرة تكبت وتظهر اعراضها في صور اخرى في مستقبل حياتهن، كـكراهية الرجال عامة وعدم الثقة بهم وغير ذلك من المظاهر، ومما يجعل الولد ايضا معرضا للغيرة عند خروجه للحياة.

وبعض الاسر يخطئ في اغداق امتيازات كبيرة على الطفل العليل كما حدث بالفعل في حالة معينة من احضار علب (الشيكولاته)، والملابس الحريرة، واللعب واعطاء النقود، وغير ذلك مما لا علاقة له بعلاج المرض نفسه. وهذا يثير الغيرة في الاخوة الاصحاء.

وتبدو مظاهرها في تمني المرض، وكراهية الطفل المريض، أو غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة أو المستترة.

ويستنتج من هذا أنه لا يجوز اعطاء الطفل أي امتياز اكثر من العناية التي يتطلبها المرض، وإن كان المرض شديد الوطأة طويل المدة يتطلب

امتيازات كثيرة بارزة، فيجب أن يحرر الطفل تدريجيا من هذه العناية مع خروجه التدريجي من حالة المرض. وعلى هذا يجب الا يعطى الطفل في أي وقت من الأوقات امتيازا يصعب عليه التنازل عنه فيما بعد، أو يشعر معه غيره من اخوته بالظلم والتحيز البالغ.

خلاصة ما تقدم مهما كانت الفروق العرضية أو الدائمة بين الاخوة أو الزملاء، فلا يجوز استثارة الموازنات المؤدية إلى الغيرة.

وهذا لا يمنع بالطبع من اجراء مباريات بين تلاميذ المدارس من آن لآخر مما يحفزهم لبذل الجهد، ويخلق الفرصة أحيانا لتعويد التلميذ تقبل الخيبة المؤقتة بصدر رحب.

سادسا: التأخر الدراسي

كثيرا ما تتقدم الشكوى من الأباء أو المدرسين عن بعض تلاميذ المدارس لتأخرهم في الدراسة. ويحدث في بعض الحالات أن نكشف مبالغة من جانب الأباء، فبعضهم يشكو من أن درجات ابنه في السنة الأولى الثانوية[١] ضعيفة، وبالبحث نجد أن عمر الولد احدى عشرة سنة فقط.

وتكون حجة الوالد اذا عارضت فكرته، أن هناك اولادا ينالون الشهادة الابتدائية [٢] في عمر اقل من عشر سنوات. وينسى الوالد في ذلك امرين: اولهما أن الأباء يدفعون أحيانا بأبنائهم دفعا في المدرسة ويكون هذا الدفع غالبا على حساب صحتهم، واضعاف حيويتهم، وخروجهم في مستقبل حياتهم بأفق ضيق. له في غالب الحالات رد فعل سيء على دراستهم نفسها في مرحلة التعليم الثانوي أو العالي. وكثير منهم يقفون في الطريق ولا يتمون تعليمهم. والأمر الثاني الذي ينساه الوالدان أن هناك فروقا شاسعة في استعدادات الافراد، اذ أنه

---

(١) وكان النظام اذ ذاك ٣ سنوات للروضة (من سن ٥ إلى ٨) ثم ٤ للابتدائي، ثم ٥ للثانوي.

(٢) بحسب النظام القديم.

ثبت أن ذكاء الاطفال قد يختلف اختلافات شاسعة من طفل إلى اخر. ويمكن باستعمال مقاييس الذكاء تحديد مستوى الذكاء الذي يسمى بالعمـــر العقـــلي[١].

ونظرا لقلة شيوع استعمال مقاييس الذكاء، فإن الآباء والمدرسين في مصر مثلا يحكمون عادة على تأخر التلميذ في دراسته اذا كان عمر الولد اكبر بكثير مما ينتظر لمثله من نفس مستواه الدراسي، فإذا تكرر رسوب تلميذ عمره فوق السادسة عشرة في السنة الرابعة الابتدائية فأنه يعتبر متأخرا دراسيا، ولـــكن يحدث أحيانا أن يتمكن الأب من النظر إلى المسالة من ناحية اخرى، وهى درجة ملاءمة المستوى الدراسي لاستعداد الطفل، اذ يجوز أن يـــكون عمر التلميذ ستة عشر عاما، ولتكن استعداده العقلي لا يؤهله الا للسنة الرابعة الابتدائية.

تحديد معنى التأخر الدراسي

ولـــكن ما تقدم يعتبر كله تقديرا وصفيا تخمينيا، وقد تقدمت البحوث في بعض البلاد مما ادى إلى تحديد معنى التأخر الدراسي. واول خطوة في هذا الاتجاه هي قياس الذكاء.

ويقاس الذكاء بمقاييس مقننة (Standardisd Taste)، اذا طبقت على طفل ما نصل منها إلى معرفة مستوى ذكائه أو عمره العقلي.

فاذا كان عمر الطفل الزمني عشر سنوات، وعمره العقلي ثماني سنوات، فمعنى ذلك أن مستوى ذكائه هو مستوى طفل متوسط الذكاء عمره الزمني ثماني سنوات.أي أن ذكاء هذا الطفل اقل من العادي بسنتين عقليتين.

كذلك اذا قسنا ذكاء طفل آخر ثماني سنوات، ووجدنا أن مستوى ذكائه ست سنوات عقلية، يكون معنى ذلك أن مستوى ذكاء هذا الطفل يساوي مستوى

(١) لدراسة موضوع الذكاء واساليب قياسه وبعض نتائج تطبيقه في المدارس المصرية يقرأ كتاب قياس الذكاء للأستاذ (اسماعيل القباني) من مطبوعات معهد التربية .

طفل متوسط الذكاء عمره الزمني ست سنوات، وبذلك يعد متأخرا في الذكاء بمقدار سنتين عقليتين.

وواضح أن الطفل الثاني اكثر تأخرا من الطفل الاول، اذ أن تأخرا مقداره سنتان في الثامنة اكبر نسبياً من نفس المقدار من التأخر في العاشرة.

لهذا يحسن حساب ما يسمى نسبة الذكاء، وهو عبارة عـن نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني، ويضرب الناتج في ١٠٠ للتخلص فقط من الـكسور.

$$\text{أي أن نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

وواضح أن الشخص المتوسط الذكاء تكون نسبة ذكائه ١٠٠، واما من تزيد نسبة ذكائه على ١٠٠ فهو المتوسط، ومن تقل عن ١٠٠ فهو دون المتوسط، ويعين البيان الآتي نسب الذكاء المختلفة [1] :

اذا كانت نسبة الذكاء من ٧٠ إلى ٨٠ كان الشخص غبيا جدا.

واذا كانت نسبة الذكاء من ٨٠ إلى ٩٠ كان الشخص دون المتوسط.

واذا كانت نسبة الذكاء من ٩٠ إلى ١١٠ كان الشخص متوسط الذكاء

واذا كانت نسبة الذكاء من ١١٠ إلى ١٢٠ كان الشخص فوق المتوسط.

واذا كانت نسبة الذكاء من ١٢٠ إلى ١٤٠ كان الشخص ذكيا جدا.

واذا كانت نسبة الذكاء من ١٤٠ فما فوق كان الشخص ذكيا عبقريا.

واما الخطوة الثانية لتحديد معنى التأخر الدراسي فهي قياس المستوى الدراسي باستعمال المقاييس الدراسية المقننة، ويسمى ما نقيسه المستوى التحصيلي (Educational Age) أو العمر التحصيلي ومعنى العمر التحصيلي بالنسبة للدراسة كمعنى العمر العقلي بالنسبة للذكاء. فاذا وجدنا أن تلميذا عمره الزمني عشر سنوات وعمره التحصيلي سبع سنوات مثلا، كان مستوى تحصيله

---

(١) كتاب الاستاذ القباني (قياس الذكاء ص ٤٩).

في الدراسة يساوي مستوى تحصيل طفل متوسط عمره سبع سنوات. وهذا الطفل يعد متأخرا ثلاث سنوات تحصيلية عما ينتظر له بالنسبة لعمره الزمني. ولكن يجوز أن يكون استعداده العقلي لا يتمشى مع عمره الزمني، أي أنه لا يجوز مثلا أن يكون عمره العقلي سبع سنوات مثلا، وبذلك لا يعد متأخرا في مستوى تحصيله عما ينتظر له بالنسبة لمستواه العقلي. وفي هذه الحالة يعتبر عاديا من حيث التحصيل.

لهذا نشأت فكرة حساب النسبة التحصيلية، وهي نسبة العمر التحصيلي إلى العمر العقلي، ويضرب الناتج في ١٠٠ لنفس السبب السابق الذكر في حساب نسبة الذكاء.

$$\text{أي أن النسبة التحصيلية} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

فاذا امكننا أن نعرف هذه النسبة لتلميذ ما، ووجدنا أنهـا اقل من ١٠٠ بدرجة واضحة، حكمنا عليه بالتأخر الدراسي، ووجب علينا دراسة العوامل التي ادت إلى ذلك ومعالجة الحالة.

وفى العادة لا تزيد النسبة التحصيلية (بخلاف نسبة الذكاء) عن ١٠٠، الا في حالات نادرة، وهى حالات التلاميذ الذين يرهقون أنفسهم بالمذاكرة، أو الذين يساعدون كثيرا بدروس خصوصية. ولكنها في اغلب الحالات تكون ١٠٠، وكثيرا ما تقل عن ١٠٠، وقد دلت بحوث (برت Burt) على أن النقص عن مئة يحدث بنوع خاص عند الاغبياء وضعاف العقول، اذ أنه وجد في جميع حالاتهم تقريبا أن المستوى الدراسي اقل من المستوى العقلي[١]، ولعل من العوامل المؤثرة في هذا الشعور النقص المصاحب عادة للقصور العقلي، وهذا الشعور بالنقص يجعل مستوى إنتاجهم اقل مما ينظر لهم حسب مستواهم العقلي.

---

(١) G. Burt : The Backward Child.

ولو كان المستوى لا يتوقف الا على مستوى الذكاء، لكانت النسبة التحصيلية دائما ١٠٠؛ ولكن التحصيل يتوقف- على وجه - العموم على عوامل اخرى كالظروف المحيطة بالتلميذ وحياته الوجدانية وما عنده من دوافع مختلفة.

وليس من السهل علينـــا في مصر في الوقت الحاضر أن نحدد بالدقة درجة التأخر الدراسي، ولذلك اسباب عديدة منها عدم توافر الاختبارات المقننة التي تقيس المستوى التحصيلي.

ومنها عوامل اخرى تدخل في التنظيم العام، كتفاوت الاعمار في الفرقة الدراسية الواحدة تفاوتا كبيرا؛ وفي بعض الأحيان نجــد في السنة الرابعة الابتدائية تلاميــذ عمرهم عشر سنوات، ونجد آخرين يقرب عمرهم من سبع عشرة سنة. فتصعب الموازنة بين تلميذين كهذين من حيث درجة تأخرهما الدراسي[1].

يضاف إلى هذا نظام الامتحانات الذي عود بعض التلاميذ وبعض المدرسين الوصول إلى حيل خاصة تمــكن من حفظ المعلومات بصورة تـــكفي لوضعها يوم الامتحان على الورقة المخصصة لذلك. وبذلك تقل قيمة التحصيل الدراسي بمعنى كسب قوة معينة، نتيجة لفهم المواد الدراسية وهضمها وحسن تطبيقها والكفاية في استعمالها.

بعض الحالات في التأخر الدراسي

وسنعرض الآن بعض حالات عرضت على العيادة السيكولوجية بمعهد التربية للمعلمين بسبب التأخر الدراسي، وقد بينا مع كل حالة نوع التأخر كما وصفته المدرسة أو كما وصفه المنزل. وبينا السنة الدراسية[2] والعمر الزمني والعمر العقلي.

(١) والصعوبة في هذه الحالة صعوبة إحصائية اكثر منها صعوبة سيكولوجية .

(٢) كان النظام اذ ذاك ٣ سنوات للروضة (٨-٥) ثم ٤ للابتدائي ثم ٥ للثانوي .

ومن موازنة هذين احدهما بالآخر وبالنسبة الدراسية، يمكننا أن نتبين على وجه التقريب درجة التأخر الدراسي الظاهري من مقارنة السنة الدراسية بالعمر العقلي. وقد اثبتنا كذلك بعض العوامل الاخرى (غير الذكاء) التي نعتقد أن لها دخلا كبيرا في التأخر الدراسي.

طريقة بحث حالات التأخر الدراسي

يجب التأكد اولا مما اذا كان التأخر الدراسي عاما في جميع المواد الدراسية أو خاصا بمادة أو بمجموعة معينة من المواد، ذلك لأنه يحدث أحيانا أن يكون التأخر عاما في جميع المواد، ويحدث أن يكون في مادة دراسية واحدة. ويجب التأكد أيضا مما اذا كان التأخر حديثا أو مستديما.

ـ عادة أن العوامل المؤثرة يمكن أن تقع تحت الاقسام الآتية:

أ- عوامل عقلية عامة كالتأخر في الذكاء أو التاخر في القدرة على القراءة بسبب عدم اتقان اسسها. اذ أن القراءة تدخل في العلوم المدرسية بمختلف أنواعها. أو عوامل عقلية خاصة كالقدرة على التذكر أو احدى القدرات الخاصة التي يلزم وجودها بنسبة كبيرة للتقدم في مادة دراسية معينة كالقدرة اللغوية أو القدرة الهندسية، أو غير ذلك.

ب- اتجاهات عقلية وعوامل وجدانية عامة كضعف الثقة بالنفس والخمول، أو اتجاهات وجدانية خاصة ككراهية مادة دراسية معينة لارتباطها في الذهن بموقف مؤلم من جانب المدرس أو الزملاء أو غير ذلك من الحالات الوجدانية المختلفة التي قد تنشا داخل الفصل أو خارجه.

ج-عوامل جسمانية عامة تؤدي إلى نقص عام في الحيوية، فتقلل من مقدرة الشخص على بذل اقصى جهده. من ذلك (الأنيميا) والاصابة بنزلات البرد المتكررة والأمراض الطفيلية (كالأنكلستوما) وغير ذلك. وكذلك

عوامل جسمانية خاصة كضعف السمع العام (الصمم) أو الخاص (المتصل ببعض دون غيرها) أو ضعف البصر بأنواعه المختلفة وما يشبههما.

د- عوامل بيئية تنشأ في المدرسة أو في المنزل أو خارجهما ومن امثلة ذلك ما يأتي:

- كثرة تنقل التلميذ من مدرسة إلى اخرى بسبب تنقل الوالد من بلدة إلى اخرى مما يترتب عليه اضطراب التلميذ بين طرق تعليمية مختلفة. وضياع لبعض اجزاء المنهج. وكذلك انتقال الطالب انتقالا فجائيا بالنسبة إليه من نوع من التعليم إلى نوع آخر كما يحدث عند تنقل التلميذ بين مدارس أجنبية وأخرى مصرية.
- كثرة تغيب التلاميذ عن المدرسة لأسباب قوية أو تافهة.
- هروب التلاميذ من المدرسة لقلة جاذبية العمل بها، ولوجود مغريات أخرى خارج المدرسة كالخيالة، أو تأليف عصابات، أو الجري وراء المسائل الجنسية، أو ما يشبه ذلك.
- علاقة الطفل بوالديه واخوته وزملائه ومدرسيه وعلاقة والديه احدهما بالاخر، وفكرتهما عن التعليم واهميته، وما ينشا عن ذلك من اتجاهات عقلية وحالات وجدانية تؤثر في التلميذ أحيانا بطريق مباشر وأحيانا بطريق غير مباشر.
- مقدار شعور التلميذ بقيمة العمل المدرسي خصوصا بعد سن المراهقة.
- طريقة استغلال التلميذ وقت فراغه.
- تنقلات المدرسين بعد بدء الدراسة من فرقة دراسية إلى اخرى بسبب تغير الجداول.

• درجة ملاءمة المواد الدراسية وطرق التدريس لاستعداد التلميذ ومستوى تحصيله.

• الجو المدرسي العام (راجع الفصل الحادي عشر).

• ملاءمة جو المنزل واستعداده للعمل الهادئ المنتج.

وليس من الممكن في هذا المقام أن نتكلم بالتفصيل عن هذه النواحي كلها.

مصاحبات التأخر الدراسي

لاحظنا في الجدول السابق أن هذه الحالات ليست حالات تأخر دراسي فحسب، وإنما توجد معها مشكلات اخرى كالهرب وشرود الذهن والاعتداء، وغير ذلك من المشكلات التي قد تكون مصاحبة فقط للتأخر الدراسي، وقد تكون مسببه له، وقد تكون ناتجة عنه.

وقد لاحظنا في حالات جرائم الاحداث جرائم العديدة التي فحصناها، والتي كان الاحداث فيها من تلاميذ المدارس أنهم كانوا متأخرين جدا في الدراسة.

وكان هؤلاء أحيانا ينظمون أنفسهم في شكل عصابات للسرقة من عربات الترام أو عربات السكة الحديدية أو السطو على المنازل أو غير ذلك. وكانوا يتصلون باحد الباعة ليكون بمثابة مصرف لمسروقاتهم يبيعونها له.

والتلاميذ الذين يلبون اول داع للخروج على النظام، والذين يـــكونون مصدر اضطراب في حياة المدرسة هم في حياة المدرسة العادة المتأخرون دراسيا، ولا يخرج مسلك التلاميذ الذين من هذا النوع عن أنه تعويض للشعور بالنقص الذي يسببه لهم الاخفاق الدراسي. وهذا الشعور بالنقص أو الشعور بعدم تحصيل المستوى المنتظر لهم ينتج اساسا من موازنتهم بزملائهم الناجحين.

كذلك يمكن تفسير هذا المسلك ضد النظام المدرسي بأن التلاميذ يعتبرون

أن المدرسة عائق في سبيل تحقيق ذاتهم تحقيقا يجلب لهم السرور، ولذلك فهم يثورون ضد المدرسة.

وفي المراحل المتقدمة يفقد التلميذ ثقته في نفسه ازاء نوع المستقبل المترتب على النجاح المدرسي. وربمـــا لا يجد ما يشعره باطمئنان من هذه الناحية فتحدث له أنواع من التألم واليأس، وما يتبع ذلك من مشكلات نفسية.

ونجد في المراحل الاولى من التعليم أن التأخر الدراسي يصحبه إغراق في احلام اليقظة، لأنها الطريق الوحيد للتخلص من صعوبات الدرس، وفى غالب حالات التأخر الدراسي نجد سلوكا يحتاج إلى اصلاح كالاستكانة، والاغراق في احلام اليقظة والشعور بالخجل والنقص.

وأحيانا نجـــد التلميذ يمارس عملا آخر يجد فيه بعض السلوى كالتدخين أو الاستمناء أو متابعة المسائل الجنسية، وأحيانا اخرى نجد محاولات المساكسة أو التسلط أو كشف عيوب الناس أو الثورة على النظام وأحيانا نجد أنواعا من الحركات العصبية العامة أو الخاصة.

لذلك وجبت دراسة درجة ملاءمة الدراسة للتلميذ من اول الأمر ؛ لا سيما أن التأخر الدراسي قد يكون قليلا في اول الأمر. ولـــكنه في العادة يتضخم اثره كلما تقدم الطفل في الدراسة، اذا هو لم يعالج. فاذا فرضنا أن تاخرا قليلا في قدرة الطفل على المطالعة أو الحساب وجد في سن الثامنة، فإن اثر هذا التأخر يتضح ويزيد كلما تقـــدم الطفل في مرحلة التعليم الابتدائي، لأن الدراسات التالية تترتب عادة على ما يسبقها، ولذا يجب التيقظ - كما قلنا- لأي نوع من التأخر الدراسي تداركه من اول الأمر بطرق الفحص العلمية.

سابعا: المشكلات الجنسية

تظهر عند المراهقة نزعة لاختـــلاط البنيـــن بعضهم ببعض، والبـــنات

بعضهن ببعض. ويحتقر البنون البنات لضعفهن، وتحتقر البنات البنين لخشونتهم وربما كان سبب هذا الانفصال حداثة الاحساس الجنسي، وبدء النظر إلى الجنس الاخر نظرة جديدة تجعل كلا منهما حذرا من الاخر.

وفي سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة يبدأ كل من الجنسين يهتم بالاخر ويبحث عنه. ويسمى أنصار فرويد المرحلة التي يهتم فيها الفرد بافراد جنسية (مرحلة الجنسية المثلية) (Homo-Sexuality) ومرحلة اهتمام الفرد بافراد الجنس الاخر (مرحلة الجنسية الغيرية (Hetro - Sexuality).

ويرى فرويد واتباعه ايضا أن الطفل منذ بدء ادراكه لوالديه وبسبب اشتقاق كثير من لذاته عن طريق الرضاعة، واللمس والحمل، والربت، والدغدغة، يربط في ذهنه والديه بهذه المواقف كمصادره للذة أو للحب، أو مصادرة لعدم اللذة، أو الكراهية. وتنشا حسب رأي المحللين النفسيين من مثل هذه المواقف العقد باسم عقدة أوديب (Oedipus Complex) وعقدة الكترا (Electra Complex). ويرى فرويد أن هذه العقد طبيعة في نمو الافراد بحكم الصلة بينهم وبين الوالدين. ومع أننا نسلم باثر علاقة الوالدين أنه بالاطفال، واثر هذا في نمو علاقتهم الجنسية المستقبلية، الا أننا نرى أنه يمكن الاستغناء عن مثل هذه التفسيرات كما سنرى فيما بعد.

وكل ما يمكن أن يقال هو أن اللذة الذاتية موجودة منذ الطفولة، قد تمر اللذة،وقد تثبت متصلة بالنشاط الجنسي أو بمظاهر لخرى غير جنسية كالتدخين وما اليه. ثم يأتي نمو الذاتية أو الفردية ثم يتجه جل الاهتمام إلى كسب المعرفة،وكسب المهارة التي تؤدي إلى حسن التعامل مع البيئة المادية والاجتماعية، ويدخل في هذه البيئة المحيطة بعض عجائب الطبيعة بما فيها من ظواهر النمو، والتوالد، والوظائف الجسمية المختلفة، وبدء المخلوقات، وتكوينها ونهايتها، وغير ذلك مما تتصل بالمسائل الجنسية اتصالا وثيقا. ثم

يأتي بعد ذلك دور المراهقة والبلوغ بما فيه من نزعات جنسية جديدة قد يكون الفرد مهيأ لمقابلتها عن طريق الخبرة السابقة بمعناها الواسع. وقد تأتي فجأة فتحدث صدمات نفسية عنيفة. ومما يزيد في اثر هذه الصدمات العوائق والتقاليد التي تقوم في وجه التعبير عن هذه النزعات.

بعض الحالات

ولأجل أن نفهم كيفية ظهور المشكلات الجنسية، ناخذ حالة شخص وصل إلى العقد الرابع من عمره. وتتلخص مشكلته في أنه لا يمكنه أن يجتمع اجتماعا جنسيا طبيعيا بمن يتزوجها ممـــا يؤدي عادة إلى الأنفصال. هذا مع أنه يمكنه اداء هذه العملية بسهولة مع المومسات، ولكنه حاول مع من تزوجهن فاخفق اخفاقا تاما. وبدراسة تاريخه وجد أنه ينحدر من اسرة محافظة متدينة، لا يشير إلى المسائل الجنسية أو ما حولها بأي اشارة، بل تستنكر هذه الموضوعات استنكار شديدا. نشا الولد في هذا الجو، لا على احترام امه فحسب، بل على ما يقرب من تقديسها، مما جعله يرى في زوجته صورة الأم التي بلغ من امر تقديسه لها أنه اخفق مع زوجته اخفاقا تاما. ولـــكن كان يمكنه مع ذلك الاجتماع بالمومسات ولعل هذا لبعد الشبه في ذهنه بينهن وبين امه. وممـــا زاد مشكلة الرجل أن نصحه احد الناس في سن البلوغ المبكر بوجوب الاتصال الجنسي، حتى يقي نفسه شر الجنون، فاتصل بالمومسات، وبذلك كانت الصورة الأولى التي ارتبطت في ذهنه بالإشباع الجنسي هي صورة المومسات. ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه كان كثيرا ما يحلم بالليل أنه يجتمع اجتماعا جنسيا بأمه أو بأخته أو بزوجته. وكانت تتحول في الحلم صورة من يجتمع بها أحيانا من الزوجة إلى الأم أو الاخت أو العكس. قد يدل هذا على شدة حب الولد لامه واخته واحترامه لهما، وعلى ادراكه لا شعوريا وجه الشبه بينها وبين زوجته. وعلى ما يتمناه من الصلة الجنسية الناجحة مع زوجته التي تشتق صورتها في ذهنه من امه. وممـــا

زاد في تعقيد الحالة أن حدثت له وهو صغير خبرة جنسية مع ولد اخر في مثل سنة، وقد كان موقفه في هذه الخبرة سلبيا غير إيجابي، وقد جعله هذا الأمر شديد الشغف في مستقبل حياته بإثبات رجولته مع الخوف من الاخفاق. وزاد الحالة تعقيدا فوق ذلك أن خطيبته الأولى لم تكن تميل اليه، وكان يعلم ذلك بنفسه ويشعر به شعورا واضحا.

وهذه حالة اخرى لفتى يدمن العادة السرية إدمانا شديدا، ولا يوفق في علاقاته الاجتماعية، ولا سيما حين يتحدث مع فتاة أي حديث ولو كان عاديا ليس وراءه أي مقصد سيئ. واتضح من دراسة حالته أن كانت له محاولات جنسية في سن السادسة مع صغار الفتيات بقصد اللعب والتجريب. وقوبلت محاولاته بالاشمئزاز والاستنكار والتعيير المستمر من الوالدين، فنما عنده شعور بالخطيئة، ترتب عليه في مستقبل حياته تشدده مع نفسه، وشعوره بحقارتها، واعتقاده باحتقار الناس له، وميله للابتعاد عنهم. ترتب عليه ايضا سلوك تعويضي فيه تعسف في التدين، والنظافة، والأناقة لكنه كأن في الوقت نفسه لا يقوى على مقاومة الرغبة الجنسية، فلا يجد وسيلة للتعبير عنها الا في الاستمناء باليد. ويشعر الولد بالغيرة من والده الذي تزوج بعد وفاة والدته بفتاة صغيرة السن، وكان الفتى اذ ذاك في أول دور المراهقة. والغيرة في هذه الحالة مكبوتة كبتا تاما.

وحالة ثالثة لفتى شغل ذهنه ليل نهار بالمسائل الجنسية، يحلم بها في يقظته احلاما يقول أنها جميلة، فيدبر في عقله الحيل للوصول إلى الفتيات الجميلات، ويحلمن بهن في اثناء نومه احلاما مزعجة، تشمئز منها نفسه اشد الاشمئزاز. وكان لا يقوى على القيام بمحادثة ولو كانت بريئة مع أية فتاة، ولا يقوى على مناقشة أية مسألة جنسية مع أي إنسان. ومع شدة الاشمئزاز من المسائل الجنسية، واعتبارها مسائل قذرة، فإنه أحيانا يتكلم عنها كأنها امور شبه مقدسة، بل كأنها فوق البحث العلمي، وفوق المعرفة الصحيحة. وهو شديد الاحتقار لنفسه يرى أنها قذرة، وضيعة، رغم نضج عقليته، وإتقانه نظم الشعر

على الرغم من صغر سنه. مات ابوه وتركه صغيرا فعنيت امه به وباخوته عنـــاية وصلت بها إلى اقصى حدود التضحية. وترتب على ذلك أنها لم تترك لهم صغيرة أو كـــبيرة يفكرون فيها بأنفسهم، ممـــا جعلهم ملتصقين بها متعمدين عليها كل الاعتماد.

والأم تحزن اشد الحزن، بل يصيبها المرض أحيانا اذا خالف احدهم امرها، أو حاول أن يثبت وجوده، كما يثبت الشبان وجودهم، ممـــا جعل الفتى واخوته يخضعون لامهم، يستسلمون لضعفها. وكان الأب رجلا ضعيفا من الناحية الجنسية، وكأن لهذا قاسيا مع الأم. والقسوة كثيرا ما تظهر للتعويض عن ضعف جنسي. وكانت الكراهية بينهما مستحكمة، وكان ذا تاريخ طويل في المسائل الجنسية لا يتسع له هذا المقام.

نشا الولد كارها للمسائل الجنسية، يشمئز منها، محبا لامه يعطف عليها، ولكن يود التحرر من سلطانها، فلا يقوى، ومع ذلك كان أحيانا يتطلع للمسالة الجنسية ويراها مقدسة في نظره، ولعل ذلك لشعوره الغامض بارتباطها بأمه وبوجوده. وامه تتألف جدا من هذه المسائل. فعندما كانت تغسلهم وهم صغار، وكانت تتناول كل جزء من اجزاء جسمهم، ولـــكنها حين تصل إلى الاجزاء الاخراجية والتناسلية تـــكف يدها وعليها علائم التأنف، فتأمر أولادها أن يغسلوها بأيديهم.

كانت الأم شديدة المحافظة والمراقبة والدقة مع نفسها ومع أولادها. وقد كان لها مع ذلك من صغر سنها، وجمال شكلها، ووفرة ذكائها ما يفسح لهـــا الفرصة في مجال الزواج، ولكنها كانت تقابل عروض الزواج برفض حاسم، وكانت كذلك تقابل اية اشارة إلى اية مسالة جنسية من جانب أولادها بعاصفة من الانفعال والمرض.

لهذا كله نشا الولد متناقضا في الشعور ازاء المسائل الجنسية، فبينما تجده

يقدس الأمور الجنسية ويحترمها احتراما شديدا تجده يحتقرها ويستقذرها. فحينـــا تجده مشغوفا بها منشغل الذهن ليل نهار باحلام وخيالات تتعلق بإشباع الناحية الجنسية، فهو يدبر في ذهنه الحيل لذلك، وحينا اخر تجده منصرفا عنها يخافها وتتقزز نفسه منها، وهكذا تجده ممزق النفس في اتجاهات مختلفة، مما أنهك قواه وشتت مجهوده الذهني، وجعله متناقضا في اتجاهاته وأفكاره واقواله عصبيا مبعثر الذهن على الرغم من شدة ارتفاع ذكائه.

هذا الولد مصاب بحالة قلق عصبي اساسها الحياة الجنسية في الاسرة، واساسها موقف الأم من العالم الجنسي عامة، وهذا الموقف من شأنه أن يخيف الناشئ من العالم الجنسي، مع أنه عالم تدفع الطبيعة البشرية إلى دراسته وفحصه والوقوف على اسراره.

وهناك حالة لفتاة جاوزت العقد الثاني من عمرها بدأت تعتكف ولا تتصل بالناس وتقضي وقتها في نوم وانقباض وشرود ذهني وبكاء. وكتبت كثيرا مما يجيش بصدرها من آمال وآلام في صورة شعر أو نثر.

ونعتقد أن اساس المشكلة هنا جنسي، اذ اتضح بدراسة الحالة أن بين الأم والأب شقاقا مستمرا، مع تعاظم من ناحية الأم، وشعور من ناحيتها بسوء الطالع لتزوجها من رجل تعتبره اقل منها مكانة وثروة وعقلا. وبذلك نشأت امام البنت صورة لما قد تتوقعه في المستقبل من شقاء في الحيـــاة الزوجية، إن هي تزوجت. يضاف إلى ذلك أن البنت تعطف على الأب، والأم تشعر بهذا مما ترتب عليه اضطهاد الأم للبنت. وللبنت اخت اخرى اصغر منها، مانعت الاسرة زواجها إلى أن تتزوج الـــكبرى، مما جعل البنت تشعر بخطيئتها نحو اختها الصغرى، اذ أنهـــا ترى نفسها عائقا في سبيل زواجها. والبنت فوق ذلك على درجة كبيرة جدا من الذكاء، والنشاط، والحساسية، ولا تجد منفذا لكل هذا لأنهـــا قابعة في البيت ليل نهار، بحكم تقاليد الاسرة.

وخلاصة الحالة أن المستقبل الطبيعي للبنت –وهو الزواج– صار في نظرها بعيد التحقق. وأن تحقق فصورة زواج امها لا تغري البنت بتوقع الخير من زواجها. ومن ثم كانت لا تتوقع خيرا على أي حال.

وتتعقد صورة الحالة النفسية هنا بالعلاقة المنزلية الداخلية بينها وبين الوالدين والاخوة، وبين افراد الاسرة جميعا، والاسرة التي تنتمي اليها الأم، وتلك التي ينتمي اليها الأب إلى غير ذلك.

وفي عدد من الحالات نجد أن سبب الشذوذ الأصلي هو المثال الذي يكشف في الأب أو الأم أو كليهما، وقد يكون هذا المثال ظاهرا، لا حيلة للتخفي فيه، وقد تكون معه محاولة للتستر. لكنه يصل عادة، وعلى أي حال إلى علم الطفل، كما يصله عادة، في نفس الوقت تحذيرات وقيود شديدة مرتبطة بالمسالة الجنسية. ففي الاسرا التي يتصف اربابها بسوء السلوك، كـثيرا ما يصحب سلوكهم محاولة تستر يشتد معها الأباء على الأبناء بدرجة غير عادية، مما يخلق صراعا نفسيا شديدا بين الرغبة في إشباع النزعة الغريزية التي تشجعها الأمثلة الواقعية، والخوف أو الاشمئزاز أو غير ذلك مما يغرسه الأباء أنفسهم. ومن ثم نجد تذبذبا، وعدم استقرار في الاتجاه الجنسي، تصحبه نوبات من ممارسة العادة السرية، أو الاجتماع بالمومسات، أو الاجتماعات الجنسية الشاذة، أو ما يشبه ذلك. ويبحث الفتيان والفتيات عن اللذة الجنسية لشغفهم باستطلاعها، وقد تثبت لديهم بحكم الممارسة والتعود. ويبحث بعضهم عن الاتصال الجنسي الحاجة إلى العطف ولذا نرى من بعض الحالات أن تفكك روابط الاسرة عامل أساسي يتبعه أحيانا فقد الطفل لعطف اسرته. ويقع كثير من الفتيات في حبائل الشبان، أن كن يعشن مثلا مع زوجات ابائهن أو ازواج امهاتهن، اذ أن نفورهن من الجو الجاف أو القاسي يسهل لهن الوقوع في جو اخر يبدو اكثر عطفا واكثر حنوا. والعلاقة الجنسية يشعر فيها الشخـص عادة بنوع من عطف الفاعل على

الأقل بنوع اللذة الجنسية يطغى على الألم أو الشقاء النفسي[1].

وكنا نجد في بعض الحالات طفلا ذكرا، وسيم الوجه،تعيس النفس- بسبب سوء معاملة والديه له، أو لجفا في جو المنزل، أو لتفكك الروابط العائلية بسبب التشاحن أو الطلاق أو غير ذلك- يقع فريسة لآخرين فيستغل استغلالا جنسيا مفرطا. ونجد هذا أحيانا في المؤسسات التي يعيش فيها الناشئون بالقسم الداخلي. وهناك قد تتخذ المسالة الجنسية اداة للتخويف. ويقع بعض الأولاد فيها بسهولة جريا وراء العطف والحماية، أو هربا من التهديد بالضرب أو تشويه السمعة. ونعلم كذلك أن العلاقات الجنسية من نوع اللواط والسحاق وما يشبه ذلك، تكثر حين يكبر العائق بين اختلاط الجنسين، وتكثر كذلك حين توجد حاجة ملحة للعطف. ولعل هذا يفسر ما يحدث في السجون والملاجئ من اتصالات جنسية تقع عادة على مدى واسع.

نرى مما تقدم أن المشكلات الجنسية كغيرها من المشكلات توضع جل بذورها عادة من السنوات الأولى بسبب انعدام استقرار الجو المنزلي أو قلة استقرار العلاقات بين الوالدين وموقفهما من المسائل الجنسية ومقدار ما يوضع عليها من قيود غاشمة. ويتأثر السلوك الجنسي كذلك بالظروف الحالية والآمال المستقبلة، كما يتأثر بعوامل اخرى كامنة في كل من الاسرة والمجتمع.

الاستمناء

ومن العادات التي يذعر لها الأباء والمدرسون ما يسمونه بالعادة السرية أو الاستمناء، وهذه العادة اكثر انتشارا بين المراهقين من البنين منها بين البنات. وتعلل (شرلوت بهلر)[1] ذلك بأن الحاسة الجنسية عند البنين محلية

---

(١) يلاحظ أن فقد السعادة قد تعوضه سعادة اخرى كاللذة حسية. ولذلك يبحث تعيس النفس أحيانا عن شرب الخمر، والاغراق في التدخين، أو للشره في الاكل ، لو الاستمناء،أو غير ذلك من اللذات الحسية التعويضية التي سبق أن اشرنا اليها في الفصل الثالث عشر (ص ٢٧٤).

ومركزها في الاعضاء التناسلية، ولكنها في البنات عامة موزعة على مساحة كبيرة من سطح الجسم.

وقد يبدا اللعب بالاعضاء الجنسية في سني الطفولة الأولى عن طريق اللعب العادي أو الرغبة في الكشف العادي لاجزاء الجسم أو أي دافع سطحي بسيط. وقد يشتق الطفل من هذه الملامسة لذة كما يشتقهـــا من أي جزء اخر من اجزاء جسمه، ولكن النتيجة أن يتجه ذهن الطفل اليه ويكسب في نظره اهمية بالغة، وذلك لما يظهره الوالدان امامه من علامات الانزعاج والتألم، والرغبة في الاستمرار في هذا النوع من اللعب.

وقد وصل المنع في احدى الحالات إلى ربط يدي الطفل ورجليه إلى جانبي السرير حتى لا يحدث احتكاك من أي نوع. مما ركز اهتمام الطفل بأشد صورة ممـــكنة في العضو التناسلي وزاد من أهميته في نظره، ممـــا وجه انتباه الطفل كذلك إلى قبح العضو، وقذارته، وارتباطه في ذهنه بارتباطات قد يكون لها اثر سيئ في مستقبل حياته.

ومما يساعد على تثبيت اللعب الجنسي عند صغار الاطفال عدم شعورهم بالسعادة لسبب من الاسباب، أو شعور عام غامض لديهم بحالة القلق وعدم الارتياح وحسرة الطفل على نفسه. وافراطه تبعا لذلك في تحصيل نوع من اللذة قد يكتشفه -كما قلنا- عن طريق الصدفة في اثناء اللعب وكشف العالم المحيط به وموقف الناشئ من اللذة الجنسية في هذه الحالات شبيه بما سبق أن ذكرناه عن الشره أو التدخين.. أو ما إلى ذلك.

ولذلك يجب العمل على أن ينشغل ذهن الطفل ببعض الميول والهوايات العملية التي يشعر مع تحقيقها بالإنتاج الملموس. وبذلك يتجه إلى الابتداع والإنتاج والعمل اليدوي كمصدر للسرور، بدلا من أن يتجه إلى اجزاء جسمه

C.Buhler : From Birth to Maturity . (١)

المختلفة كمصادر للذة أو لمجرد السلوى. كما يجب أن تراعى القواعد البسيطة إلتي قد تساعد الطفل على وقايته من الاستمناء كاتساع الملابس، والنظافة المحلية، ومنع المهيجات بأنواعها المختلفة، والتمتع بالفسحة، والهواء الطلق، ومنع كل ما يترتب عليه الشعور بالوخم،والميل إلى النوم، وما إلى ذلك.

ويجب عند علاج الاستمناء عند الاطفال أن نلاحظ أنه اذا كان يصاحبه انفعال واستغراق كان راسخا عميق الاصل، وان كان لا يصاحبه انفعال واستغراق، فهو لعب عادي، بسيط سريع الزوال. ويراعى عند العلاج كذلك عدم تناول العرض الظاهري فقط، وانما ينبغي تناول اسبابه، والظروف التي تساعد على ظهوره، فنغير منها حتى ينصرف الطفل عن هذه العادة. على أن جزءا من العلاج يتجه إلى الاعراض نفسها. فيمــكن تشجيع الناشئ على الاقلال التدريجي من هذه العادة حتى تزول. ويمــكن اقناع الناشئ بالسرور المترتب على النجاح في ضبط النفس.. إلى غير ذلك.

والاستمناء في دور المراهقة عند البنين بنوع خاص وسيلة يتخلص بها المراهق من حالة التوتر النفسي النشئ من النزعة للتعبير الجنسي وعدم القدرة على إشباعها. ويلاحظ أن اكثر الشيء ميلا إلى ممارسة العادة هم اكثرهم شقاء، واكثرهم فراغا، واكثرهم عجزا عن ملء فراغهم بإنتاج يجلب احترامهم لأنفسهم، واحترام غيرهم لهم. وقد لوحظ أن القردة نفسها لا تمارس الاستمناء الا في حالة الحبس وعدم توافر الفرص للنشاط الحر الواسع المدى.

والاستمناء مضر ولا شك أننا نبالغ عادة في تصوير درجة اضراره بمن يمارسه مبالغة اثر ضرره في الناشئ اثرا مضاعفا. وقد نسبوا في الماضي كل ضرر يمكن تصوره للاستمناء، فنسبوا اليه السل، وفقر الدم، والجنون، وضعف البصر، وفقدان القوى الجنسية والأمراض الروماتزمية.. وغير ذلك.

وتنشا بعض اضرار الاستمناء نتيجة الشعور باللذة التي يكتسبها المراهق

من العملية نفسها، لا سيما حين يركن اليها لتخلصه مما يشعر من توتر جنسي ونفسي. ونتيجة سماعه الـــكبار يعلنون اضراره، ومخالفته للخلق والدين،وغير ذلك. فيحدث عند المراهق صراع بين الرغبة في الممارسة، وتأنيب الضمير، فيتـــكون عنده شعور بالخطيئة واحساس بحقـــارة نفسه، وقذراتها، وعدم لياقتها باحترامه، أو احترام غيره.

وتتكون إلى جانب هذا الشعور رغبة ملحة في الممارسة ممارسة يمزق نفسه ويشتت قواه في اتجاهات مختلفة لـــكل منها قوته البالغة. فلاتجاه الغريزة الجنسية قوة كبيرة، ولاتجاه التقاليد والاخلاق وما إلى ذلك قوته البالغة.

ومن اضرار الاستمناء أنه ينشط افرازات الغدد التناسلية مما يزيد في الحاجة اليه بعد ممارسته، ومما يسهل تكون العادة، ورسوخها، فتصير مستندة – بجانب العوامل الاخرى– إلى حاجة فسيولوجية جسمية، يترتب عليها احتمال الافراط فيها، ويلاحظ أن وسيلة الاستمناء نفسها غير طبيعية من حيث الوضع العام، بل من حيث المثيرات المحلية، اذ أن درجة خشونة هذه المثيرات، ودرجة حرارتها، وشكلها عامة، تختلف عنها في المثيرات الطبيعية. وهذا يجعل من يمارس العادة السرية بـــكثرة قليل القدرة بعد زواجه على الاتصال الجنسي الطبيعي، وذلك لسبق تعوده ممارسة المسالة الجنسية في جو مختلف اختلافا جوهريا عن الجو الطبيعي، سواء في خصائصه المحلية أو العامة، وبذلك قد يكون إدمان الاستمناء في المراهقة سببا من اسباب عدم توافر السعادة الزوجية في المستقبل. ومع ذلك كله فأنه سبب تمكن ازالته، وتمـــكن معالجته.

ويغري إلى الاستمناء أنه اسهل الطرق لمواجهة الصعوبات الجنسية الذاتية وكثرة الالتجاء اليه تؤدي إلى الاكتفاء به، والشعور بالاكتفاء بالذات لتحقيق الملذات. وهذا يجعل النشء بعد اكتمال نموه اقل جرأة على الاتصال بالجنس الاخر، والميل إلى العزلة، والابتعاد، والسلبية، والميل إلى اتباع اسهل

الطرق لإشباع اللذة الجنسية، بدلا من الطرق الطبيعية التي تتطلب جرأة، ومخاطرة، وعملا ايجابيا. والذين يميلون للاستمناء الميل للاتصاف بغالب خصائص الانطواء النفسي.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من اسباب للاستمناء، فأننا نؤكد أنه مظهر لاسلوب عام للسلوك، ظهر نتيجة المعاملة الأولى، فاذا تذكرنا أن الاستمناء هو اتباع اسهل الطرق واقصرها لإشباع اللذة الجنسية الملحة، التي لا يقوى المراهق على مقاومتها، وحرمان نفسه منها.

تذكرنا ايضا أنه قد يــكون نتيجة لأن ظروفه الأولى كانت تشبع فيها كل ملذاته دون أي عائق، أو لأنه كان محروما فنما مشغوفا بنوع من اللذة يسعى وراء البحث عنه بأية طريقة، أو لأنه كأن يعامل بقسوة جعلته ينمو جبانا، قليل الجرأة، يتبع اسهل الطرق لتحقيق رغباته، أو لأي عامل اخر يترتب عليه الشعور بالشقاء وفقدان الأمن. وعلى العموم فالاستمناء -كأية مشكلة اخرى- لا يظهر قائما بذاته. وإنما هو جزء من اسلوب السلوك العام، ولا يجوز أن يعالج بمفرده، وأنما يعالج تبعا لمعالجة الشخصية كلها.

تلخيص المشكلات الجنسية واسبابها

يتبين من كل ما تقدم أن المشكلات الجنسية بأنواعها المختلفة، مرتبطة بنمو للفرد، وعلاقته ببيئته الأولى، وخبراته المشتقة من هذه البيئة اذ يقف الطفل غالبا في أول حياته من اعضائه التناسلية موقفا بريئا، ولكن الآباء قد يكون عندهم اتجاه الاستقذار، والخوف، والشعور بالجرم نحو اللعب الجنسي العرضي، فيتأثر الأبناء بذلك في الاتجاه غير الصحي.

وقد يحدث تثبيت على الأب،أو الأم بسبب التدليل، وميل الأباء أو الأمهات إلى حمل الاطفال ولمسهم والتمسح فيهم والاسراف في تقبيلهم وضمهم

إليهم بشره، اشتقاق اللذة من هذا كله، مما يثير الاطفال ويجعلهم ميالين أحيانا إلى اشتقاق اللذة من اللمس وما اليه. مما قد يترتب عليه- كما قلنا- تثبيت على الأم أو الأب، فيترتب عليه انحراف في الاتجاه الجنسي، وهذا احدث التفسيرات التي تعطي لتكوين الاساس للنزعة الجنسية المثلية (Homosexuality)، أو التعبيرات الشاذة للنزعة الجنسية الغيرية (Heterosexuality).

واما اهمال الاطفال، وعدم إشباع حاجاتهم الطبيعية إلى العطف، فقد يترتب عليه رغبة الطفل في الانتقام والإيذاء، حتى يشعر الناس بوجوده.

وهذا احد الآراء التي تعطى لتفسير نزعة التعذيب أو السادية (Sadism) وقد يفضل الطفل المهمل في بعض الأحيان أن يضرب ويؤذى، لأن الضرب والايذاء في نظره مصدر للذة لأنه نوع من الاعتراف بوجوده. وهذا احد تفسيرات ظهور الميل إلى حب العذاب أو ايذاء الذات أو الماسوكية (Masochism) وقد تتخذ السادية عند اكتمال النمو ميلا إلى ايذاء المحبوب وضربه، حتى يتم الاستمتاع الجنسي، اما الماسوكية فقد تتخذ عند اكتمال النمو اتجاها إلى أن يضرب الشخص ويعذب من محبوبه، حتى يتم الاستمتاع الجنسي.

ولا يمكننا أن ندعي أن هذا حصر للمشكلات الجنسية، فهناك البرود الجنسي، والفوران الجنسي، والاستهتار والاستسلام الجنسيان، والبغاء، والتصرف الجنسي المصحوب بجرائم[1]، وغير ذلك مما لا يسهل حصره في صفحات قليلة كهذه.

وقد لاحظنا في دراسة حالات البغاء الجنسي بأنواعه أنها ترتبط بالانحطاط النفسي المعنوي. وهذا الاخير قد ينشا عن فقدان العطف الناشئ عن انحلال الاسرة أو ما يشبهه.

فالمشكلات الجنسية كغيرها من المشكلات ــ التي سبق الكلام عنها ــ

---

(1) J.Paul De River : The Sexual Criminal.

تنشا عن طريق التربية الأولى للطفل وصلته بمجال حياته في مختلف ادوارها.

فعن طريق التربية الأولى، ومركز الفرد في مجال حياته، والتغيرات الطارئة على هذا المركز تتكون عند الطفل اتجاهات نفسية عامة تتخصص بفعل الظروف الحالية من استثارة وتقليد، وبفعل الحالة الجسمية والمزاجية، وما إلى ذلك. ولعل ما تقدم كله يدلنا على شدة الحاجة إلى دراسة التربية الجنسية.

التربية الجنسية

ولا يفكر الناس عادة في أن هناك مشكلة جنسية يمـــكن أن تحل عن أي طريق منظما كأن أم غير منظم، مقصوداً. ويرى البعض الآخر أن يتركوا أولادهم يتعملون ما يتعلمونه من المسائل الجنسية بأنفسهم، فيرون الا يكون هناك جهد إيجابي من ناحيتهم كآباء أو معلمين أو مرشدين في هذا الاتجاه. ويرى آخرون الا يتركوا هذه المسائل للطبيعة بل يرون وجوب الحيلولة بين الناشئ، وكل ما يمـــكن أن يوحي بالمعرفة عن المسائل الجنسية، فلا يصح أن يرى ما يحدث مثلا بين الحيوان من اجتماع جنسي وبذلك تصير المسائل الجنسية في نظر الطفل سرا شائنا، ولغزا مغلقا. وقد يبقى جاهلا بـــكل ما فيه إلى أن تتدفق فيه الأحاسيس الجنسية فجأة تدفقا عنيفا، وإلى أن تظهر عليه علامات البلوغ الظـــاهرية، مما قد يزعجـــه ويزيد من تنحيه عن المعرفة أو التوجيه. ويترتب على هذا التدفق الجنسي المصحوب بالجهل وبالخوف، وبالشعور بالقذارة اغلب المشكلات الجنسية المعروفة في دوري المراهقة والبلوغ. وفي الحياة الزوجية يترتب عليه غالب أنواع الشقاء الزوجي. وتترتب عليه ايضا مشكلات اخــرى تظهر نتيجة لتعقد المشكلة الجنسية، كجـــنون التدين وحالات (السيكاسثينيا) وكانت تسمى إلى عهد قريب (بالنيوراسثينيا)، و(الهســتريا) (الملانـــكوليا) وغير ذلك.

يضاف إلى ما تقدم تطور المدينة في الاتجاه الذي نألفه يزيد في الضغط والتقييد والاستثارة في نفس الوقت لنشاط الناشئين من النـــاحية الجنسية. وهذا يجعل الموقف مليئا بالصعوبات التي تلح في طلب الحل في اتجاه التربية الجنسية.

ويقصد بالتربية الجنسية اعطاء الخبرة الصالحة التي تؤهله لحسن التـكيف في المواقف الجنسية في مستقبل حياته. ويترتب على اعطاء هذه الخبرة أن يكسب الطفل اتجاها صالحا ازاء المسائل الجنسية والتناسلية.

ومن الواضح أن تكوين الاتجـــاه العقلي لا يقتصر على إعطاء المعلومات والتفسيرات التي تنير هــذا الميدان أمام النـــاشئ. فالمعلومات الجنسية بمفردها غير كافية لتـكوين هذا الاتجاه العقلي الذي لا ينمو الا عن طريق الاحتكاك المستمر بين الناشئ، وبيئته الاجتماعية من اباء ومعلمين وزملاء من الجنسين كذلك لابد من كسب خبرة مشابهة عن طريق الملاحظة الحسية وغير الحسية لحياة النبات وحياة الحيوان بأنواعها المختلفة (١).

هذا الاحتكاك المستمر يؤدي إلى كسب المعرفة بنوع خاص، ويؤدي بوجه أوسع إلى كسب الاتجاه العقلي، ولذا كان من الضروري الاعتماد على التعليم والتقليد والإيحاء والتوجيه.

ولهذا كله وجب أن نضع في متناول الطفل مصادر الخبرة الشخصية، وأن نتصف – نحن الآباء والمعلمين– بالاتجاه العقلي الصالح الذي نرغب في أن يكسبه الطفل منا عن طريق الامتصاص أو التقليد والايحاء. ووجب كذلك أن نستنتج أن التربية الجنسية أوسع بكثير من التعليم الجنسي وأنها لا تقتصر على سن معينة بل تبدأ من السنوات الأولى في حياة الطفل.

---

(١) انظر (قصة الحياة في جميع الاحياء) للدكتور القوصي والدكتور طنطاوي .

موقف الطفل من المسائل الجنسية

ويجب أن يكون موقف الطفل الأول من المسائل الجنسية كموقفه من جميع المسائل الاخرى. والطفل لحداثته في هذا العالم، ولضرورة حسن تكيفه معه، لابد يكسب خبرة عن البيئة المحيطة به، فيفحص الاشياء، ويلعب بها، ويشتق منها خبرة واسعة، وبمجرد نمو قدرته اللغوية يكمل وسائل بحثه بالاسئلة التي يوجهها لمن حوله عامة، ولوالديه بنوع خاص، وهو يثق عادة في قدرة والديه وصدقهما ثقة مطلقة.

ومما يتجه اليه ميله للبحث، وشغفه لاستطلاع جسمه، فكما يضع يده في فمه، وكما يعض اصبع رجله وهو مستلق على ظهره، قد تمتد يده إلى بقية اجزاء جسمه ومن بينها اعضاؤه التناسلية والاخراجية، لذا كان للعب في الاجزاء التناسلية عند الاطفال في غالب الأحيان كأي نوع من أنواع اللعب ولا سيما إن كان مجردا من حالة الانفعال والاستغراق الشديدين اللذين يحدثان نادرا.

وحين يتقدم الطفل في السن، يبدأ يلاحظ الفروق بين مختلف الناس من ذكور وإناث ومن كبار وصغار، ومن إنسان وحيوان، كما يلاحظ ويدقق في الفحص عن أوجه الشبه والفروق، فيسال اسئلة تتعلق بمنشئة، ومنشأ اخوته، ومنشأ والديه، وغير ذلك من الاسئلة الكثيرة. وميل الطفل لاستطلاع المسائل الجنسية ميل نقي يتجه إلى المعرفة الخاصة. وقد قال (برترند رسل)[1] في هذا الصدد: أن هذا الميل للاستطلاع الجنسي ليس له لون أو طابع معين في دور الطفولة الأولى ولكنه جزء من الميل للاستطلاع العام الذي يتصف به الطفل. وقالت (الدكتورة لوراهاتون)[2] في هذا ايضا: أن الاستطلاع الجنسي واللعب يتخذان صورة الاتجاه العام للكشف أو النزوع للمخاطرة. ويجب معاملة اللعب

B. Russell : On Education (١)

L. Hutton : Co education , British Journal of Medical Psychology , Vol IX (٢)

الجنسي على أنه لعب، لا على أنه سلوك سيئ، لا سيما أنه يحدث مجردا عن الإنفعال الجنسي. وإنما يعقد الموقف ويخلق الانفعال تدخل الـكبار وموقفهم تجاه هذه المسائل. ومن ثم يبدي الطفل زيادة الشغف بالبحث عن طريق الخبرة الحسية وعن طريق الاسئلة عن هذا العالم الذي يقع كله في خبرته بيئة موحدة الاجزاء، لا فرق فيها بين المسائل الجنسية وغير الجنسية. ويدهشه بالطبع أن بعض هذه الاسئلة يجد صدراً رحبا من الوالدين ويجد بعضها الاخر سخرية أو غضبا أو صمتا أو تحرجا أو انفعالا من أي نوع، مما يوحي إلى الطفل بغرابة المسائل الجنسية واختلافها بصورة جوهرية عن غيرها من المسائل.

وقد قام الباحثون المختلفون امثال (بياجيه piaget)، وغيره ببحث اسئلة الاطفال فوجدوا أنهم يسألون من تلقاء أنفسهم قبل سن التاسعة اسئلة تبـين الاهتمام بالاجزاء الجسمية ووظائفها، وبالاعضاء التناسلية والفرق بينها ووظائفها، والاهتمام بالعمليات الاخراجية وبأصل الحيـاة وعمليات النمو، والفروق بين الصغار والـكبار، والذكور والأناث، والإنسان والحيوان من حيث تركيب الجسم وحكمة الفروق، وأوجه الشبه، وغير ذلك. ويسأل الاطفال اسئلة من النوع الآتي:

من اين يأتي الاطفال؟ ولماذا كان لامه ثدي، وليس له مثله؟ وعندما تكبر البنت لتصل إلى سن امها كيف يكون اذ ذاك شكل الأم وحجمها ؟

وعندما كانت الأم صغيرة مثله، فأين كان هو نفسه وكيف ولدت امه؟ وتسال البنت هل سيكون لها شارب مثل ابيها ؟ ولم لا ؟

ويرى كثير من الباحثين مثل (الدكتورة هتشنسون)، و (برترأندرسل) أن عبء التربية الجنسية يجب أن يقوم به الآباء. ويرى (رسل) وغيره فوق ذلك أن محور التربية الجنسية هو الاجابة الصريحة عن اسئلة الطفل، والاتجاه العلمي الخاص الهادئ عند الاستماع لهـا، والاجابة عنها.

موقف الآباء من الاطفال في المسائل الجنسية

نعلم أن الأبناء يمتصون الاتجاهات من آبائهم عن طريق الايحاء، والأم بحـــكم كثرة تعاملها مع الطفل لابد من أن يكون نشاط الاعضاء التناسلية والاخراجية ميدانا لهذا التعامل. فاذا كانت تظهر اشمئزازها الشديد عند غسل ابنها أو مسحه، أو توقع عليه عقوبة شديدة اذا حاول أن يراها عارية، فان هذا يوحي إليه بما يجب عليه اتخاذه ازاء المسائل الجنسية من تحرز واشمئزاز. واذا رأى التجهم، والصمت، والتحرج إن سال أي سؤال يتعلق بالناحية الجنسية، فانه قد يتجه إلى كتمان كل ما يجيش بخاطره عنها. والطفل في كل هذا ربما لا يدرك الفروق الدقيقة بين مواقف والديه ازاء المسائل الجنسية وموقفهما ازاء المسائل غير الجنسية، ولـــكنه مع ذلك يتأثر بهذه الفروق مهما كانت دقيقة.

ويترتب على ذلك أن يزداد شغف الطفل بالمسائل الجنسية، ويشعر بأهميتها، وضرورة الاندفاع لبحثها، كما يشعر في الوقت نفسه بأنها تتصف بكثير مما يتصل بالجرم والخطيئة والقذارة والخوف. يضاف إلى كل ذلك أنه يعلم بطريقة ضمنية أو صريحة ما يحدث بين والديه، كما يعلم أن المسائل الجنسية هي التي أدت إلى وجوده في الـــكون، وبذلك يقع بين امرين: احدهما شدة الشغف بامر تدل كل الدلائل على أنه مهم شائق مرغوب فيه.

وتنشا اهميته بسبب ارتباطه بلغز الوجود، وبسر العلاقة بين والديه، وبما يحاط به من الخوف والتستر. وثاني هذين الأمرين أن المسالة الجنسية التي يشغف بالبحث عنهـــا مسالة شبه اجرامية قذرة مخيفة شائنة وبذلك تصبح المسالة الجنسية في نفسه سرا هاما، لذيذا، قذرا، شائنا، وتبقى بسبب ذلك مصدرا للتناقض في الاتجاهات النفسية.

ولعل هذا يدلنا على ما يجب أن يكون عليه موقف الآباء ازاء الاعضاء

التناسلية والاخراجية والمسائل الجنسية. ومن ثم يكون موقفا طبيعيا هادئا، مجردا من الانفعال ما امكن، وبذلك لا يوحي سلوك الوالدين بمـــا يجعل من العسير على الطفل أن يحقق نزعاته الجنسية تحقيقا تحفه السعادة عندما يكبر. ويجب على الآباء ايضا أن يعنوا بالاثار والخبرات الجنسية الأولى للطفل لتكون صحية وصحيحة ما امكن.

كما يجب عليهم ايضا أن يشبعوا شغف الطفل بالاستطلاع أولا بأول، اذ أن هذا الإشباع مما يهدئ من حدة الشغف،ومما يضمن حصوله على معلوماته واتجاهاته العقلية من مصادر طيبة.

وإن لم يشبع الطفل هذا الشغف - كما ذكرنا- فقد يحصل على معلوماته من زملائه أو من الخدم أو السوقة والاشرار.

وواجب الآباء أن يجيبوا عن اسئلة الاطفال اجابة صريحة صحيحة، هادئة تلونها الروح العلمية الخالصة، وأن يجيبوا عن هذه الاسئلة بما يلائم مقدرة الطفل على فهم الاجابات.

ويجب أن يكون موقف الآباء من اسئلة الاطفال، ولعبهم وشغفهم بالاستطلاع موقفا ثابتا، سواء اكانت هذه الاسئلة متصلة بالعالم المادي أو الاجتماعي، ام كانت تتصل بجسمه واجزائه، ووظائفه، وخصائصه، والفروق بين جسمه من هذه النواحي واجسام غيره من الإنسان والحيوان.

ويرى البعض أن الفيلسوف العالمي (برتراند رسل)(١) قد تطرف في راية حيث قال: إنه يجب أن يسمح للطفل من أول الأمر أن يرى والديه واخوته واخواته عراة كلما حدث ذلك بصورة طبيعية اعتيادية غير مقصودة. ولا يجوز أن يكون هناك اظهار للتحرج ازاء رؤيتهم عارين.

لأنه يكفي أن يعلم الطفل بعـــد ذلك من ملاحظة ما يجرى من اداب أن

B . Russell : On Education (١)

التستر امر واجب. يترتب على ذلك - في نظره- أن يكشف الطفل في الحال الفروق بين امه وابيه، ويوازن بينهما، ويعرف كذلك الفروق بين الاخوة الذكور والاخوات والإناث. وسواء لكنا نوافق على هذا الرأي ام لا نوافق فإن (رسل) يرى أنه متى كشف الموضوع إلى هذا الحد فإنه يفقد قيمته كموضوع يشغف الطفل بالبحث فيه. ومثل السر المعروف في ذلك مثل الصندوق المفتوح لا يسترعي انتباها ولا يغري بالفحص. وكل سؤال يتقدم به الطفل في هذا الدور (السنوات الأولى) يلزم أن يجاب عنه بمـــا يلائمه؛ كما يجاب عن أي سؤال يرتبط بأي موضوع اخر.

ويخطئ الآباء حين يلتزمون الصمت ازاء اسئلة ابنائهم، لأن الصمت ليست له نتائج سلبية فحسب، بل إنه يوحي بافكار ايجابية، تتضمن خطورة الموضوع، ووجوب معاملته كسر شائن. لذا كان الصمت مؤديا إلى نفور الأبناء، وإلى بحثهم عن المعرفة من مصادر غير مرغوب فيها اطلاقا كالخدم مثلا.

التربية الجنسية للآباء

يتبين مما تقدم أن من أولى الواجبات أن يتربى الآباء التربية الجنسية الصالحة. وقد قامت (مسز جرينبرج)[١] بهذه التجربة في امريكا منذ اكثر من ثلاثين سنة. وهي ترى أن الآباء - بحكم تأثيرهم الأول والمستمر على الطفل من جميع نواحيه ــ لهم اهمية خاصة من حيث وظيفتهم في التربية الجنسية للأطفال. ومن رايها أنه ليس من الضروري أن يصل الآباء إلى نهاية المعرفة والخبرة الفنية في التربية الجنسية، اذ يكفي أن يتمكنوا من معالجة المسائل الاساسية الأولى. وطريقة تربية الآباء تربية جنسية، هي اشتراكهم في حلقات للدراسة الجمعية، واستماعهم لاحاديث المتخصصين، واعطاؤهم فرصة المناقشة،

(١) Gruenberg : Discussing the Work of the Home : Towards A New Education (N.E.F.P).

وتبادل الرأي والخبرة، مما له اثر من حيث التنوير ومن حيث تهدئة الحالة النفسية. وللمناقشات أثرها للقيم بالنسبة للآباء الذين يمنعهم التردد والخجل عادة عن المناقشة الحرة الصريحة، اذ يجرؤن -تحت ظروف حلقات الدراسة الجمعية -على التكلم والمناقشة مما يساعد على تخليصهم من كثير من النزعات المـــكبوتة، ولو تخليصا جزئيا. وترمي هذه الحلقات ايضا للوصول إلى سلوك جنسي طيب قد يؤدي إلى توطيد دعائم السعادة الزوجية. ولابد من أن يتوافر في محيط الطفل ازاء الأمور الجنسية مستوى راق وجو يشعره بالسعادة الزوجية، كي يتـــكون لديه جنس صحيح.

ويتلخص برنامج التربية الجنسية بالنسبة للاباء، في درسهم المبادئ الأولية، للتشريح وعلم الحياة، واسس الصحة الجنسية، والفروق الفردية بين الذكور والإناث في مراحل النمو المختلفة، والخصائص العقلية والجسمية للطفل في مراحل النمو المختلفة، وما يجب اتخاذه ازاء نزعات الطفل، ووجوب معاملة هذه النزعات كلها -ومنها النزعة الجنسية- على قدم المساواة، ومراعاة أن النزوع الجنسي ليس في ذاته شرا أو خيرا؛ إنما الخير والشر في طريقة توجيهه واساليب ممارسته. كذلك عليهم أن يعلموا شيئا عن التربية الخلقية والاجتماعية، وحكمة التشريع، والتقاليد، والاداب الزوجية والتناسلية، وأن يعرفوا اسس الاجابة عن اسئلة الاطفال والمراهقين والبالغين، وأن الاساس في التربية الجنسية هو الموقف العلمي المستقر الهادئ الخالي من الخوف من جانب الآباء.

وقد وجدت مسز (جرينبرج)[1] أن هذه الدراسات والمناقشات الجمعية تخلق بالفعل الاتجاه الوجداني والعلمي الصحيح في الآباء، ولها بالتالي اثرها في الأبناء.

Gruenberg : Guidance of Childhood and Youth. (١)

قواعد عامة للتربية الجنسية:

وهناك اسئلة عديدة تتعلق بالتربية الجنسية يمــكن أن نلخص اهم اتجاهاتها فيما يأتي:

١. هل تترك التربية الجنسية لمحض الصدفة ؟ أم يبذل في اتجاه تحقيقها جهد مقصود؟

٢. هل يقوم بها الوالدان أم الاطباء أم المدرسون ؟

٣. واذا قام بها المدرسون مثلا فهل تعطى بطرق فردية أم بطرق جمعية ؟

٤. هل تعطى التعاليم الجنسية قائمة بذاتها مستقلة عن كل ما حولها أم تعطى جزءا من معلومات اخرى ؟

٥. في أي سن تبدا التربية الجنسية ؟

وقد سبق أن اجبنا عن بعض هذه الاسئلة في ثنايا ما تقدم، وقررنا الا نترك التربية الجنسية للصدفة، لأن المسائل الجنسية شائقة وهامة، ويسعى الطفل إلى معرفتها -إن اخفيت عنه- من الخدم والزملاء.

ويحتمل أن يقدم له هؤلاء معلومات خاطئة، ملونة بلون مثير على غير الصورة التي نتوخاها. ويتلذذ عادة بعض الاطفال من تعليم من يجهلون من زملائهم شيئا عن هذا السر. ونظرا لأنه سر شــائن، فهم يعلمونهم اياه بشيء من التكتم، مما يزيد الأمر خطورة في نظــرهم. والطفل الذي يقف موقف المعلم، يستعمل سيطرته؛ فيلجا إلى وسائل التعذيب العقلي والمنع والتكبر والترفع والمبالغة والاختلاق وغير ذلك. ويمهد أحيانا بعض الاطفال المراهقين لبعضهم الاخر فرصة الحصول على خبرة جنسية حقيقية، تحت ظروف تترك عادة أسوا الاثار النفسية وراءها.

ونظرا لمعاملة الزملاء للمسائل الجنسية كأنها سر عظــيم فأنهم يميلون

إلى التندر بها في اشاراتهم، واحاديثهم، ونـــكاتهم، ورسومهم في دورات المياه، وغير ذلك.

لهذا يجب أن نعمل على اعطاء المعلومات بطريقة صحيحة في المنزل والمدرسة، وأن تعطى بحيث لا تصبح سرا شائنا، أو لغزا عظيم الشأن.

وقد اختلف الباحثون في كيـــفية اعطاء هذه المعلومات؛ اتعطى بطريقة فردية ام جمعية ؟ وإن كان بعض ائمة علماء النفس، امثال (شتيكل [1] Stckel) وغيره يرون الاقتصار على الطريقة الفردية. قال (شتيكل) في هذا الصدد: إن التعليم الجامعي في المدارس يسبب مشكلات نفسية عديدة (Enlightenment en nasse in schools , starts countless traumas) ولكن مع ذلك يتجه غالب الرأي الآن نحو التعليم الجامعي، مع اعطاء الفرصة لاجابة الافراد عن مشكلاتهم في جلسات فردية خاصة، إن هم ارادوا ذلك.

والذين لا يرضون عن التعليم الجامعي يقولون: إن التلاميذ ليس لديهم الاستعداد للاستفادة في وقت واحد من هذا التعليم، ويقولون: أن لـــكل تلميذ تاريخه الخاص وخبرته ومشكلاته الخاصة. ويرى بعض هؤلاء أن من مـــآخذ الطريقة الجمعية أنهـــا تقلل من قدسية الموضوع، وتسهل التحدث فيه.

غير أن التعليم الجمعي يتميز عن الفردي في ناحية هامة: فالطفل الخجول قـــد يقل خجله في حالة التعليم الجمعي، حين يرى زميلا له يسأل سؤالا، فيجاب عنه اجابة علمية خالية من التحرج. ولا يحتمل أن يحدث هذا في الجلسة الانفرادية. واذا كان الطفل تلميذا في مدرسة، فقد تتأثر نفسه اذا استثناه معلمه بهذا التعليم الفردي. يضاف إلى ذلك أن التعليم الفردي قد يشعر بأن الموضوع على درجة كبيرة من الخطورة، ولهـــذا اثر سيئ محتمل الوقـــوع.

وكانت الاسر في انـــجلترا وأوروبا تلجا إلى طبيب العائلة لكـــي يعطى

Quoted by Gruenberg . Guildhood of Childhood and Youth (١)

الناشئ ما يلزمه من استنارة جنسية. وفي هذا خطر كبير لأن الطبيب -وإن توافرات لديه المعرفة- قد لا تتوافر لديه اساليب الشرح والتوضيح.

ثم إن الطفل ربما ينظر إلى الموضوع على أنه مرض اصيب به، وربما ينظر اليه كامر غاية في الخطورة؛ لمـــا يرى في عيادات الاطباء من الات، وادوات، وغير ذلك.

وبالإضافة إلى كل هذا، يمكن الطبيب عادة أن يوفر الوقت الكافي للناشئ في موضوع واسع متشعب النواحي كهذا. والاتجاه إلى هذا الـــرأي يحرم الطفل عادة من فرص استغلال التعليم الهـــادئ البطيء، الذي كان يـــجب أن يبدا قبل ذلك بمدة طويلة ليستمر سنوات. ويوجه هذا الرأي جو الاســـرة إلى زيادة التكتم، وتحويل المسؤولية من أنفسهم إلى الطبيب نفسه. وهذا الاتـــجاه- وان ظهر في أوروبا من زمن بعيد- في سبيله الآن إلى الزوال لعدم صلاحيته.

ويتضح من كل ما تقدم، أن التربية الجنسية يجب أن تبدا في المنزل وتستمر في المدرسة وتؤدى بالاساليب الجمعية والفردية وبالروح العلمية الصحيحة الهـــادئة، ويتفق الرأي على أن تعطى المعلومات الجنسية لا كمعلومات أو دراسات مقتطعة، قائمة بذاتها، وإنما تعطى كأجزاء متناسقة ومتكاملة مع دراسات اخرى. وقد قال في هذا الصدد (الدكتور ادسون) رئيس لجنة الصحة المدرسية في الولايات المتحدة: إن الخبرات الطويلة قد دلت على أن الدراسات الجنسية القائمة بذاتها تفصل المعلومات الجنسية عن غيرها من المعلومات وتحملها شحنة انفعالية كبيرة تجعل من الصعب هضمها وتمثيلها في السلوك اليومي للطفل (١).

(١) Long and varied experience of schools has demoustrated that the so called Sex Courses tend to isolate and emotionalise materials, making it difficult to

ولذلك وجب أن تعطى الدراســات الجنسية بالمدرسة ضمن دروس مشاهدة الطبيعة وعلم الاحياء، والصحة والتشريح. وفي السنوات المتأخرة تعطى الأمراض السرية، والصحة الاجتماعية، والاخلاق التناسلية، والجنسية وحكمة التشريع الاجتماعي للزواج، وقواعد تــكوين الأسرة تكوينا صحيا.

اما عن سن بدء التربية الجنسية فلا شك في أنه يجب أن يبدا منذ السنة الأولى بتكوين اتجاه عام للطفل ازاء المسائل الجنسية. وعندما يبدا الطفل اسئلته، يلزم أن يجاب عنها في حينها بما يلائم مقدرته على الفهم.

ويجب على العموم أن يلم كل ناشئ ذكرا كأن أم أنثى، قبل سن المراهقة بجميع المعلومات الأساسية في هذا الموضوع، اذ لا تكون الحالة الانفعالية بعد هذه السن ملائمة. لقبول المعلومات بسهولة. ويجب أن تعطى الخبرة والمعلومات في كل مرحلة بالطريقة التي تلائمها. وان كان غالب الباحثين لا يحدد سنــا معينة يتم قبلها الالمام بالتعاليم الجنسية، غير أن جميعهم ينصحون بعدم التأخر إلى بدء المراهقة، وبوجوب البدء المبــكر متى جاءت الفرصة. بل يرى (رسل) وجوب اعطاء الطفل جميع المعلومات اللازمة قبل سن العــاشرة، حتى ان كان غير شاعر بالحاجة إلى الاستفسار عنها من غيره.

بعض المحاولات في التربية الجنسية

رأيت بعض الهيئات العلمية والتعليمية في إنجلترا وامريــكا على نشر ما يجب اتباعه ازاء التربية الجنسية، ومن هذه نشرة قامت باعدادها (الدكتورة بياتريس وب) للمجلس البريطاني للصحة الاجتماعية، ومن رأيها أن مهمة شرح المعلومات الجنسية ينبغي أن تقع كلها على عاتق الأم، على أن يساعدها الأب في هذه السبيل. ولا يجوز أن يوكل إلى الطبيب شئ من هذا العمل.

---

incorporate them into the everyday conduct of the child)). New Education Fellowship ; Towards A New Education

غير أن المدرس يمكنه ايضا أن يتولاه بعد الاتفاق مع الوالدين. ونرى أن يبدا التعليم الجنسي بالرد على الاسئلة التي يوجهها الطفل، ويحسن التبكير بالرد ما امــكن ذلك. ويجب أن تشمل المعلومات التي تعطى له حقائق عن التلقيح في النبات والحيوان، وبعض الحقائق عن التغييرات التي تحدث في النمو، وبعض قواعد الصحة العامة، والاخلاق والتقاليد المتعلقة بالجنس والتناسل، وحــكمة هذه الاخلاق والتقاليد. وبينت المؤلفة، ما سبق أن بيناه، فقالت: ان الموضوع لا يجوز أن يعامل كلغز، ولا يجوز أن نعتبر أنه لا يهم الاطفال الا بعد وصولهم إلى المرحلة التي يحتاجون فيها للنـــاحية الجنسية احتياطا مباشرا، اذ أن ترك الطفل إلى ذلك الوقت المتأخر يوقعه في يد من يتطوعون لاعطائه معلومات وخبرات مشوهة.

واهم ما يراعى عند اعطاء التعاليم الجنسية ــ في نظرها ــ هو الاتجاه العقلي العام للوالد أو المدرس وايجاد رأي عام نحو هذه المسائل(١).

وقد قامت هيئة المؤتمر السنوي للصحة الاجتماعية بأمريكا بنشر ما قررت أنه النقاط المتفق عليها نهائيا في التربية من حيث الصحة الاجتماعية ونلخص اهم هذه النقاط ــ كما أو ردها (جرنبرج)- فيما يأتي:

١- يقصد بالتربية الجنسية جميع المسائل التربوية التي يترتب عليها اعداد الناشئين لمقابلة جميع مشكلات الحياة التي يكون مركزها الغريزة الجنسية، والتي تظهر بصورة من الصور في خبرة كل انسان عادي. وتشمل هذه المشكلات مدى واسعا من خبرة الإنسان؛ ابسطها المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية الشخصية، واعقدها المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التي تتعلق من قــريب أو بعيد بالسعادة الزوجــية

---

(١) B .Webb ; The Teaching of Children as to the Reproduction of Life : British Social Hygiene Council .

وحياة الاسرة بوجه عام.

٢- لا يجوز أن يكون هناك دراسات قائمة بذاتها تسمى الدراسات الجنسية، ولا يجوز أن يكون هناك اجزاء من المناهج الدراسية في المدارس أو الكليات تسمى الدراسات الجنسية.

٣- تقدم التربية الجنسية في المدارس ضمن دراسات أو موضوعات اخرى وحيث أن التربية الخلقية الجنسية لا تخرج عن أن تكون جزءا من التربية الصحية أو الخلقية وجب أن يكون التوجيه الجنسي والدراسات الجنسية- المقصود بها تكوين اتجاهات عقلية صحية وعادات طيبة ومثل عليا- جزءا لا يتجزأ من المنهج التعليمي والتربوي العام.

٤- تدل الدراسات السيكولوجية على أن التوجيه الجنسي للإنسان، وتدبير سلوكه الجنسي يجب أن ينبني على اساس الاختيار الذاتي الحر، المبنى على الادراك والمعرفة، ببمعنى اخر يجب أن تكون هناك ضوابط ارادية للدوافع والرغبات الغريزية التي تستثيرها أنواع المغريات والمثيرات المحيطة، وتقويها ذكريات الماضي المتراكمة من ايام الطفولة.

٥- ترمي التربية الجنسية إلى اعطاء الناشئ اسسا للضوابط الارادية للسلوك ومن هذه الاسس: احترام الرأي العام المتعلق بالمسائل الجنسية، وتذوق الاداب الجنسية وتقديرها، ومعرفة النتائج القانونية والاجتماعية والطبية، والشعور بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية، وتقليد بعض الاشخاص المثاليين، والتعفف الرقيق المناسب بدلا من الخجل والرعونة اللذين كنا نلاحظهما قديما أو الوقاحة التي نلاحظها الآن، واحترام الأنوثة والرجولة، وتكوين عادات ضبط الذات، ومعرفة العلاقات العامة بين المسائل الجنسية والحياة، وانماء وسائل الترفيه العقلي والجسمي لا كوسائل لاعلاء الغريزة الجنسية، بل كوسائل لإبدالها. والعلم بجزاء

الامتناع والتعفف عند الناشئين، ودراسة الادب الذي يصور الحب في اسمى الصور وارقاها.

٦- تدل الدلائل على أن الآباء لا يعرفون ان كانت هناك وقاية كافية ضد معرفة أولادهم للمسائل الجنسية باسوا الوسائل. فمن المؤكد أن كل طفل تقريبا سيصل إلى المعلومات الجنسية على اقصى تقدير في السنوات الأولى من بلوغه من مصادر غير مرغوب فيها، ويترتب على هذا فساد الصحة، وانحطاط الخلق. والطريق الآمن الوحيد هو خلق اتجاه صحي في عقل الناشئ بتعليمه بالتدريج، وأولا بأول، كل ما يتعلق بما يخطر على باله من المشكلات الجنسية.

٧- تجمع التربية الجنسية بين أوجه من التربية الخلقية والتربية الصحية، لذا لا يمكن اكتمالها بتكتل عناصرها في وقت واحد، فهي عملية تدريجية بطيئة تشمل العناية الصحية والتوجيه والتعليم وحسن المثال.

وهذا يضع على المنزل جل مسؤولية التربية الجنسية المباشرة في المراحل السابقة للمراهقة. ولهذا يجب اعداد الآباء، وكل من لهم صلة بالطفل عن طريق النشرات، والمحاضرات والمناقشات، ليعدوا أنفسهم لتعليم النشء وتوجيههم فيما يختص بالمسائل الجنسية.

وقد عنيت بايراد هذه النقاط بالتفصيل لسبب هام، وهو ما يقع فيه الكثيرون ممن يقومون بعلاج الشباب علاجا نفسيا، اذ يوجهونهم أحيانا إلى اتباع الحرية في ممارسة المسائل الجنسية، مما يترتب عليه الوقوع في مشكلات نفسية اخرى اعقد بكثير مما كان لديهم.

ومن امثلة ذلك أن عرض احد الشبان نفسه على احد المعالجين النفسيين فقال له القائم بالعلاج- على خلاف ما يتفق مع المبادئ الأولية في العلاج النفسي- أنه يشكو من كبت في الغريزة الجنسية، وافهمه أن التقاليد والاداب

الجنسية وغير ذلك إنما هي من عمل الإنسان، وليس لها في ذاتها قيمة. حاول الشاب بناء على هذا أن يشبع نزعته الجنسية، ثم كف بعد مدة عن ذلك؛ اذ تولاه الاشمئزاز والتقزز وزيادة الـكبت. وكان اتجاهه العقلي أنه كان كشاب صغير لا يمكنه أن يتمتع بحرية جنسية في نظام تقاليدنا الحاضرة إلا مع فتاة منحطة الخلق، وهذا يبعث فيه الاشمئزاز مما زاد اضطرابه في ذلك الوقت، وجعله يتردد بين شدة التدين والانكباب على الاستمناء، وإدمان شرب الخمر، ووصـل به الأمر إلى تعاطي الحشيش وأنواع المـكيفات وانصرف عن عمله، وكانت تنتابه حالات شديدة من الانقباض وضيق الصدر وبقية اعراض القلق العصبي.

التربية المختلطة

وقد قامت بعض المدارس بتجارب في التربية الجنسية، ورأي بعض النظار[١] أن التربية المختلطة وهي تعليم البنين مع البنات ضرورية للتربية الجنسية في جميع مراحل التعليم. فان كان يراد بالمدرسة أن تكون صورة من المجتمع، فيجب أن تكون صورة حقيقية منه.

وحيث أن البنين والبنات يختلطون في المجتمع، فيجب أن يختلطوا قبل ذلك تحت ظروف المدرسة خاضعين لبعض التوجيه، وفي هذا إشباع لحاجات الفرد الحالية، واعداد له في الوقت نفسة لمواجهة المواقف المستقبلة.

وترى الدكتورة (هاتون)[٢] وهي تعتمد على ملاحظاتها القائمة على التحليل النفسي أن التعليم المختلط يزيد عادة من النزعات الاستقلالية للبنات، اذ يحررهن من اعتمادهن على امهاتهن، ويجعلهن كذلك اقل قلقا، واكثر هدوءا. وللتعليم المختلط -في نظرها- اثر طيب في البنين ايضا، فهو يجعلهم اكثر دقة وحزما مع أنفسهم. فهي بـذلك تؤيد التربية الجنسية في التعليم المختلط من حيث

T. Blewitt : The Modern Schools, Handbook. (١)

I . Hutton : On Coeducation : British Journal of Medical Psychology Vol . IX (٢)

تكوين الاتجاه العقلي العام.

ويلاحظ أن مدى الحرية المعطاة في التربية المختلطة يختلف من مدرسة إلى اخرى بدرجة محسوسة. ومن المدارس التي قطعت في الحرية المعطاة شوطا بعيد (دار تجنتون هول Dartginton Hall). ويقول ناظرها الاستاذ (كري[1]Curry): اذا كان الطريق الوحيد للاعداد للحياة في المجتمع هو ممارسة الحياة الاجتماعية، وجب أن تكون البيئة ابعد ما يكون عن الجو الصناعي، ويجب أن يباح للأطفال مواجهة نوع المشكلات التي سيقدر لهم مواجهتها في مستقبل حياتهم.

لهذا وجب جعل التعليم مختلطا، ولكي يجئ تطبيق التعليم المختلط بأحسن النتائج، يجب أن تزول كل الحواجز الصناعية بين الجنسين، ويعتقد ناظر المدرسة أن اساليب الوقاية والتحفظ التي اقيمت بالمدارس التي تمارس التعليم المختلط تؤدي إلى نفس الاخطار التي يراد تجنبها من اقامة هذه العوائق.

واذا كان بيدهم السلطة يعتقدون أن اجتماع البنين مع البنات اجتماعا منفردا لابد أن يؤدي إلى أسوا ما يمكن تصوره من نتائج، فان سبب ذلك هو أن انفراد البنين بالبنات يصحبه في هذه الحالات جو صناعي ملئ بخوف كل منهما مما عساه يحدث، وبذلك يصير هذا الاجتماع من الخطورة بمكان لهذا كله فان مدرسة (دار تجنتون) تسير بحيث لا يوجد فيها أي قوانين أو نظم حول علاقة البنين بنوع خاص فالبنون والبنات يعيشون في نفس البيوت (houses) على نظام الاسرة.

وتوجد بين اعضاء هيئة التدريس الذين يعيشون بالفعل معهم وبينهم روح الصداقة العميقة ورفع الكلفة رفعا تاما، مما يضمن وقوف المعلمين على كل ما يمكن أن يحدث، ومما يضمن التوجيه المقبول اذا احتاج اليه الأمر.

---

(١) Curry : Dartginton Hall : The Modern School School,s Handbook.

ويعترف ناظر المدرسة بأن علاقات الحب في مدرسته المختلطة لابد من أن تنشا، لكنه يؤكد ايضا أن التربية الانفعالية الجنسية لا تتم الا اذا واجهناها أولا في ظروف خاضعة للارشاد والتوجيه الصحيح.

وهناك مدرسة اخرى وهى مدرسة (سمرهل) وناظرها (نيل)(١)، وقد قطعت شوطا ابعد من المدرسة السابقة في مدى الحرية التي تعطى للتلاميذ من الجنسين في اختلاطهم وأحاديثهم ونكاتهم. فناظر المدرسة يسمح للأولاد -إن ارادوا- أن يتحدثوا في المسائل الجنسية علنا وبحرية تامة، حتى يشبعوا منها وتزهدها نفوسهم ويملوها، ويترك لهم الحرية التامة في اختلاطهم بعضهم مع بعض، ولكنه يستغل الرأي العام في مدرسته، ويستغل قيمة سمعة المدرسة في نظر هذا الرأي العام لتكوين المستويات الخلقية اللازمة لتوجيه سلوك تلاميذه. ومن امثلة ذلك أنه قبل في مدرسته فتاة وفتى، كل منهما من مدرسة اخرى من المدارس العادية، فتكونت بينهما في الحال صداقة. وبدا ينفرد احدهما بالاخر بطريقة مثيرة للشبهة فقال لهما الناظر الاستاذ (نيل) إنه من الناحية الخلقية لا يهمه شخصيا ما يفعله كل منهما مع الاخر، غير أن سلوكهما هذا سيسيء حتما إلى سمعة المدرسة كلها، واذا هما أنجبا باختلاطهما هذا طفلا فان المدرسة لا يمكنها أن تتكفل به (هذا تهكم)، ولكن النتيجة الحتمية الخطيرة في هذه الحالة هي انتهاء حياة هذه المدرسة والقضاء عليها قضاء تاما. واسترسل قائلا لهما أنهما يظنان خطا أن ما يفعلانه يسمى حرية، وأنهما لحداثة عهديهما بالمدرسة لا يكنان في نفسيهما شعورا بالاخلاص لها. واستمر (نيل) يخاطبهما بهذه اللهجة الحازمة المملوءة بالثورة والغضب مما يدل بطبيعة الحال على أن الحرية في هذه المدرسة ليست كما يظن بعض الناس مطلقة بلا حدود، وانما يحددها- كما قلنا- الرأي العام في المدرسة. ووصلت الحرية حقيقة في هذه المدرسة إلى درجة

A.Seill : Summerhill : The Modern School,s Handbook (١)

الرقص والسباحة المختلطة للبنين مع البنات. وكانت تسير المدرسة في الظاهر على قاعدة الحرية التامة، ولكن التلاميذ كانوا يضعون دستور المدرسة وقوانينها في ضوء خبراتهم ومشكلاتهم. وكانوا يعدلون من هذه القوانين والتعليمات على ضوء ما يستجد من المشكلات. وبذلك جاءت كل قوانينهم ونظمهم عن اقتناع ذاتي تام. ذلك في جميع المسائل صغيرها وكبيرها سواء في ذلك المسائل الجنسية غير ذلك.

والفرق بين مدرسة (نيل) ومدرسة (دار تنجتون): أن الأولى اكثر حرية من الثانية، وأن تقاليد المدرسة يضعها المجتمع المدرسي تبعا للحاجة الطارئة. ومدرسة نيل قوامها الصراحة التامة في المسائل الجنسية، فهي تناقش فيها علنا وبكل صراحة. فلا سر، ولا غموض، ولا استقذار، ولا قداسة. وتكون هذه المدرسة مثالية حقا لو أن المجتمع له تقاليده ومبادئه الدينية والخلقية، وله قوانينه ومثله ونظمه الثابتة التي يجب أن يخضع لها التلاميذ.

فيجب مع استمتاع التلاميذ بالحرية أن نوجههم إلى تقدير هذه التقاليد، وفهم الحكمة منها. ويعترف (نيل) بأن الناشئين لا يمكنهم أن يضبطوا أنفسهم بغير دين أو اخلاق، ولكنه يريد من التلاميذ أن يكونوا مستويات سلوكهم -كما قلنا- بأنفسهم في المدرسة. وهذه في رأينا مرحلة قد تكون طويلة، ولا نضمن انسجام نتائجها مع المستويات الكائنة فعلا في المجتمع.

ومن مدارس التعليم المختلط الاكثر تقيدا من المدرستين السابقتين مدرسة (بدالس Bedales) يقول ناظرها: ان الناحية الجنسية وما يجب ازاءها في دوري الطفولة والمراهقة لها مشكلات تظهر في كل مدرسة.

وتظهر هذه المشكلات بنوع خاص في مدارس التعليم المختلط. واساس معالجتها الصراحة التامة، وفهم حاجات الطفولة والمراهقة، والعطف على الناشئين ازاء هذه الحاجات. وهو يعطي في مدرسته الدراسات الجنسية ضمن

الدراسات العادية بالمدرسة فهي جزء من التشريع، وجزء من علم الحياة. وفي السنوات الاخيرة من المدرسة تناقش الصحة الشخصية والاجتماعية المرتبطة بالناحية الجنسية. وهذا يكفي في رأي ناظر المدرسة، اذ أنه يعنى في المدرسة بالتعبيرات الوجدانية عناية كافية في التمثيل، والموسيقى، والشعر، والفن التصويري. ويضاف إلى ذلك، الجهد المشترك الذي يقوم به البنون مع البنات في كثير من اعمال المدرسة، وفي الدراسات الاجتماعية، والخدمات الاجتماعية للاسر المجاورة للحي الذي به المدرسة. وتدريب التلاميذ على العمل المشترك بين الجنسين يعودهما الاشتراك في نشاط يهمهما دون أن يشغل ذهنهما بالمسائل الجنسية.

ويرى (لين هاريس)[1] وهو ناظر لمدرسة ناهضة بإنجلترا اسمها مدرسة (سان كرستوفر)، وأن يعلم للبنون مع البنات، والا يجبر احد الجنسين على اتباع نظام معين تكون فيه الخواص الجنسية هي الخواص الاساسية. ويراعى فيمن يقومون بالاشراف على بيوت الطلبة أن يكونوا سعداء في حياتهم الزوجية، وأن يشتركوا هم وزوجاتهم في الاشراف الفعلي والسكني مع الطلبة والطالبات. ويرى (لين هاريس) أن إشباع الاستطلاع الجنسي وتوجيهه يجب أن يبدا في البيت، ويستمر في المدرسة، والا تعطى معلومات صريحة قائمة بذاتها، وانما تعطى اجزاء متكاملة مع التربية المستمرة خلال الحياة المدرسية، وتعالج المسائل الجنسية بتعاون الآباء والمدرسين، حتى يمكن توحيد وجهات النظر، وضمان استمرار الوجهة الصحيحة. اما التعليم الجنسي فانه يدخل ضمنا في مشاهد الطبيعة وعلم الحياة وعلم الصحة.

واما (بول روبرتس Paul Raberts) ناظر مدرسة (فرنشام هيتس) وهى من المدارس الحديثة، فانه ينقد التعليم المختلط، والتعليم الجنسي، ويسير

Lynn Harris : St . Christopher School : The Modern School,s hand bool (١)

على اساس أن حرية التكلم في المسائل الجنسية، تزهد نفوس التلاميذ فيها. ويرى أن ما يتعلق بالمسائل الجنسية يجب أن يفصل فيه البنون عن البنات، وأن يعطى لمجموعات صغيره، وأن تعطى فيه أحيانا الفرصة للمناقشات الفردية. ويبدو (بول روبرتس) في كل هذا اكثر ميلا إلى اساليب المحافظين من زميليه السابقين (نيل) و (كري).

وتتجه بقية المدارس الحديثة إلى العناية بالمسائل الجنسية عناية كبيرة، ويختلفون اختلافات بسيطة في درجة الحرية المعطاة، أو الاسلوب المستعمل، أو غير ذلك.

نعلم مما تقدم أن التعليم الجنسي على الرغم من عظم اهميته لا يخرج عن كونه جزءا من التربية الجنسية العامة، وقد اتفقت الاراء بين المربين ونظار المدارس الحديثة – كما بينا– على أن تعطى معلومات جنسية كاملة للناشئين على فترات مختلفة في حياتهم، وأن تعطى ضمن علوم اخرى كمشاهد الطبيعة، أو التشويح، أو الصحة أو علم الحيـــاة، أو غير ذلك.

تجارب في التعليم الجنسي:

كان المتبع إلى عهد قريب أن يكتفى بأن يدرس الاطفال عمليات التلقيح والتكاثر في النبات، ثم يتركون ليستنتجوا الباقي بأنفسهم.

ويلاحظ أن الاقتصار على دراسة النبات أو الاكتفاء بمد هذه الدراسة إلى الاسماك والضفادع عديم الفائدة، بل قد يضر؛ اذ أنه قد يثير مشكلات في ذهن التلميذ لا يمكنه التفوه بها امام معلمه أو والده.

وقد قام الاستاذ (سمث)[1] ناظر احدى مدارس مقاطعة (الينواس) بامريكا بتجربة في اعطاء دراسات جنسية للتلاميذ، ومن رايه أن تكون الناحية الجنسية جزءا متكاملا من الدراسة، لا يمكن فصلها عنها، وأن تعالج بطريقة طبيعية كما

---

(1) P.D . smith : Towards A New Education : Ch . ٥

تعالج مواد الدراسة الاخرى. فالتلاميذ في السنوات الدراسية الخمس الأولى يقومون في المدرسة بتربية الدواجن والاسماك وغيرها، وملاحظة هذه الكائنات، ومناقشة ما يحدث لها. كل هذا يعطي الطفل فكرة أولية صحيحة عن اصل الحياة، وفكرة التكاثر، وفكرة الاسر عند الحيوان، وغير ذلك. وفي السنوات الدراسية السادسة والسابعة يتعلم التلاميذ بطريقة منظمة كثيرا من اجزاء الحيوان، ووظائفها ويدخل ضمن هذه الدراسات الجهاز الهضمي، والتنفسي، مع الموازنة دائما بين الإنسان والحيوان. وفي السنة الدراسية الثامنة يتعمق التلاميذ في علوم الحياة اكثر من ذي قبل، ويقومون بالتشريح العلمي. وفي السنة التاسعة ينتقل التلاميذ إلى دراسة الاجنة، ودراسة التطور، وبذلك يستعملون المعلومات المتعلقة بالتشريح والوظائف والعمليات الجنسية.

وبعد ذلك -أي عندما يكون التلاميذ في سن السادسة عشرة تقريبا- يدرسون شيئا عن الصحة الجنسية الفردية، والصحة الجنسية الاجتماعية، والتقاليد والاداب المتعلقة بالناحية الجنسية، فيدرسون البغاء، والإنتاج غير الشرعي، والأمراض التناسلية وغير ذلك. ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الجامعة مزودين بالكفاية من التربية الجنسية، التي تتوقف إلى حد كبير على نوع جيد من التعليم الجنسي.

وينفصل البنون عن البنات في بعض الدروس في هذه المدرسة من السنة الدراسية الثامنة، أي بالتقريب من ١٣ إلى ١٨.

وقد قام اثنان(١) من الباحثين في (ويلز) باجراء تجربة تعليمية في التربية الجنسية في المدارس، بدأت سنة ١٩٢٩ بعد موافقه السلطات التعليمية المحلية عليها. وهي تعتبر من التجارب الفريدة في نوعها من هذه الناحية، ومن حيث الروح العلمية التي اجريت بها، واتساع نطاق اجرائها في المدارس الأولية

Tucker and Pout : Sex Eduation in Schools (١)

المختلفة. وقد وصل عدد هذه المدارس إلى ٩٣ مدرسة، ووصل عدد التلاميذ الذين خضعوا للتجربة إلى ١٦ الف تلميذ تقريبا. وقد بدات التجربة بعمل استفتاء للاباء، وعقد المؤتمرات لهم. وكانت نتيجة هذا أن وافق ٩٣ % من الآباء على أن تقوم المدرسة بواجب التربية الجنسية، واما الذين لم يوفقوا على ذلك ونسبتهم ٧ % فبعضهم يرى أن يقوم الوالدان بهذا الواجب، وبعضهم يرى وجوب عدم التعرض للمسائل الجنسية اطلاقا. وفريق يرفض التعرض لها في المنزل أو في المدرسة على اسس يرى هو أنها دينية. وفريق رابع التزم الصمت ولم يبد سببا ما. ويعتقد القائمون بالتجربة والمدرسون الذين ساعدوهم في اجرائها، أن الحياة الجنسية الخاصة لهذا الفريق الرابع من الأباء محرجة إلى حد أنهم لا يتعرضون لابداء أي سبب، ويحتمل أن يكون لديهم كبت شديد خاص بالمسائل الجنسية.

وبعد فحص ردود فعل الآباء وافقت السلطات المحلية على بدء التجربة، وهي اعطاء احاديث بالفصول الدراسية تبدا بحديث عن الصحة الجسمية والنمو، وحديث أولي بسيط عن اثر التفكير في السلوك، ثم الانتقال إلى الغدد وشرح قيمتها في النشاط والنمو بوجه عام مع تبسيط كبير.

فشرحوا الغدة الدرقية، والنخامية، والغدتين فوق الكلوتين، والغدد الجنسية. وبنفس الطريقة العلمية الهادئة التي شرحوا بها وظائف الغدد، انتقلوا إلى شرح الوظائف الجنسية الثانوية للغدد التناسلية مع التكلم عن التشريح التناسلي، وتناولوا بعض القواعد الصحية العامة التي تتناول وجوب لبس الملابس الواسعة التي لا تضغط على هذه الغدد، ووجوب النظافة المستمرة حتى لا تتهيج هذه الغدد، وغير ذلك. واحاديث البنين تختلف عن احاديث البنات، وتعطى لكل فريق على حدة، ويقوم رجل باعطاء احاديث البنين وسيدة بإعطاء الاحاديث الاخرى. بعد هذا تبدا احاديث في علم الحياة متعلقة بالتكاثر والتلقيح والنبات. وما فيه من الاعضاء التشريحية التي تقوم بهذه الوظائف، كالميسم، والقلم،

والمبيض، والبويضات، وحبوب اللقاح. ثم يحدث الانتقال بعد ذلك إلى تكاثر الاسماك، وبعض مظاهر الحماية والوقاية التي يقوم بها السمك الكبير نحو صغاره حتى يكبر، ويستقل في حياته. ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الطيور ثم الحيوانات الثديية، ثم الإنسان. ويبين في هذه الأنواع الاخيرة نمو الجنين داخل الرحم الذي يشبه في وظيفته المبيض في النبات. ويسمون الرحم بالعش (Nest) لأنه شبيه بعش الطير الذي يحفظ فيه البيض إلى أن يفقس. اما الحديث في حالة النبات فانه يضاف اليه شيء عن العادة الشهرية، ودلالتها، ووجوب العناية الصحية ازاءها.

ويشار في الاحاديث التالية لذلك، إلى اهمية الذكر في الإنسان، وطريقة وضعه للخلايا الذكرية داخل الرحم، حيث يقابل الحيوان المنوي البويضة الأنثوية ويتم التلقيح ويبدا النمو، ويشار إلى بعض القواعد الصحية الواجب مراعاتها في اثناء الحمل حتى ينمو الجنين نموا حسنا (١).

ومن اهم الاحاديث ما يلي ذلك عن التقاليد الجنسية، ووجوب مراعاتها، والحكمة في ذلك.. إلى غير هذا.

وكانت تتخلل هذه الاحاديث اسئلة يلقيها الاطفال على القائمين بالتجربة حول هذه المسائل، ومن امثلة الاسئلة المتعلقة بموضوعنا ما يأتي:

- أيخرج الجنين من السرة ام من مجرى البول؟
- لماذا بعض النساء يلدن وبعضهن الآخر لا يلدن ؟
- لماذا يولد بعض الاطفال ميتا ؟
- هل يمكن أن تلد المرأة مهما كانت عجوزا ؟
- هل يمكن أن تلد المرأة دون أن تتزوج ؟
- ما وظيفة الوالد في إنجاب الأولاد ؟ وما الذي يفعله بالضبط لذلك ؟

---

(١) Tucker and Pout (Ibid) P. ١١٥

- لماذا لا يلد الاطفال ؟

وبعد انتهاء التجربة وجه أصحابها إلى معلمي المدارس التي اجروا بها تجاربهم استفتاء لاسيتضاح رأيهم في التجربة. وكان اكثر من ٩٠% من المعلمين يؤيد التجربة بالطريقة الجمعية التي أجريت بها. كما يؤيد ترتيب الاحاديث وتسلسلها، وكذلك فكرة قيام اختصاصي من خارج المدارس -لا من اعضاء هيئة التدريس- بإعطائها. ومما لا شك فيه أن نجاح التجربة يرجع بعضه إلى مهارة القائمين بها، وبعض صفاتهم الشخصية الخاصة. وهذا ينطبق على كل نوع من أنواع التربية والتعليم.

بل على كل عمل فني من هذا النوع. ويرجع نجاح التجربة ايضا إلى موقف القائمين بها ازاء المسائل الجنسية، والاتجاه العقلي العلمي الهادئ الذي يمكنهم من مواجهة التلاميذ به.

ويرجع ايضا إلى نوع المصطلحات والألفاظ التي استعملوها.وهذا كله لا يعفينا من أن نتذكر دائما وجوب مراعاة الفروق الفردية في السن والمزاج والتربية الأولى، والنظرة الاجتماعية العامة إلى الموضوع، ونظرة البيئة الخاصة اليه وغير ذلك.

ويقول وليام براون (W.Brown) تعليقا على هذه التجربة: ان احسن من يقوم بالتربية الجنسية الوالدان، ولكن حيث أن غالب الأباء يعوزهم الوقت والرغبة والمعرفة الجنسية والمزاج الخاص، وجب النظر فيما يمكن في المدرسة للوصول إلى التربية الجنسية اللازمة.

ويلاحظ أننا لم نشر في هذا الباب إلى التربية الجنسية في مصر، وكيف يجب أن تكون، ولكننا اقتصرنا على ما يعمل في الخارج، حتى يتبين ما يمكن عمله عندنا مع مراعاة ظروفنا وتقاليدنا الاجتماعية، ولكن على أي حال يمكننا أن نلمس في الفصلين السابقين اهمية المشكلة ومدى انتشارها وتغلغلها.

وندرك كذلك الحاجة الملحة إلى وجوب العمل من جانب القائمين بأمر التعليم في هذا الاتجاه الجديد.

المصادر والمراجع

١- سيكولوجية نمو الطفل، عبد الحميد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٨.

٢- مشاكل النمو عند الطفل، عبد الفتاح جمعة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٥.

٣- علم النفس التربوي، احمد زكي صالح، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥.

٤- الطفل العاجز، ترجمة زينب بدران، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢.

٥- مشكلات علم النفس، عبد السلام عبد الغفار، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠.

٦- اختبارات القدرة على التفكير الابتكاري، جابر عبد الحميد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

٧- سيكولوجية الطفل، عماد عبد الواحد، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٨.

٨- سيكولوجية الاطفال غير العاديين، محمد عدنان، صحيفة التربية، القاهرة١٩٩١.

٩- سيكولوجية الفروق الفردية، يوسف الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠.

١٠- موسوعتك في تربية طفلك من الولادة حتى المراهقة د. ديفيد كين، الاهلية، ٢٠٠٠.

١١- نمو الاطفال والاولاد منذ الولادة حتى انتهاء البلوغ، د. عبد الحسن، الدار العربية للعلوم، ١٩٩٩.
١٢- الصحة النفسية للطفل من الميلاد وحتى ١٢ سنة، د. حاتم محمد ادم، مؤسسة اقرأ، ٢٠٠١.
١٣- دليلك الكامل للعناية بالطفل والمراهق، د. كريستين لاند، الاهلية، ٢٠٠٣.
١٤- تغذية الطفل منذ الولادة وحتى سن البلوغ، عبد الله محمد، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٠.
١٥- اسس الصحة النفسية للطفل، عمر سرحان، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧.
١٦- أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد وادااب واخلاق وعبادات ومعاملات، القاهرة، مكتبة الدعوة الاسلامية، شباب الازهر، ١٩٦٤.
١٧- حمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت لبنان: مكتبة لبنان ١٩٨٦.
١٨- اسعد رزوق، موسوعة علم النفس، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٧.
١٩- السيد محمد خيري، الاحصاء في البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية، دار الفكر العربي ، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧.
٢٠- صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.
٢١- عبد الرحمن العيسوي، الارشاد النفسي دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.

٢٢- عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٩٤.
٢٣- عبد الرحمن العيسوي، سيكلوجية الجنوح، بيروت ، لبنان، دار النهضة العربية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
٢٤- عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والتنمية، دار االنهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.
٢٥- عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الاسري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دار النهضة العربية لبنا، بيروت ١٩٩٤.
٢٦- عبد الرحمن العيسوي، الاسلام والعلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٥.
٢٧- عبد الرحمن العيسوي، الارشاد النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٨.
٢٨- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٩.
٢٩- عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٧٨.
٣٠- عكاشة عبد المنان الطيب، الزوج المثالي، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة ١٩٩٣.
٣١- كمال الدسوقي، تعريفات مصطلحات اعلام علوم النفس،ط، القاهرة، مؤسسة الاهرام.
٣٢- مغازي علي محجوب، عكاشة عبد المنان الطيب، الزوج المثالي، مكتبة التراث الاسلامي، ا لقاهرة، ١٩٩٣.
٣٣- دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٣٤- وهبي سليمان غاوجي، المرأة المسلمة ط. بيروت ، لبنان، دار القلم بيروت، لبنان ١٩٧٥.
٣٥- يحيى بن شرف الدين النووي، مختصر رياض الصالحين، دار القلم، بيروت، لبنان.

فهرس

المقدمة ٣
اولاً: المشكلات المتعلقة بالتغذية ٥
حالات... ٦
أنواع المشكلات وطرق تحديدها ٨
كيف ندرس مشكلات التغذية...؟ ١٠
البطء في تناول الطعام ١٣
موقف الآباء وما يترتب عليه ١٣
الشره.. ١٧
ثانيا: المشكلات المتعلقة بالنوم............................ ٢٠
بعض المشكلات العادية ٢٦
التقلب والمشي والــكلام في أثناء النوم................. ٣٠
التبول اللاإرادي.. ٣٢
الأسباب الجسمانية وعلاجها ٣٣
مصاحبات التبول ٤٠
العلاج والوقاية ٤٢
ثالثاً: المشكلات العصبية والنفسية........................ ٤٩
العصبية العامة وانعدام الاستقرار ٤٩
مص الأصابع ٥٥
قرض الأظافر ٥٨

رابعاً: اللزمات العصبية: (Tics) ٥٩
صعوبات النطق.. ٦٢
التشخيص والعلاج.. ٧١
عوامل ظهور صعوبات النطق ٧٣
مصاحبات التهتهة ٧٤
علاج التهتهة ٧٧
الخوف وضعف الثقة بالنفس... ٧٩
أنواع المخاوف.. ٨٢
مخاوف الأطفال ومصادر تكوينها:..................................... ٨٣
الخوف من الموت ٨٩
الخوف من الظلام ٩١
القلق والخوف العام:.. ٩٢
ضعف الثقة بالنفس... ٩٤
الثقة عند الطفل الصغير.. ٩٤
بعض العوامل الطبيعية للشعور بالنقص ٩٦
أثر الموازنات ٩٨
اعتماد الطفل على نفسه وعلى غيره:................................ ١٠٠
خامساً: الـــكذب ١٠٦
الـــكذب الخياليImaginative ore playful ١٠٨
الـــكذب الالتباسي(Confessional Lie) : ١٠٩
الـــكذب الانتقامي.. ١١٠

الكذب الدفاعي.. ١١٠
كذب التقليد ١١٣
الكذب المرضي أو المزمن (Pathological Lie or Mythomania) ١١٤
بعض القواعد العامة ١١٦
السرقة.. ١١٩
حالة في السرقة ١١٩
حالة أخرى في السرقة ١٢١
السرقة والاستعداد لها.. ١٢٢
الشعور بالملكية وإنماؤه.. ١٢٣
الدوافع للسرقة.. ١٢٦
دراسة حالة السرقة.. ١٣١
بعض القواعد العامة ١٣٢
الميل إلى الاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب.. ١٣٣
دراسة حالات.. ١٣٧
حالة في نوبات الغضب في سن الخامسة.. ١٤٠
حالة غضب ومعاندة لتلميذ في السادسة عشرة:.. ١٤١
أسباب الغضب في الحالات الشاذة.. ١٤٢
مشاجرات الاخوة ١٤٧
التخريب ١٥٢
بعض الظروف التي تعارض ميل الطفل إلى اللعب ١٥٧
التدمير وعقاب الذات ١٦٣

الغيرة ١٦٤
معنى الغيرة ١٦٤
الغيرة والثقة ١٦٦
كيف تنشأ الغيرة ١٦٧
الغيرة عند الطفل الوحيد ١٧٢
الغيرة من المولود ١٧٣
سادسا: التأخر الدراسي ١٧٦
تحديد معنى التأخر الدراسي ١٧٧
بعض الحالات في التأخر الدراسي ١٨٠
طريقة بحث حالات التأخر الدراسي ١٨١
مصاحبات التأخر الدراسي ١٨٣
سابعا: المشكلات الجنسية ١٨٤
بعض الحالات ١٨٦
الاستمناء ١٩١
تلخيص المشكلات الجنسية واسبابها ١٩٥
للتربية الجنسية ١٩٧
موقف الطفل من المسائل الجنسية ١٩٩
موقف الآباء من الاطفال في المسائل الجنسية ٢٠١
التربية الجنسية للآباء ٢٠٣
قواعد عامة للتربية الجنسية: ٢٠٥
بعض المحاولات في التربية الجنسية ٢٠٨

التربية المختلطة ٢١٢
المصادر والمراجع ٢٢٣
الفهرس ٢٢٧

تم بحمد الله

الطفل والمراهق
النفسية

دار اسامة للن

دار المشرق

الأردن - عمان

الإدارة/هاتف: 00962 6 5658253 فاكس: 00962 6 5658254